الأسرار الجلية

في فضل ومناقب الإمام أحمد غوث الرفاعية

ويليه

القلائد فيما أجمع عليه من العقائد

كلاهما

للشيخ الدكتور جميل محمد علي حليم

دكتور محاضر في العقائد والفرق

رئيس جمعية المشايخ الصوفية

شركة دار المشاريع

الأسرار الجلية

في فضل ومناقب الإمام أحمد غوث الرفاعية

جمعه وأعده

الحسيب النسيب السيد الشريف فضيلة الشيخ الدكتور عماد الدين

أبو الفضل أبو محمد جميل بن محمد حليم الحسيني الهاشمي القرشي

الأشعري الشافعي الرفاعي

غفر الله له ولوالديه

شركة دار المشاريع

الطبعة الثانية
١٤٤٥ هـ ـ ٢٠٢٣ ر

شركة دار المشاريع

بيروت ـ لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون،
بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤(١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ ـ ١٤ بيروت ـ لبنان

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

الأسرار الجلية في فضل ومناقب الإمام أحمد غوث الرفاعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾

[النازعات: ٤٠-٤١]

مقدّمة المؤلف

الحمد لله المتعزز بجلاله وجبروته عن لواحق الظنون، المتفرد بذاته عن شبه ذوات المخلوقين، المتنزه بصفاته عن صفات المحدثين، القديم الذي لم يزل والباقي الذي لا يزال، المتعالي عن الأشباه والأضداد والأشكال، الدال لخلقه على وحدانيته بأعلامه وآياته، المتعرف إلى أوليائه[١] بأسمائه ونعوته وصفاته، المقرب أسرارهم منه[٢]، العاطف[٣] بقلوبهم عليه، المقبل[٤] عليهم بلطفه، الجاذب لهم إليه[٥] بعطفه[٦]. طهّر عن أدناس النفوس أسرارهم، وأجلّ عن موافقة الرسوم أقدارهم، سبقت لهم من الله الحسنى، وألزمهم كلمة التقوى، وعزف بنفوسهم عن الدنيا، صدقت مجاهداتهم فنالوا علوم الدراسة، وصفت سرائرهم فأكرموا بصدق الفراسة، ثبتت أقدامهم، وزكت أفهامهم، وأنارت أعلامهم، فهموا عن الله فعرفوا ما يحبّ وما يكره، وساروا إلى الله، وأعرضوا عما سوى الله، خرقت الحجب أنوارهم، وجالت حول العرش أبصارهم، فهم

---

(١) أي وفقهم ليعرفوا ما يجب لله وما يجوز وما يستحيل في حق الله.

(٢) أي القرب المعنوي فطهر بواطنهم وظواهرهم حتى صاروا من أحبابه وصاروا من أهل الصفاء.

(٣) أي الموفق لهم المنور قلوبهم بمعرفتهم بما يفيض عليهم من البركات والأنوار والأسرار

(٤) المقبل أي المكرم.

(٥) أي إلى طاعته ومحبته.

(٦) عطفه أي رحمته وفضله.

أجسام روحانيون، وفي الأرض سماويون، ومع الخلق ربانيون[1]، سكوتٌ نُظَّار، غُيَّبٌ حُضَّار، ملوك تحت أطمار، أنزاع قبائل، وأصحاب فضائل، وأنوار دلائل، ءاذانهم واعية، وأسرارهم صافية، ونعوتهم خافية، صفوية[2] صوفية، نورية صفية، ودائع الله بين خليقته، وصفوته بين بريته، ووصاياه لنبيّه، وخباياه عند صَفِيّه، هم في حياته أهل صُفّته، وبعد وفاته خيار أمته، لم يزل يدعو الأول الثاني، والسابق التالي بلسان فعله، أغناه ذلك عن قوله.

حتى قل الرَّغَب وفتر الطلب، فصار الحال أجوبة ومسائل، وكتبا ورسائل، فالمعاني لأربابها[3] قريبة، والصدور لفهمها رحيبة.

إلى أن ذهب المعنى وبقي الاسم، وغابت الحقيقة وحصل الرسم، فصار التحقيق حِلية، والتصديق زينة، وادَّعاه من لم يعرفه، وتحلَّى به من لم يصفه، وأنكره بفعله من أقرَّ به بلسانه، وكتمه بصدقه من أظهره ببيانه، وأدخل فيه ما ليس فيه، فجعل حقَّه باطلًا، وسمَّى عالِـمَه جاهلًا، وانفرد المتحقق فيه ضَنًّا به، وسكت الواصف له غَيرة عليه، فنفرت القلوب منه، وانصرفت النفس عنه، فذهب العلم وأهله، والبيان وفعله، حتى قيل صار الجهّال علماء، والعلماء أذلاء.

فدعانا ذلك إلى أن نبين في هذه الرسالة وصف طريقتهم وبيان نِحلتهم وسيرتهم من القول في العقيدة والأحكام وسائر ما يتصل به ممن وقعت فيه الشبهة عند من لم يعرف مذاهبهم ولم يخدم مشايخهم، فكشفنا بلسان العلم ما أمكن كشفه، ووصفنا بظاهر البيان ما صلح وصفه لينتفي عنهم خرص المتخرصين الجاهلين كابن تيمية المجسم الفيلسوف وتلميذه الذهبي المجسم وفرقتهما الشيطانية وسوء تأويل الجاهلين، ويكون بيانا لمن أراد سلوك طريق القطب الرفاعي وجماعته الأحمدية الرفاعية أصحاب الأحوال

---

(١) الربانيون: هم الذين يعلمون الناس بدءا من صغار العلوم.

(٢) من الصفاء أي قلوبهم صافية من الأمراض المعنوية كالرياء والحسد منورة بمحبة الله ورسوله ﷺ

(٣) أي لأصحابها الخبراء بها.

النورانية السَّنية السامية الزكية الإيمانية، مفتقرين إلى الله تعالى في بلوغ تحقيقه وبالله نستعين وعليه نتوكل وعلى نبيه نصلي ونسلم وبه نتوسل وعلى أوليائه وأحبابه نترضى.

مقدمة المؤلف الثانية

الحمد لله الذي خلع[1] على أوليائه خِلع إنعامه فهم على ذلك له حامدون، واختصهم بمحبته وأقامهم على خدمة دينه فهم في نعمة طاعاته يتقلبون ودعاهم إلى طاعته وأظهر فيها مراتبهم فالسابقون السابقون أولئك هم المقربون وفتح لهم أبواب ءالائه فهم بها يتفكرون، ونوَّر قلوبهم فهم بأنواره يتلذذون وبأذكاره يتنعمون وبشريعته يتأدبون ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۝٦٤﴾ [يونس: ٦٢-٦٤] ونوَّر بصائرهم بفضله وطهَّر أسرارهم فهم لأسراره كاتمون وأطلعهم على بعض الغيب المكنون. فسبحان من قرّب أقوامًا وأقامهم على باب طاعته فهم عنه لا يبرحون فسبحان من جعلهم نجومًا في سماء الولاية وجعل أهل الأرض بهم يهتدون، والمنكرون عليهم في غيّهم يعمهون فالأولياء في جنة الفردوس متنعمون والمنكرون لهم وعليهم في نار الطرد والبعد معذبون فربنا ا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

فسبحان الذي أبكى عيون الخائفين خوف الوعيد، فجرت دموعهم كالعيون وأجرى سحب المدامع من عيون أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فهم من خوف القطيعة يرتجفون جعلوا التقوى لهم أفخر لباس فأطار الخوف نومهم فهم عن لذائذ الدنيا يعرضون قلوبهم لله خاشعة على باب الذل هم ثابتون وعلى ربهم يتوكلون فسبحان من تفضل عليهم بثوب الولاية التي هم فيها راسخون.

وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له شهادة شهد بها الموقنون وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ﷺ عبده ورسوله صاحب النور والسرّ المصون اللهم صَلِّ عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى سائر الأولياء والآل والصحب الطيبين والصالحين كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون.

---

(١) أفاض عليهم وتكرم عليهم.

المدخل

في تعريف التصوف والصوفية

تعريف التصوف: التصوف مرتبة عالية، جليلة القدر، عظيمة النفع، وهو إصلاح القلب مع الآداب الشرعية ظاهرًا وباطنًا، فهو مبني على الكتاب والسنة، وذلك باتباع شرع الله تعالى، والاقتداء بالنبيّ ﷺ، في الأخلاق والأحوال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأفعال، وتسليم الأمور كلها لله من غير إهمال، في واجب ولا مقاربة محظور، اتصاف بالمحامد وترك للأوصاف الذميمة.

فهو مسلك قائم على العلم والعمل، أعلاه علم التوحيد وأداء الواجبات قبل النوافل، ثم عمل البر والخير والزهد والتحلي بالأخلاق الحسنة. قال الله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦-١٧]

وقال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل: «**إياك والتّنعّم، فإنّ عباد الله ليسوا بالمتنعمين**»[1]. وقد اشتهر حديث عند الصّوفية وهو حديث حارثة بن مالك، أنّ الرسول ﷺ لقيه ذات يوم فقال له: «**كيف أصبحت يا حارثة**». قال حارثة: «أصبحت مؤمنا حقا». قال ﷺ: «انظر ما تقول فإنّ لكل قول حقيقة». فقال: «عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، فكأنّي بعرش ربّي بارزًا، وكأنّي بأهل الجنة يتزاورون فيها، وكأنّي بأهل النّار يتعاوَوْن فيها». قال ﷺ: «**عرفت فالزم، عبد نور الله الإيمان في قلبه**»[2].

وهذا الحديث متداول بين الصوفية، وإن كان هذا الحديث ضعيف ضعفًا

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) أخرجه الطبراني.

خفيفًا، فقد ذكر في فضائل الأعمال، ويعمل به، كما ذكر السيوطيّ في تدريب الراوي وغيره. وقد جاء في تعريفه[1]:

كما قال الجنيد البغدادي[2] سيد الطائفة الصوفية: «طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة، إذ الطريق إلى الله مسدود إلا على المقتفين ءاثار رسول الله ﷺ». وقال (التصوف هو): «الخروج عن كل خلق دني، والدخول في كل خلق سني». وقال: «التصوف صفاء المعاملة». وسئل مرة عن التصوف فقال: «اسم جامع لعشرة معان، الأول: التقلل من كل شيء من الدنيا عن التكاثر فيها. والثاني: اعتماد القلب على الله عز وجل من السكون إلى الأسباب. والثالث: الرغبة في الطاعات من التطوع في وجود العوافي. والرابع: الصبر على فقد الدنيا عن الخروج إلى المسألة والشكوى. والخامس: التمييز في الأخذ عند وجود الشيء. والسادس: الشغل بالله[3] عزّ وجلّ عن

---

(١) أي تعريف التصوف السني.

(٢) أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، أصله من نهاوند في همدان، ومولده ومنشؤه ببغداد. قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي: «هو من أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة». صحب جماعة من المشايخ، وأشتهر بصحبة خاله السري السقطي، والحارث المحاسبي. ودرس الفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته وهو ابن عشرين سنة. توفي يوم السبت سنة ٢٩٧ هـ. قال أبو محمد الجريري: «كنت واقفًا على رأس الجنيد وقت وفاته، وكان يوم جمعة، وهو يقرأ، فقلت: «ارفق بنفسك» فقال: «ما رأيت أحدًا أحوج إليه مني في هذا الوقت، هو ذا تطوى صحيفتي». وقال أبو بكر العطار: حضرت الجنيد عند الموت، في جماعة من أصحابنا، فكان قاعدًا يصلي ويثني رجله، فثقل عليه حركتها، فمد رجليه وقد تورمتا، فرآه بعض أصحابه فقال: «ما هذا يا أبا القاسم»، قال: «هذه نعم، الله أكبر». فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريري: «لو اضطجعت»، قال: «يا أبا محمد، هذا وقت يؤخذ منه. الله أكبر». فلم يزل ذلك حاله حتى مات». وقال ابن عطاء: «دخلت عليه، وهو في النزع، فسلمت عليه، فلم يرد، ثم رد بعد ساعة، وقال: «اعذرني فإني كنت في وردي»، ثم حول وجهه إلى القبلة ومات. غسله أبو محمد الجريري، وصلى عليه ولده، ودفن بالشونيزيه، بتربة مقبرة الشيخ معروف الكرخي في بغداد، عند خاله سري السقطي. وصلى عليه جمع كثير من الناس، قدّر عددهم بالآلاف.

(٣) أي بطاعة الله.

سائر الأشياء. والسابع: الذكر الخفي عن جميع الأذكار. والثامن: تحقيق الإخلاص في دخول الوسوسة. والتاسع: اليقين في دخول الشك. والعاشر: السكون إلى الله عزّ وجلّ من الاضطراب والوحشة، فإذا استجمع الخصال استحق بها الاسم وإلا فهو كاذب». وقال: «ما أخذنا التصوف بالقال والقيل، ولكن أخذناه بالجوع والسهر، وترك المألوفات والمستحسنات» إ.هـ

وقال الشيخ تاج الدين السبكي: ونرى أن طريق الشيخ الجنيد وصحبه مقوم إ.هـ

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: «ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة، وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين في الهداية» إ.هـ

ويقول الإمام القشيري[1] في وصف الطائفة الصوفية: «فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه» إ.هـ

وأبو الحسن الفرغاني[2] يقول: «سألت أبا بكر الشبلي ما علامة العارف؟». فقال: «صدره مشروح، وقلبه مجروح، وجسمه مطروح». قلت: «هذه علامة العارف، فمن العارف؟». قال: «العارف الذي عرف الله عزّ وجلّ، وعرف مراد الله عزّ وجلّ على ما ورد في كتاب الله، وعمل بما أمر الله، وأعرض عما نهى الله، ودعا عباد الله إلى الله عزّ وجلّ». فقلت: «هذا العارف، فمن الصوفي؟». فقال: «من صفا قلبه فصفى، وسلك طريق المصطفى ﷺ، ورمى الدنيا خلف القفا، وأذاق الهوى طعم الجفا». قلت له: «هذا الصوفي، ما التصوف؟». قال: «تصفية القلوب لعلام الغيوب». قلت له: «أحسن من هذا ما التصوف؟». قال: «تعظيم أمر الله، والشفقة على عباد الله». فقلت له: «أحسن من هذا من الصوفي؟». قال: «من جفا عن الكدر، وخلص من

---

(١) الرسالة القشيرية (ص١٥).

(٢) هو شيخ الإسلام برهان الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الصديقي الفرغاني المرغيناني ولد سنة ٥١١ وتوفي سنة ٥٩٣.

العكر، وامتلأ من الفكر، وتساوى عنده الذهب والمدر»[١] وفي رواية: «من صفا عن الكدر وامتلأ من الفكر واستوى عنه الذهب والمدر»[٢] إ.هـ

وقال الحافظ أبو نعيم[٣]: «التصوف أحوال قاهرة، وأخلاق طاهرة، تقهرهم الأحوال فتأسرهم، ويستعملون الأخلاق فتظهرهم، تحلوا بخالص الخدمة، فكفوا عن طوارق الحيرة، وعصموا[٤] عن الانقطاع والفترة، لا يأنسون إلا بالله[٥]، ولا يستريحون إلا بحبه، فهم أرباب القلوب المراقبون للمحبوب، والتاركون للمسلوب، سلكوا مسلك الصحابة والتابعين، ومن نحى نحوهم من المتقشفين والمتحققين، والمميزين بين الإخلاص والرياء، والعارفين بالخطرة والهمة، والعزيمة والنية، والمحاسن للضمائر، والمحافظين للسرائر، المخالفين للنفوس، والمحاذرين من الخنوس[٦]، بدائم التفكر، وقائم التذكر، طلبًا للتداني، وهربًا من التواني، لا يستهين بحرمتهم إلا مارق[٧]، ولا

---

(١) أي التراب.

(٢) قاله الإمام سهل التستري. ذكره القشيري في الرسالة.

(٣) الحافظ الكبير محدث العصر المؤرخ المسلم الرحالة أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران المهراني الأصبهاني الصوفي الأحول، سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء. ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وأجاز له مشايخ الدنيا سنة نيف وأربعين وثلاثمائة وله ست سنين، فأجاز له من واسط المعمر عبد الله بن عمر بن شوذب، ومن نيسابور شيخها أبو العباس الأصم، ومن الشام شيخه خيثمة بن سليمان الأطرابلسي، ومن بغداد جعفر الخلدي وأبو سهل بن زياد وطائفة تفرد في الدنيا بإجازتهم.، ولد في أصفهان عام ٣٣٦ هـ وتوفي سنة ٤٣٠ هـ من مصنفاته (تاريخ أصبهان. وحلية الأولياء، تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة، دلائل النبوة، فضائل الخلفاء الأربعة وغيره) ت ٩٩٣. وفيات الأعيان، سير أعلام النبلاء، تذكرة الحفاظ.

(٤) حفظوا من أن يطردوا من فضله وكرمه لأنهم أحبابه.

(٥) أي يفرحون وتنشرح صدورهم بطاعة الله وذكر الله.

(٦) الخنوس: التأخر.

(٧) في اللغة هو الكافر.

يدعي أحوالهم إلا مائق[١]، ولا يعتقد عقيدتهم إلا فائق[٢]، ولا يحسن موالاتهم إلا تائق[٣]، لهم سرج الآفاق، والممدود إلى رؤيتهم بالأعناق، بهم نقتدي، وإياهم نوالي إلى يوم التلاق» إ.هـ

وقال معروف الكرخي[٤]: «التصوف هو الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق»[٥] إ.هـ

وقال الشيخ زكريا الأنصاري[٦]: «التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن، لنيل السعادة الأبدية»[٧] إ.هـ

وقال أبو بكر الطمستاني[٨]: «الطريق واضح، والكتاب والسنة قائمان بين أظهرنا، فمن صحب أي من تبع منا الكتاب والسنة، وتغرب عن نفسه والخلق، وهاجر بقلبه

---

(١) هو الأحمق.

(٢) أي المخلص.

(٣) أي مشتاق.

(٤) يكنى أبا محفوظ وهو منسوب الى كرخ بغداد توفي معروف في بغداد سنة ٢٠٠ هـ الموافق ٨١٥م ودفن فيها، في مقبرة الشونيزية والمعروفة باسم مقبرة باب الدير العتيقة على جانب الكرخ من مدينة بغداد، وسميت فيما بعد مقبرة الشيخ معروف. ويقال له قبر معروف الترياق المجرب.

(٥) ذكره القشيري في الرسالة.

(٦) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السُنَيْكي هو قاضٍ، محدث، فقيه، ومفسر شافعي. ولد سنة ٨٢٣هـ في بلدة سُنَيْكة شرقي مصر. أرسلته والدته بعد أن توفي أبوه مع الشيخ ربيع بن المصطلم السُلَمي إلى الأزهر، فتفرغ منذ حداثة سنه لتلقي العلم. من مصنفاته المطبوعة (فتح الرحمن في التفسير، الدقائق المحكمة في القراءات، تحفة الباري على صحيح البخاري في الحديث، وتنقيح تحرير اللباب في الفقه)، وغيرها من المصنفات والمخطوطات. توفي سنة ٩٢٦هـ في القاهرة عن عمر جاوز المائة سنة، ودفن قرب قبر الإمام الشافعي. الضوء اللامع، ج٣، ص٢٤٣-٢٣٨. البدر الطالع، ج١، ص١٧٥-١٧٦. شذرات الذهب، ج١٠، ص١٨٦-١٨٨.

(٧) ذكره القشيري في الرسالة.

(٨) أبو بكر الطمستاني أحد علماء أهل السنة والجماعة وأحد أعلام التصوف السني مات سنة ٣٤٠هـ قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي من أجل المشايخ وأعلاهم وكان مشايخ وقته يحترمونه كما في الطبقات الكبرى للشعراني ج ص ١٠٤.

إلى الله تعالى، فهو الصادق المصيب» إ.هـ

ويقول رويم بن أحمد[1]: «التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار» إ.هـ

وسئل أبو همام عبد الرحمن بن مجيب الصوفي عن الصوفي فقال: «فالصوفي لنفسه ذابح، ولهواه فاضح، ولعدوه جارح، وللخلق ناصح، دائم الوجل، يحكم العمل، ويبعد الأمل، ويسد الخلل، عَذَرُهُ بضاعة[2]، وحزنه صناعة، وعيشه قناعة، بالحق عارف، وعلى الباب عاكف، وعن الكل عازف»[3] إ.هـ

وسئل ذو النون المصري[4] عن الصوفي فقال: «من إذا نطق أبان نطقه عن

---

(١) أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، من أهل بغداد ومن جلة مشايخهم، كان عالما بالقرآن ومعانيه، وكان فقهيًا على مذهب داود بن علي الظاهري الأصبهاني، قال عنه جعفر بن أحمد الرازي إنه «أحد أئمة أهل زمانه. توفي سنة ٣٠٣ هـ.. من أقواله: «منذ عشرين سنة لا يخطر بقلبي ذكر الطعام حتى يحضر». «والصبر ترك الشكوى، والرضا استلذاذ البلوى، والتوكل إسقاط رؤية الوسائط». و«إذا رزقك الله المقال، والفعال، فأخذ منك المقال وأبقى عليك الفعال فإنها نعمة، وإذا أخذ منك الفعال، وأبقى عليك المقال، فإنها مصيبة، وإذا أخذ منك كليهما فهي نقمة وعقوبة». أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، دار الكتب العلمية، ط٢٠٠٣. ص١٤٧-١٥١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، ج٨، ص٢٤١. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ج١، ص٣٩. القشيري، الرسالة القشيرية، ص٢٠.

(٢) أي يتهم نفسه أنه ممن أهل التقصير.

(٣) ذكره أبو نعيم في الحلية.

(٤) ثوبان بن إبراهيم، وقيل: ابن الفيض بن إبراهيم، أبو الفيض المصري، أحد المشايخ المشهورين، وقد ترجمه ابن خلكان في الوفيات، وذكر شيئا من فضائله وأحواله، وأرخ وفاته في هذه السنة، وقيل في التي بعدها، وقيل في سنة ثمان وأربعين ومائتين، والله أعلم. وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن مالك، وذكره ابن يونس في تاريخ مصر، وقال: كان أبوه نوبيا، وقيل: إنه كان من أهل أخميم، مدينة مصرية تقع شرق نهر النيل وكان حكيما فصيحا. وسئل عن سبب توبته، فذكر أنه رأى قبَّرة عمياء أي من جبال النوبة بين مصر والسودان، نزلت من وكرها فانشقت لها الأرض عن سكرجتين من ذهب وفضة في إحداهما سمسم، وفي الأخرى ماء، فأكلت من هذه، وشربت من هذه. وقد شكى عليه مرة إلى المتوكل فأحضره من مصر إلى العراق، فلما دخل عليه وعظه فأبكاه،=

الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق»[1] إ.هـ

وقال سهل بن عبد الله التستري[2]: «أصول مذهبنا ثلاثة: اقتداء بالنبي بالأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأفعال»[3] إ.هـ وقال رجل لسهل التستري: «من أصحب من طوائف الناس». فقال له: «عليك بالصوفية، فإنهم لا يستكبرون ولا يستكثرون»[4] إ.هـ

وقال الإمام الرفاعيّ رضي الله عنه: «الصوفي هو الفقيه العامل بعلمه، وعلى هذا قالوا ما اشتهر في وصفهم: الصوفي من لبس الصوف على الصفا، وسلك طريق المصطفى، وأذاق النفس طعم الجفا، وكانت الدنيا منه على القفا». وقال رضي الله عنه: «قيل لهذه الطائفة الصوفية، واختلف الناس في سبب التسمية، وسببها غريب، لا يعرفه كثير من الفقراء، وهو أن جماعة من مضر يقال لهم بنو الصوفة، وهو الغوث بن مر بن أد، ابن طابخة الربيط، كانت أمه لا يعيش لها ولد، فنذرت إن عاش لها ولد، لتربطن برأسه صوفة، وتجعله ربيط الكعبة، وكانوا يجيزون الحاج، إلى أن منّ الله بظهور الإسلام، فأسلموا وكانوا عبّادًا. ونقل عن بعضهم حديث رسول الله ﷺ، فمن صحبهم سمي بالصوفي، وكذلك من صحب من صحبهم، أو تعبد ولبس الصوف مثلهم، ينسبونه إليهم فيقال «صوفي». ونوع الفقراء الأسباب، فمنهم من قال التصوف الصفاء، ومنهم من قال المصافاة، وغير ذلك، وكله صحيح من حيث معناه» إ.هـ

فالتصوف حاصله اتصاف بالمحامد، وترك الأوصاف المذمومة، مع الزهد،

= فرده مكرما، فكان بعد ذلك إذا ذكر عند المتوكل يثني عليه. البداية والنهاية، ج ١٠

(١) ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية.

(٢) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري وصفه أبو عبد الرحمن السلمي بأنه أحد أعلام أهل السنة وأحد أعلام التصوف السني أصله من تستر ولد سنة ٢٠٠هـ توفي سنة ٢٨٣ هـ طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص ١٦٦

(٣) ذكره القاضي عياض في الشفا.

(٤) ذكره الكلاباذي في التعرف لمذهب أهل التصوف.

في المأكل والملبس، وقبل ذلك كله الاقتداء بالنبي ﷺ، بأداء الفرائض واجتناب المحرمات. فالصوفية موصوفون بأنهم تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان، وهجروا الأخذان[1]، وساحوا في البلاد، وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد، وإنما ينالون من الطعام قدر ما يقيم الصلب للضرورة، كما قال النبي ﷺ: «**بحسب ابن ءادم أكلات يقمن صلبه**»[2].

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن ... إذًا لم يكن فيها معيش لظالم

لقد جاع فيها الأولياء كرامة ... وقد شبعت فيها بطون البهائم

وفي هذا بيان أن التصوف الحقيقي ليس فقط لبس الصوف، دون اتباع للشرع الشريف، بل الصوفي الحقيقي هو الذي يتبع الحق، ويؤدي حقوق الله عليه، وفي ذلك أنشدوا:

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ... ولا بكاؤك إن غنّى المغنونا

بل التصوف أن تصفوا بلا كدر ... وتتبع الحقّ والإسلام والدينا

فالصوفي من كان عاملا بشريعة الله تبارك وتعالى، وخالف هواه، من لا يتبع نفسه الهوى، في المأكل والمشرب والملبس، وغير ذلك، بل يقتصر على القدر الذي يحفظ صحة جسده من المأكل والمشرب والملبس، مع بذل الجهد في عبادة الله تبارك وتعالى في اداء الفرائض، والإكثار من النوافل.

وعلى هذا فإن طرق الصوفية طرق سنية، موافقة للشريعة المحمدية، وفي ذلك يقول الإمام الشعراني في كتاب لواقح الأنوار القدسية: «إياك أن تقول إن طرق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة، فإنها أخلاق محمدية»[3] إ.هـ

---

(١) جمع خذن، وهو الصديق المقرب المؤتمن على الأسرار.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) راجع كتابنا، التشرف بذكر أهل التصوف، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ. ص٦-٢٣.

وقد حكى العارف بالله الشعراني في مقدمة كتابه الطبقات إجماع القوم على أنه لا يصلح للتصدر في طريق الصوفية إلا من تبحر في علم الشريعة وعلم منطوقها ومفهومها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها، وتبحر في لغة العرب حتى عرف مجازاتها واستعاراتها وغير ذلك.

والحكمة في هذا الإجماع الذي حكاه الشعراني ظاهرة لأن الشخص إذا تصدر للمشيخة والإرشاد اتخذه المريدون قدوة لهم ومرجعًا يرجعون إليه في مسائل دينهم، فإذا لم يكن متقنًا لعلم الشرع متبحرًا فيه قد يضل المريدين بفتواه فيحل لهم الحرام ويحرم عليهم الحلال وهو لا يشعر، أيضًا فإن أغلب البدع القبيحة والخرافات إنما دخلت في الطريق بسبب كثير من المشايخ الذين تصدروا بغير علم ونصبوا أنفسهم للإرشاد من غير أن يكونوا مستحقين لهذا المنصب الجليل، ولذلك تجد الكثير من المنتسبين إلى التصوف اليوم وإلى طرق أهله قد أعماهم الجهل فيظنون أنهم بمجرد أخذهم لطريقة صوفية معينة يرتقون إلى أعالي الدرجات، وبمجرد قراءتهم للأوراد يصلون إلى مقام الإرشاد، وفي نفس الوقت يهملون تعلم العلوم الشرعية الضرورية وتطبيقها، فيتخبطون في الجهل والفساد وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ويدخلون في طريق القوم البدع الفاسدة والفتاوى الشاذة والأقوال الضالة التي ما أنزل الله بها من سلطان ويزعمون أن هذا من الأسرار التي لا يطلع عليها إلا أهل الباطن ولا يفهمها أهل الشريعة الذين هم أهل الظاهر، وإذا قدّم لهم شخص نصيحة يقولون: أنتم أهل الظاهر ونحن أهل الباطن لا تفهمون هذا، فلذلك سماهم أهل العلم والصوفية الصادقون بالمتصوفة أي أدعياء التصوف، ويكفي في الرد عليهم قول الإمام الرفاعي: «كل طريقة تخالف الشريعة فهي زندقة» إ.هـ وقال رضي الله عنه: «شيدوا أركان هذه الطريقة المحمدية بإحياء السنة وإماتة البدعة» إ.هـ، وقال: «كل الآداب منحصرة في متابعة النبي ﷺ قولا وفعلا وحالا وخلقًا، فالصوفي ءادابه تدل على مقامه، زنوا أقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه بميزان الشرع» إ.هـ، وقال: «أيها الصوفي لم هذه البطالة؟ صر صوفيا حتى نقول لك: أيها الصوفي» إ.هـ وقال: «لا تقولوا كما يقول بعض المتصوفة:

نحن أهل الباطن وهم أهل الظاهر، هذا الدين الجامع باطنه لبّ ظاهره، وظاهره ظرف باطنه لولا الظاهر لما بطن، لولا الظاهر لما كان الباطن ولما صح، القلب لا يقوم بلا جسد بل لولا الجسد لفسد، والقلب نور الجسد. هذا العلم الذي سماه بعضهم بعلم الباطن هو إصلاح القلب» ثم قال: «فإذا تعين لك أن الباطن لب الظاهر والظاهر ظرف الباطن ولا فرق بينهما ولا غنى لكليهما عن الآخر، فقل: نحن من أهل الظاهر وكأنك قلت ومن أهل الباطن. أيُّ حالة باطنة للقوم لم يأمر ظاهر الشرع بعملها؟ أيُّ حالة ظاهرة لم يأمر ظاهر الشرع بإصلاح الباطن لها» إ.هـ

فعلى ما ذكر يتبين أن كل بدعة تراها في الطرق السائرة فلك أن تعرض ما تراه وتسمعه فيها من البدع القولية أو الفعلية على قواعد الشرع فإن لم توافقه فانبذها، قال السيد أحمد الرفاعي: «كل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة، إذا رأيتم شخصًا تربع في الهواء فلا تلتفتوا إليه حتى تنظروا حاله عند الأمر والنهي» إ.هـ، أي يوزن أفعاله وأقواله بميزان الشرع فإن لم يوافقها فيترك، وقال رضي الله عنه: «سَلّم للقوم أحوالهم ما لم يخالفوا الشرع، فإن خالفوا الشرع فكن مع الشرع» [1] إ.هـ

(١) – إجابة الداعي إلى بيان اعتقاد الإمام الرفاعي (دار المشاريع– الطبعة الأولة ١٤١٧ هـ ص ٦–٩).

من هو الصوفي

قال بشر بن الحارث: «الصوفي من صفا قلبه لله»[1] إ.هـ

وقال بعضهم: «الصوفي من صفت لله معاملته فصفت له من الله عز وجل كرامته»[2] إ.هـ

وقيل لبعضهم من الصوفي؟ فقال: «الذي لا يَمْلِكُ ولا يُمْلَك» يعني لا يَسْتَرِقُّه الطَّمَع إ.هـ

وقال آخر: «هو الذي لا يَمْلِكُ شيئًا وإن مَلَكَه بَذَلَه»[3] إ.هـ

وسُئِل سهلُ بن عبد الله التُّستَري: مَن الصّوفي فقال «مَن صَفَا مِنَ الكَدَر وامتلأ مِن الفِكَر وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهبُ والمَدَر» إ.هـ

وسُئل الجنيد سيد الطائفة الصوفية عن التصوف فقال: «تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية واستعمال ما هو أَوْلَى على الأبدية والنُّصح لجميع الأمّة والوفاء لله على الحقيقة واتباع الرّسول ﷺ في الشريعة» إ.هـ

وقال ابن الحاج المالكي:

ليس التصوفُ لبسَ الصوف تَرقعُه ... ولا بكاؤك إن غنّى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب ... ولا اختباط كأن قد صرتَ مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر ... وتتبع الحق والقرءان والدِّينا
وأن تُرى خاشعًا لله مكتئبًا ... على ذنوبك طولَ الدهر محزونا إ.هـ

وقال أبوعلي الروذباري الصوفي من لبس الصوف على الصفا، وأطعم الهوى ذوق

---

(١) ذكره الكلاباذي في التعرف لمذهب أهل التصوف.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الجفا، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك منهاج المصطفى» إ.هـ

فمن هذه الأقوال الذهبية والدرر الماسية يتبين لنا أن التصوف الحقيقي ليس مجرد جبة صوف وضرب دفوف وتمايل صفوف ووضع الشرع على الرفوف، بل إن التصوف الحقيقي هو كما قال السيد أحمد الرفاعي الكبير: «**طريقنا علم وعمل**» علم بالأحكام الشرعية وأعلاها وأوجبها علم العقيدة المتعلق بمعرفة ما يجب لله من الصفات وما يستحيل عليه من الصفات ومعرفة أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم وما يجب لهم وما يستحيل عليهم وعمل بالأحكام الشرعية من صلاة وصيام وحج وزكاة إلى غير ذلك من الواجبات.

قال الشيخ الحافظ المحدث الإمام الهرري رفاعي عصره وشيخ رفاعية زمانه رحمه الله ورضي عنه في تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ١٨﴾ [سورة الحجرات] «**أي لينظر المرء ما يعد ويقدم لآخرته من العمل الصالح، والآخرة ينفع فيها تقوى الله. والتقوى هي أداء الواجبات واجتناب المحرّمات، ومن جملة الواجبات تعلم العلم الشرعي، فلا يكون العبد من المتقين ما لم يتعلم ما فرض الله على عباده معرفته من علم دينه، فلا يكون مثل هذا مُتقيًا مهما أتعب نفسه في العبادات وجاهد نفسه بتحمل مشقات العبادة وكفها عن هواها.**

وأكثر المتصوفة اليوم لا يطلبون العلم الشرعي إلى القدر الكافي إنما يميلون إلى الإكثار من الذكر فهؤلاء لا يصيرون من أولياء الله الصالحين مهما تعبوا ومهما صحبوا أولياء الله وخدموهم إلا إذا أتتهم نفحة فيتعلمون ويعملون في العمل، فهؤلاء من أهل العناية، وأما الذين بقوا على ما هم عليه من الجهل وظنوا أنهم يصلون إلى الله بالذكر ومحبة الأولياء فهؤلاء مخدوعون» إ.هـ

فيجب الحذر من بعض أدعياء التصوف الذين شوهوا صورة التصوف الإسلامي الحقيقي فأسقطوا الواجبات وأباحوا المحظورات ومن هؤلاء فرقة تسمى التجانية ظهرت في المغرب منذ نحو مائتي وسبعين سنة تنتسب إلى الشيخ أبي العباس التيجاني

رحمه الله الذي هو بريء مما ألصق بطريقته من التحريف والشذوذ؛ فإنه كان عالما أشعريًّا. يقول هؤلاء المحرفون في كتبهم: «إن الذي يأخذ طريقتنا يصير أفضل من القطب من غيرنا»، وهذا خلاف قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [١٣] فالإنسان تكون منزلته أعلى عند الله بحسب التقوى، فمن كان أتقى لله يكون عند الله أعلى درجة ولو لم يكن له طريقة يلتزمها، ويقولون في بعض مؤلفاتهم: «إن الشيخ أبا العباس التيجاني أفضل أولياء الله من أيام آدم إلى أن تقوم الساعة»، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم فإن الإجماع منعقد على أن أفضل أولياء الأمة هم أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة ثم أهل بدر وأهل بيعة الرضوان ثم بقية الأكابر من أولياء الصحابة والتابعين كأويس القرني الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «**إن خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر من قرن ثم من مراد**» الحديث رواه مسلم وغيره. ثم بعد ذلك أولياء الله الذين منهم السيد أحمد الرفاعي الكبير والسيد عبد القادر الجيلاني والسيد أحمد البدوي وأمثالهم.

ومن الفرق المنحرفة التي يجب الحذر منها فرقة تسمى الشاذلية اليشرطية، وهؤلاء ينتسبون إلى الشيخ علي نور الدين اليشرطي وهو مغربي الأصل نزل في عكا في فلسطين وكان رجلًا صالحًا من أصحاب الكرامات انتشرت طريقته في بعض البلاد كلبنان وسوريا، فحرّفها بعض من ينتسب إليه وأدخلوا فيها ما لم ينزل الله به من سلطان بل إنهم وقعوا في أكفر الكفر فقالوا: إن الله داخل في كل شخص منا رجل أو امراة في كل فرد من أفراد البشر، هكذا يعتقدون. وحرّفوا قول الله تعالى ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ يقولون: «القيوم معناه القائم فينا»، ثم شيخهم لما علم بهذا التحريف تبرأ منهم وسلم مشيخة الطريقة في لبنان إلى مفتي بيروت ءانذاك الشيخ مصطفى نجا رحمه الله الذي كان من علماء لبنان والأولياء الأجلاء فصار يُحذّر منهم، ومن هذا التحريف والشطحات المهلكة.

وإنما دخل هذا الفساد على بعض المتصوفة بسبب قلة العلم وعدم اتباع الشرع المحمّدي لذلك كان لزاما علينا أن نبين عقيدة الصّوفية ومنهجهم الصحيح.

بيان معنى البدعة والسنة لغة واصطلاحا

اعلم أنّ البدعة في اللغة هي ما أحدث على غير مثال سابق سواء كان خيرا أم شرّا. قال الأزهريُّ في التهذيب: «أخبرني المنذري الحراني عن ابن السكّيت قال البدعة كل محدثة» إ.هـ ثم قال: «وأفادني المنذري لأبي عمرو الدوري عن الكسائي قال البدع في الخير والشرّ» إ.هـ وقال ابن دريد في جمهرته: «بدعت الشيء إذا أنشأته والله عزَّ وجلَّ بديع السموات والأرض أي منشؤها» إ.هـ ثم قال: «وكلُّ من أحدث شيئا فقد ابتدعه والاسم بدعة والجمع بدع» إ.هـ

وأما السُّنة في اللغة فهي الطريقة كما حكاه الأزهري في التهذيب وغيرُهُ ومنه قوله «لتتبعنَّ سنَنَ الذين من قبلكم» أي طرقهم.

وأما في الاصطلاح فالسنّة والبدعة معناهما واحد وهو المحدث الذي لم ينصَّ عليه القرءان ولا السنة سواء كان خيرا أم شرّا، فقد روى أبو نعيم عن إبراهيم بن الجنيد قال سمعت الشافعي يقول: «البدعة بدعة محمودة وبدعة مذمومة فما وافق السنّة محمود وما خالف السنّة مذموم» إ.هـ، وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: «البدعة – بكسر الباء – في الشرع هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة» إ.هـ ولكن جرى بعد ذلك إطلاق البدعة على المحدثة المخالفة للشرع والسنة على المحدثة الموافقة له تأسيا بخبر مسلم من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعا «إنّ خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشرُّ الأمور محدثاتها وكلّ بدعة ضلالة» وخبر مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي مرفوعا: «من سنَّ في الإسلام سنّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء».

بيان
فيما تنقسم إليه البدعة

البدعة من حيث الإجمال تنقسم إلى قسمين بدعة هدى وبدعة ضلالة والسبيل إلى معرفة ذلك أن تعرض المحدثة على قواعد الشريعة فإن وافقتها فهي بدعة هدى وإلا فبدعة ضلالة كما أوضحه الشافعي فقال فيما رواه عنه البيهقي في المناقب: «المحدثات ضربان ما أُحدث مما يخالف كتابا أو سنّة أو أثرا أو إجماعا فهذه بدعة ضلالة» إ.هـ ويعني رضي الله عنه بالكتاب القرءان وبالسنة سنَّة النبي ﷺ وبالأثر ما ورد عن النبي ﷺ وعن الصحابة الكرام وبالإجماع اتفاق أهل الحَلّ والعقد على حكم الحادثة.

وأما من حيث التفصيل فإنّ البدعة تنقسم إلى واجبة ومندوبة ومباحة ومكروهة ومحرّمة، وذلك أنّ أفعال العباد كائنة ما كانت تندرج تحت الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام فيدخل في جملتها ما أحدثه الناس بعد الرسول ﷺ، وقد أفاد ذلك سلطان العلماء عزّ الدين بن عبد السلام ونقله عنه النووي في تهذيب الأسماء واللغات وأقره عليه ونصّه: «قال الإمام المجمع على إمامته وجلالته وتمكنه في أنواع العلوم وبراعته أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله ورضي عنه في آخر كتاب القواعد البدعة منقسمة إلى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة قال والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة أو في قواعد التحريم فمحرَّمة أو الندب فمندوبة أو المكروه فمكروهة او المباح فمباحة» انتهى نقل النووي.

فإذا عُقل هذا قلنا من البدع الواجبة نصب الأدلة للرد على أهل الفرق الضالة والذبّ عن دين الله عز وجل وهو من آكد الواجبات وأقرب القربات. ومنها الاشتغال بعلم النحو والصرف والبلاغة وغير ذلك من العلوم التي يفهم بها كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وإنما كان ذلك واجبا لأنّ حفظ الشريعة واجب ولا يتأتى حفظها من شبه

المغرضين مع الإعراض عن تلك العلوم وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ومنها الكلام في الجرح والتعديل وتمييز الصحيح من السقيم وغير ذلك مما لا نطيل الكلام في ذكره حذرا من الخروج عن غرض الكتاب.

ومن البدع المندوبة إحداث الرُّبُط والمدارس وصلاة ركعتين قبل القتل كما سنّه خُبيب بن عديّ ونَقط المصحف وكلُّ إحسان لم يُعهد في الصدر الأول وسنأتي على ذكر لها بعد ذلك بإذن الله تعالى في أبواب أخر.

ومن البدع المباحة أكل كل طعام حلال لم يُعهد في زمن النبي ﷺ ولبس الثياب التي لم يعهد مثلها قبلا إن خلت عن التشبه بالقوم الكافرين، وعدَّ العزُّ بن عبد السلام منها المصافحة عقب صلاة الصبح والعصر والتوسع في اللذيذ من المآكل والمشارب والملابس والمكاسب ولبس الطيالسة وتوسيع الأكمام كما نقله عنه الحافظ ابن حجر في الفتح ثم قال: «وقد يكون بعض ذلك مكروها أو خلاف الأولى» قال شيخنا: «قلت إنّ التوسع بالمآكل والمشارب مكروه» إ.هـ

ومن البدع المكروهة زخرفة المساجد وتزويق المصاحف وكتابة (ص) أو (صلعم) بعد ذكر النبي ﷺ.

ومن البدع المحرّمة إنكار القدرية خلق الله أفعال العباد وإنكار الجبرية اختيار العبد وما ادعاه المرجئة والمجسّمة والردُّ على هؤلاء واجب لذلك نستطرد إلى ذكر مقالاتهم ونفنّدها على طريق الاختصار فنقول:

أما القدرية فهم قوم ينتحلون عقيدة شذّوا بها عن الأمة كلّها حيث إنّهم يزعمون أنّ الإنسان هو يخلق أعماله الاختيارية بقدرة أعطاه الله إياها وليس الله يخلقها وهذه المقالة يجب تكفيرهم عليها لما أنهم خالفوا بها العقل ونصوص القرءان والأحاديث الصحيحة الثابتة فأما العقل فإنّ البرهان قد قام على نفي وجود إله غير الله عز وجل وهم أثبتوا خالقِين لا يحصى عديدهم فحَقَّ أن تكون نحلتهم غير ما دعى إليه الرسول ﷺ لأنّ النبي لا يدعو إلى ما يرده العقل ولا يقبله، وأما القرءان فقد قال الله تعالى

﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الرعد] وقال ﴿ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة لقمان] وقال ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة القمر] وغير ذلك من الآيات التي تكذب مقالهم، وأما الحديث فقد صحّ فيما رواه أبو داود مرفوعا «القدرية مجوس هذه الأمة» وعنده من طريق حذيفة مرفوعا كذلك «لكل أمّة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر» وهذا الحديث مشهور يحتج به في العقيدة. والردود على أهل هذه الفرقة كثيرة وقد أفرد العلماء للرد عليهم المصنفات وإن لم تقنع بما تقدم ففي شرح الصراط لشيخنا الهرري ما يكفيك المؤنة بإذن الله تعالى وبه الحول وإليه المشيئة.

وأما الجبرية فهم قوم يزعمون أنّ العبد لا اختيار له ألبتة بل أمره كالريشة المعلقة في الهواء تذهب بها الريح وتجيء، وهؤلاء بديهة العقل تردُّ مقالهم إذ إنَّ العبد يعرف من نفسه الفرق بين ما يعمله بقصد واختيار كالصلاة والحج وبين ما لا اختيار له فيه كرعشة المرتعش وكفى بذلك شاهدا ودليلا على ما نقوله معشر أهل السنة والحمد لله.

وأما المرجئة فهم قوم يزعمون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهي مقالة قد احتوت على قياس فاسد لا نور عليه ولا برهان له فإنّهم جعلوا الأصل أنه لا ينفع مع الكفر طاعة وهو أصل صحيح دلّت عليه النصوص القرءانية والحديثية ثمّ قاسوا عليه الذنب مع الإيمان فقالوا إنه لا يضرّ من غير ما علة منصوص عليها أو مستنبطة تجمع بينه وبين الأصل المتقدم إلا الهوى وتتبع الشهوات مع أنَّ النصوص دالة على فساد هذا القياس لأنّ الله تعالى توعد العصاة من المؤمنين فقال ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الماعون] وقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة النساء] وغير ذلك من الآيات فوجب المصير إلى بطلان هذه المقالة.

وأما المجسمة فهم قوم يزعمون أنَّ اللَّه جلَّ وعلا جسم[1] والعياذ باللَّه تعالى واستندوا في مقالتهم إلى حجة واهية وهي أنَّه في الشاهد ما من موجود إلا وهو جسم أو عرض وإثبات قسم ثالث غيرهما مما لا يقبله العقل ولما استحال أن يكون اللَّه عرضا وجب أن يكون جسما وهي مقالة منشؤها قياس الخالق على المخلوق إذ إنهم جعلوا اللَّه مقيسا على ما رأته عيونهم من الحادثات وهو قياس لا يخفى على ذي عقل فساده وأما دعواهم أنّ العقل لا يدرك قسما ثالثا فنقول هو يعقل موجودا ليس بجسم ولا عرض ولكنَّ الوهم لا يتخيله وتقريب ذلك أنّ العقل يقبل بوجود زمن لم يكن فيه نور ولا ظلام لإدراكه أنَّ كلا منهما حادث مخلوق وأنهما ليسا بأول المخلوقات ثم يعجز الوهم عن تصور ذلك لأنه لم يحط بزمن لا نور فيه ولا ظلام، فالسبيل الحقُّ أن يقال إنّ صانع العالم لو كان مشابها له لجاز عليه ما يجوز على العالم من الحدوث والفناء من باب لا فارق وكلٌّ منهما مستحيل على اللَّه تعالى فوجب أن لا يكون جسما، بل إنّ القائل بالجسم لا يقدر أن يثبت حدث العالم فإن كلَّ دليل عقلي ينتهض به لإثبات حدوث العالم يعكسه خصمه عليه ويُلزمه به حدوث معبوده الذي يدعي أنه أزليّ... وهذه المقالة يجب إكفار قائلها لأنه عابد صنم إذ إنه يبذل صلاته وصيامه ودعاءه ورجاءه وعبادته إلى جسم تخيل أنه موجود فوق العرش فلا فرق بينه وبين عابد الصنم إلا أنَّ عابد الصنم يعبد صنما منحوتا يراه بعينه وذاك يعبد صنما متوهما يتخيله وكلٌّ منهما باذل للعبادة إلى غير مستحقها... ولنا في الكلام على المجسمة كتاب وسمناه «بنقل الإجماع الحاسم في بيان حكم الجهوي والمجسم» وهو مهمّ بما اشتمل عليه من النقول عن أئمة أهل السنة فارجع إليه إن لم ترتو بهذه العُجالة فإنه شافٍ كافٍ شفى وكفى ووفى في موضوعه واللَّه المستعان.

وإذا عقلت كلَّ ما قدّمناه لك في الكلام على البدع وأقسامها ووعيت أنّ البدعة والمحدث ليسا مذمومين للفظ بدعة ومحدث ولا لمعنييهما بل يذمُّ منهما ما يخالف

(١) والجسم هو المركب من طول وعرض وعمق وسمك وصورة وتأليف كما جاء عن الإمام أحمد.

القراءن والسنّة شرعنا في ذكر ما يسوقه هؤلاء من الشبه حول هذه المسألة ثم نفندها بإذن الله فنقول:

إنَّ معتمدنا ومستندنا على تقرير البدعة الحسنة هو القرءان والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم. أما القرءان فقوله تعالى ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الحديد] فإنَّ هذه الآية يستدلُّ بها على البدعة الحسنة لأنّ الله مدح فيها الذين كانوا مسلمين مؤمنين من أمة عيسى عليه السلام لأنهم كانوا أهل رأفة ورحمة ولأنهم ابتدعوا الرهبانية وهي الانقطاع عن الشهوات رغبة في تجردهم للعبادة.

فإن قيل: إنَّ قولكم هذا بنيتموه على أنَّ قوله تعالى ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ مَعطوف على قوله ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ ونحن نقول إنه منصوب على الاشتغال فالواو حرف استئناف لا حرف عطف وإذا سلمتم لنا هذا فإنّ الله لم يمدحهم على الرهبانية بل ذمهم عليها ألا ترى أنه قال بعد ذلك ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾. قلنا هذا الكلام منتقض من غير وجه:

• أوّلها: أنّ القرءان ينزّل على أعلى الإعرابات وأرفعها فإنّ الخوض في إعرابه ليس كالخوض في إعراب «قفا نبك» ولا «بانت سعاد»، وإن وافقتم على هذا فلا شكَّ أن العطف أرفع من الاشتغال لعدم افتقاره في إتمام المعنى إلى تقدير. ويساعد هذا الوجه أنَّ الوقف في القراءة إنما هو عند قوله تعالى ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ كما حكاه الزركشي في البرهان ولو كانت الواو استئنافية لكان الوقف عند قوله ﴿وَرَحْمَةً﴾.

• ثانيها: أنّ قوله ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ﴾ نكرة لا مخصص لها فلا يسوغ الابتداء بها، وإذا سلّمتم لنا هذا فإنّ جواز الاشتغال مبني على جواز الإعراب رفعا ونصبا كما نصَّ عليه أئمة أهل هذا الفنّ وإذا سقط وجه الرفع سقط الاشتغال من أصله وامتنع تقدير

فعل ناصب فبقي أنّ النصب على العطف. قلتم بل هي كما في قوله تعالى ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ بقراءة النصب قلنا التنكير فيها للتعظيم فالمعنى سورة عظيمة أنزلناها فصارت بمعنى النكرة الموصوفة ولم تعد نكرة محضة فجاز الابتداء بها أما التنكير في قوله تعالى ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً﴾ فهو محض ليسوغ عطفه على ما قبله فتدبر.

• ثالثها: أنه لو فُرِضَ تنزيلا الوجه الذي ادعيتموه فإنّ الآية تبقى شاهدا لنا عليكم فإنَّ اللَّه تعالى لم يذمّهم على أصل الابتداع بل ذمّهم على عدم رعايتها حق الرعاية ألا ترى أنه قال ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ .

وأما السنّة فمنها ما رواه مسلم من حديث جرير رضي اللَّه عنه أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**من سنَّ في الإسلامِ سنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء**» الحديثَ فإنَّ الرسول نصَّ فيه على مشروعية السنَّة الحسنة الموافقة للكتاب والسنة.

فإن قيل هذا الحديث معارض بخبر «**كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**» فيلزم الترجيح بين الخبرين ونحن ترجّح عندنا الخبر المذكور. قلنا إنّ القول بالترجيح لا يصار إليه إلا عند عدم إمكان الجمع، والجمع بين الخبرين ممكن بأن يقال إن عموم خبر «**كل بدعة ضلالة**» يخصصه خبر «**من سنَّ في الإسلامِ سنَّة حسنة**» الحديثَ، وهذا ما نصَّ عليه النووي في شرح مسلم فإنه قال: «وَفِي هَذَا الحَدِيثِ تَخْصِيصُ قَولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ وَأَنَّ المُرَادَ بِهِ المُحدَثَاتُ البَاطِلَةُ وَالبِدَعُ المَذمُومَةُ".

فإن قيل هذا اللفظ وارد على سبب وهو أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَهُ قَومٌ مِن مُضَرَ حُفَاةٌ عُرَاةٌ فَتَمَعَّرَ وَجهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِم مِنَ الفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلى آخِرِ الآيَةِ وَتلا قول اللَّه تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُر نَفسٌ مَا قَدَّمَت لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [سورة الحشر – ١٨] ثم قال «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِن دِينَارِهِ مِن دِرهَمِهِ مِن ثَوبِهِ

مِن صَاعِ بُرِّهِ مِن صَاعِ تَمرِهِ» حَتَّى قَالَ: «وَلَو بِشِقِّ تَمرَةٍ» فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنصَارِ بِصُرَّةٍ فتصدق بها ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ. فالحديث وارد على سبب فيخص به ولا يدعى عمومه. قلنا بل يدعى عمومه لأنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما حكاه جمهور أهل أصول الفقه واعتمدوه وذلك لأنّه قد اشتهر عن الصحابة ومن بعدهم التمسك بالعمومات الواردة في الحوادث ولم يقصروا الأحكام فيها على تلك الأسباب.

ومن الأحاديث التي يتسمك بها ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**» فإنَّ النبي نصَّ على بطلان العمل الذي لا يكون عليه أمر المسلمين أي ما كان مخالفا للشريعة فدلَّ على أنّ ما كان موافقا لها لم يكن مردودا بل يكون مقبولا. وهذا الحديث أيضا يقيد إطلاق خبر «كل بدعة ضلالة» بما كان مخالفا لشرع الله عز وجل.

فإن قيل لكن هذا الاستدلال استدلال بدليل الخطاب وهو مختلف فيه ونحن ممن لا يقول بجوازه. قلنا هب ذلك فإنَّ الحكم الوارد في الحديث هو حكم المحدَث المخالف للشرع فيبقى المحدث الموافق مسكوتا عليه ويستفاد حكمه حينئذ من دليل آخر وهو خبر «**من سنَّ في الإسلامِ سنَّة حسنة**» الحديث.

وأما إجماع الصحابة فقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة يفيد مجموعها التواتر المعنوي أنَّ الصحابة منهم من أحدث أعمالا أو أذكارا أو أدعية أو غير ذلك لم يسبق للرسول أن فعلها وسنسوقها لك منها ما يحتمله المقام بإذن الله:

١- فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث رفاعة بن رافع قال: كنا نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال: «**سَمِعَ اللَّهُ لمن حمده**» فقال رجل وراءه: «ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه» فلمّا انصرف قال: «**من المتكلم**» فقال: «أنا» فقال: «**رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها**» إ.هـ قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «يستدلُّ به على جواز إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور إذا كان غير مخالف للمأثور» إ.هـ

٢- ومنها ما رواه الصنعاني عبد الرزاق في المصنف عن ابن عمر قال: جاء رجل والناس في الصلاة فقال حين وصل إلى الصف: «الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا» فلما قضى النبي ﷺ صلاته قال: «من صاحب الكلمات» فقال الرجل: «أنا يا رسول لله، والله ما أردت بها إلا الخير» فقال النبي: «**لقد رأيت أبواب السماء فتحت لهنّ**» إ.هـ وفيه أنَّ النبي ﷺ لم ينكر على الرجل مجيئه بذكر لم يسمعه من النبي ﷺ.

٣- وأخرج البخاري عن أنس قال: إنَّ النبي ﷺ مرَّ على أعرابي وهو يدعو في صلاته: «يا من لا تراه العيون[1] ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر ويعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطرات الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ولا تواري سماء سماء ولا أرض أرضا ولا بحر ما في قعره ولا جبل ما في وعره اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم ألقاك فيه» فوكّل رسول الله ﷺ بالأعرابي رجلا فقال: «**إذا صلى فائتني به**» وكان قد أُهدي إلى النبي ﷺ ذهب من بعض المعادن فلما أتاه الأعرابي وَهب له الذهبَ وقال: «**ممن أنت يا أعرابي**» فقال:» من بني عامر بن صعصعة يا رسول الله» فقال: «يا أعرابي هل تدري لم وهبت لك الذهب» فقال: «للرحم التي بيني وبينك» فقال ﷺ: «**إنّ للرحم حقا ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله**» إ.هـ قال في مجمع الزوائد: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد الأذرمي وهو ثقة» إ.هـ وفيه أنّ الرسول أقرَّ الرجل على الثناء الذي أحدثه وزاده إكراما لحسن ثنائه.

٤- ومنها ما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص أنَّ رجلا جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فقال حين انتهى إلى الصف: «اللهمَّ إني أسألك أفضل

---

(١) أي في الدنيا.

ما تؤتي عبادك الصالحين» فلمَّا قضى رسول الله ﷺ قال: «**من المتكلم آنفا**» فقال الرجل: «أنا يا رسول الله» فقال: «**إذًا يعقر جوادك وتستشهد في سبيل الله**» إ.هـ

٥- ومنها أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحدث الاجتماع في التراويح فصاروا يصلونها في جماعة في المسجد بإمامة أبيّ بن كعب رضي الله عنه تنفيذا لأمره. وقد قال رضي الله عنه حين رأى القوم يصلون مجتمعين: «نِعمتِ البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل» يعني القيام من آخر الليل. والقصة في صحيح البخاري. ومن أعجب ما أورده هؤلاء على هذا الدليل أنّ عمر أراد بالبدعة اللغوية لا الشرعية قالوا ولا إشكال فيه لأنّ هذا له أصل وهو أنّ النبي كان يصلي التراويح في الناس ثم ترك وما كان له أصل فهو جائز، قلت هذا المسكين فرّ من الدبّ إلى الجبّ لأنّ قوله هذا حجة عليه لا له فإنّ فيه إقرارا على أنّ ما له أصل في الشرع يجوز عمله وإن لم يفعله رسول الله أو ينص عليه وهذا عين ما ندعيه بل ونحتج به عليه في هذا الخبر ... ثمّ إن لم يكن جَمعُ عمرَ الناسَ على إمام واحد في صلاة التراويح بدعة فليت شعري ما هي البدعة؟ أليس يدعون أن كل محدث لم يفعله رسول الله يكون حراما وبدعة؟ فهل يبدعون عمر أو يدعون أنهم فهموا حديث رسول الله ولم يفهمه أو يبدعون الصحابة لسكوتهم عنه أو يقرون بأنهم خرجوا بدعواهم هذه عن جماعة المسلمين.

٦- ومنها ما في الموطأ ونصُهُ: وحدَّثني عن مالك أنه بلغه أنَّ المؤذن جاء إلى عمر يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائما فقال: «الصلاة خير من النوم» فأمره عمر أن يجعلها في أذان الصبح.

٧- وقد أشار عمر على أبي بكر رضي الله عنه بجمع القرءان في صحف حين كثر القتل بين الصحابة في وقعة اليمامة فتوقف أبو بكر وقال: «كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ» فقال عمر: «هو والله خير» فلم يزل عمر يراجعه حتى

شرح الله صدره له والقصة مبسوطة في صحيح البخاري. وفيه قول عمر: «هو والله خير» فيؤيد ما قدمناه من أنّ المحدث إذا كان موافقا لقواعد الشرع فهو ممدوح وكفى بتسمية عمر لذلك بالخير وفيه أنّ أبا بكر وعمر قد اتفقا على جمع المصحف واستحسنا ذلك مع أنّ الرسول لم يكن فعله والله أعلم.

٨- وقد زاد عثمان بن عفان رضي الله عنه الأذان الثاني يوم الجمعة في السوق لما كثر الناس. ففي صحيح البخاري عن السائب بن يزيد قال: «كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما كان عثمان رضي الله عنه وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء وهي دار في سوق المدينة» إ.هـ

٩- وقد سنَّ خبيب بن عدي صلاة ركعتين عند القتل والحديث بطوله في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٠- وقد نقط يحي بن يعمر المصاحف وهو رجل من التابعين ذكر ذلك عبد الله ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف.

فهذه عشرة أحاديث يحقق كل منها المراد وستأتي في الأبواب القادمة جملة وافرة من الأحاديث يصلح الاستشهاد بها هنا ولكننا ادخرناها لموضعها والله المستعان.

بيان
أنَّ مجرد الترك لا يقتضي التحريم

والخوض في ذلك من مباحث أصول الفقه وإنما استطرقت إليه لأنه أحد العمودين الذين قامت عليهما دعوى أولئك بتحريم الاحتفال بالمولد النبوي وسأبين لك خلاصة القول في ذلك بإذن الله فأقول وبالله العصمة والتوفيق:

إنّ من المعلوم بالضرورة أنّ النبي ﷺ لم يفعل جميع المندوبات لاشتغاله بمهام عظام استغرقت معظم وقته كتبليغ الدعوة ومجادلة المشركين والكتابيين وجهاد الكفار لحماية بيضة الإسلام وعقد معاهدات الصلح والأمان والهدنة وإقامة الحدود وإنفاذ السرايا للغزو وبعث العمال لجباية الزكاة وتبليغ الأحكام وغير ذلك مما يلزم لتأسيس الدولة الإسلامية وتحديد معالمها ... بل ترك النبي ﷺ بعض المندوبات عمدا مخافة أن يفرض على أمته أو يشقَّ عليهم إذا هو فعلها ... وأيضا لأنه ﷺ كان يكتفي بالنصوص العامة الشاملة للمندوبات بجميع أنواعها منذ بعثته ﷺ إلى قيام الساعة كقوله تعالى ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴿١٩٧﴾﴾ [سورة البقرة] وقوله تعالى ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الحج] وقوله تعالى ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴿١٤٨﴾﴾ [سورة البقرة] ونحو ذلك من الآيات والأخبار.

ويؤيد ما ذكرناه ثلاثة أمور:

أحدها ما رواه البزار عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ: «**ما أحلّ الله في كتابه فهو حلال وما حرّم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فإنّ الله لم يكن لينسى شيئا**» إ.هـ وهو صريح بأنَّ مجرد السكوت عن الشيء لا يدلُّ على حرمته.

وثانيها أنّ النبي ﷺ لم يأكل الضبَّ وأقرَّ خالدا على أكله فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ خالد بن الوليد رضي الله عنه أخبره أنه دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَيمُونَةَ

فَوَجَدَ عِندَهَا ضَبًّا مَحْنُوذًا فَقَدَّمَته لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَأَهوَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ إِلَى الضَّبِّ، فَقَالَتِ امرَأَةٌ مِنَ النِّسوَةِ الحُضُورِ: «أَخبِرنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا قَدَّمتُنَّ لَهُ، هُوَ الضَّبُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ»، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَنِ الضَّبِّ، فَقَالَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ: «أَحَرَامٌ الضَّبُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ» قَالَ: «**لاَ، وَلَكِن لَم يَكُن بِأَرضِ قَومِي، فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ**» قَالَ خَالِدٌ: فَاجتَرَرتُهُ فَأَكَلتُهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنظُرُ إِلَيَّ إ.هـ

وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، قَالَ: «أَهدَت أُمُّ حُفَيدٍ خَالَةُ ابنِ عَبَّاسٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَقِطًا وَسَمنًا وَأَضُبًّا، فَأَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الأَقِطِ وَالسَّمنِ، وَتَرَكَ الضَّبَّ تَقَذُّرًا»، قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: «فَأُكِلَ عَلَى مَائِدَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَو كَانَ حَرَامًا مَا أُكِلَ عَلَى مَائِدَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» إ.هـ رواه البخاري. وفي الخبرين أنّ الرسول ما أكل الضبَّ ولم ينكر على آكله ولا فهم الصحابة أنَّ مجرد الترك يكون حراما... فإن قيل: أليس خالد سأل الرسول عن حكم الأكل قبله، ولولا أنَّ الترك كان يدلُّ على الحرمة ما سأل. قلنا إنَّ سؤال خالد إنما كان لأنَّ ترك النبي ﷺ كان بعد إقبال، على أنّ سؤاله حجة عليكم لا لكم فإنّه لو كان مجرد الترك حراما لما سأل خالد عن حكم الأكل بل كان تَرَك لمجرد الترك واستغنى بإعراض النبي ﷺ عن سؤاله.

وثالثها ما رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ كان لَيَدَعُ العمل وهو يحبُّ أن يعمل به خشية أن يعمل به الناسُ فيُفرضَ عليهم اهـ ويؤيد قولها رضي الله عنها هذا ما رواه ابن ماجه وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «انطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ يَبُولُ فَاتَّبَعَهُ عُمَرُ بِمَاءٍ فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عُمَرُ» قَالَ: «مَاءٌ»، قَالَ: «**مَا أُمِرتُ كُلَّمَا بُلتُ أَن أَتَوَضَّأَ وَلَو فَعَلتُ لَكَانَت سُنَّةً**» إ.هـ فإنّ النبي ﷺ لم يكن يتوضأ بعد كل حدث مع أنه أثنى على بلال لفعله ذلك فقد روى الترمذي أنّ رسول الله ﷺ قال لبلال: «**بم سبقتني إلى الجنة**» فقال بلال: «ما أذنت قط إلا صليت ركعتين وما أصابني حدث قط إلا توضأت ورأيت أنّ لله علي ركعتين» فقال ﷺ: «**بهما**» إ.هـ ورواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي. وكفى بذلك شاهدا على ما نقول.

بيان
أن ترك النبي ﷺ لبعض الأشياء له وجوه

وأما ترك النبي ﷺ فقد ذكر الشاطبي له وجوها:

• أحدها أن يكون لعادة كما ترك النبي ﷺ أكلّ الضبّ وقد تقدم الحديث.

• ثانيها أن يكون تركه نسيانا كما روى أبو داود وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ سلّم في صلاة رباعية من ركعتين ثم أتمّها وسجد للسهو.

• ثالثها أن يكون تركه خيفة أن يفرض على أمته كما ترك ﷺ صلاة التراويح أو قيام الليل حين اجتمع الصحابة ليصلوها معه.

• رابعها أن يكون تركه لدخوله في عموم الآيات والأحاديث كتركه صلاة الضحى وغيرها من السنن لدخولها في قول الله تعالى ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧] وتقدم بيان ذلك أوّل الباب آنفا.

• خامسها أن يكون الترك رعاية للمصلحة كما روى البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله قال: «**لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام فإنّ قريشا استقصرت بناءه**» وفيه أنه عليه الصلاة والسلام ترك نقض الكعبة وبناءها حفظا لقلوب قريبي العهد بالإسلام.

وربما كان الترك لأمور أخرى بسط ذكرها أهل الحديث واستقصوها فاطلبها من مظانها إن أردت الإسهاب وفي القدر المذكور كفاية بإذن الله عز وجل.

بيان
أن ما تقدم من هدي النبي والاقتداء به

وبعد ما كان من التقديم آن أوان إصابة كبد المراد فنقول إنّ الله عزَّ وجلَّ قد أمرنا بالتأسي برسول الله ﷺ فقال يقول ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب: ٢١] وذلك يقتضي أن نتبع هديه ولا نحيد عنه قيد أنملة ... وقد كان هدي النبي ﷺ بالقرءان وبقوله وفعله وإقراره ﷺ فبيّن عليه الصلاة والسلام من الأحكام ما بين وأظهر ما أظهر حتى تمَّ البلاغ ... غير أنه من المعلوم أنّ النبي ﷺ لم يبين حكم كل حادثة بعينها بل نصب الأدلة وذكر القواعد ليقتفيها الناس في ما يعرض عليهم ويطرأ من الحوادث ويدل على ذلك أنّ رسول الله ﷺ سأل معاذا حين أرسله إلى اليمن فقال: «**بم تحكم**» فقال: «**بكتاب الله**» فقال: «**فإن لم تجد**» فقال: «بسنة رسول الله ﷺ» فقال: «**فإن لم تجد**» فقال: «أجتهد رأيي ولا ءالو» فقال: «**الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله إلى ما يرضي رسول الله**» إ.هـ وعليه فلو كان أصل الترك حراما لقال له رسول الله ﷺ لا تعدُ الكتابَ والسنةَ ولما أقره على تنزيل صور المسائل على الأصول التي استفادها من القرءان والحديث ولو صحّت دعواهم تلك لكان في ذلك حرج على الناس كبير لاسيما في هذه الأزمان التي تبدلت فيها معايش الناس وأحوالهم ... ولانتهض ذلك دليلا على هؤلاء في أكثر مطامعهم ومطاعمهم ومشاربهم وملابسهم ومختلف أمور حياتهم ولكفى خصمهم أن يقول إن ذلك حرام لأنّ رسول الله ﷺ لم يفعله.

هذا وإنّ أحدا من أهل أصول الفقه لم يدّع أنّ الحظر يستفاد من ترك النبي المجرد عن القرائن وإنّ أهل الحديث ذكروا أنّ السنة هي قول النبي ﷺ وفعله وإقراره ولم يقل أحد إنّ منها تركه المجرد ... بل لم يقل أحد من أهل العلم إن ترك النبي ﷺ يستفاد منه حكم غير عدم وجوب المتروك وقالوا إنّ الترك ليس بدليل بل هو عدم دليل

فتأمل ذلك يظهر لك المراد والله الموفق.

فإن قيل إنَّ استشهادك بحديث معاذ رضي الله عنه لا يقوم لك شاهدا لأننا لا ننكر القياس وإنما ننكر البدعة ونستشهد لذلك بأنّ النبي والصحابة لم يفعلوه. قلنا وهل القياس يكون في أمر منصوص عليه أم في أمر لم ينصَّ على حكمه؟ أما الأول فالنص يغني فيه عن القياس وأما الثاني فلا شكَّ أنَّ النبي ﷺ لم يفعله وإلا لكان فيه نص وعليه فلو صحت قاعدتكم لانهدم باب القياس وهو ضد حديث معاذ فصحَّ شاهدا لنا. قلتم ولكن تقدم النص على أنّ كل بدعة ضلالة فحكم المبتدَع أنه حرام لا غير وليس هو بشيء لم يرد النص على حكمه، قلنا لا نسلم لكم أنّ كل بدعة محرمة بل المبتدَع يُعرض على قواعد الشريعة فيلحق بشيء من الأحكام الشرعية الخمسة ولا يتبع بالحرام مطلقا وقد دللنا في أول الكتاب على ذلك واستوفيناه فلينقل الكلام إليه.

فإن قيل أليس الله عز وجل يقول ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] فلم لا تقتدون به في الترك، قلنا نحن نتأسى برسول الله ﷺ في فعل الخيرات التي أمر بها بلفظ عام أو بلفظ خاص فهو أولى من ترك خير قد يكون النبي تركه لشيء مما قدمنا ذكره، على أنّ الآية شاهد عليكم فإنه ﷺ كان يوافق الصحابة فيما يحدثونه من الخيرات ولا ينكر عليهم فعلها كما قدّمنا بيانه وذلك يقتضي أن لا نصير إلى تحريم خير أحدث موافقا لقواعد الشريعة لمجرد أن النبي لم يفعله اقتداء بهديه ﷺ.

وقد زاد الحافظ السيوطي في رسالته «حسن المقصد في عمل المولد» البيانَ في الردّ على نحو شبهتهم هذه فقال ما نصّه: «فَإِن قَالَ قَائِلٌ قَدِ التَزَمَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الأَوقَاتِ الفَاضِلَةِ مَا التَزَمَهُ مِمَّا قَد عُلِمَ وَلَم يَلتَزِم فِي هَذَا الشَّهرِ مَا التَزَمَهُ فِي غَيرِهِ. فَالجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ لِمَا عُلِمَ مِن عَادَتِهِ الكَرِيمَةِ أَنَّهُ يُرِيدُ التَّخفِيفَ عَن أُمَّتِهِ سِيَّمَا فِيمَا كَانَ يَخُصُّهُ، أَلَا تَرَى إِلَى أَنَّهُ عَلَيهِ السَّلَامُ حَرَّمَ المَدِينَةَ مِثلَ مَا حَرَّمَ إِبرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَمَعَ ذَلِكَ لَم يَشرَع فِي قَتلِ صَيدِهِ وَلَا شَجَرِهِ الجَزَاءَ تَخفِيفًا عَلَى أُمَّتِهِ وَرَحمَةً بِهِم، فَكَانَ يَنظُرُ إِلَى

مَا هُوَ مِن جِهَتِهِ وَإِن كَانَ فَاضِلًا فِي نَفسِهِ فَيَترُكُهُ لِلتَّخفِيفِ عَنهُم، فَعَلَى هَذَا تَعظِيمُ هَذَا الشَّهرِ الشَّرِيفِ إِنَّمَا يَكُونُ بِزِيَادَةِ الأَعمَالِ الزَّاكِيَاتِ فِيهِ وَالصَّدَقَاتِ إِلَى غَيرِ ذَلِكَ مِنَ القُرُبَاتِ، فَمَن عَجَزَ عَن ذَلِكَ، فَأَقَلُّ أَحوَالِهِ أَن يَجتَنِبَ مَا يَحرُمُ عَلَيهِ وَيُكرَهُ لَهُ؛ تَعظِيمًا لِهَذَا الشَّهرِ الشَّرِيفِ، وَإِن كَانَ ذَلِكَ مَطلُوبًا فِي غَيرِهِ إِلَّا أَنَّهُ فِي هَذَا الشَّهرِ أَكثَرُ احتِرَامًا كَمَا يَتَأَكَّدُ فِي شَهرِ رَمَضَانَ وَفِي الأَشهُرِ الحُرُمِ» إ.هـ وقد وضح الحق لذي عينين[1] إ.هـ

الطّرُق الصوفية
ودورها في محاربة التطرّف

صعد أبو إسحاق الإسفرايني بعض جبال لبنان فوجد قومًا من الصّوفية قد انقطعوا هناك وانعزلوا عن النّاس، يأكلون من بقول الأرض ويشربون من الينابيع والأنهار فقال لهم: «يا أَكَلَةَ الحشيش أَيَسُرُّ محمّدًا ﷺ أن تهرُبوا إلى هنا وتتركوا أُمَّتَه تعبَثُ بدينها المبتدعة؟!»[2].

إنّ من الأسباب الرئيسة لانتشار ءافة التطرّف في مجتمعاتنا هو خلوّ الساحات لأصحاب هذا الفكر وتقوقع العلماء والمشايخ في البيوت وعدم الخروج للنّاس بحجّة أنّ الخرق اتّسع على الرّاقع، وليست بحجّة، فلو حملتم أيّها الرفاعية وأنتم أيّها القادرية وأنتم أيّها النّقشبنديّة والجشتيّة والشّاذليّة والشنبكيّة والبدويّة والجنيديّة والدسوقيّة والسّعديّة إلى سائر طُرُق أهل الله، لو حمل كلٌّ منكم إبرة وخيطًا لسددتم هذا الخرق بكلّ سهولة.

يقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة التوبة].

---

(١) كتابنا الكوكب المنير لجواز الاحتفال بمولد الهادي البشير (ص١٢-٢٩).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير الجزء الأول حرف الهمزة بقريب من هذه الألفاظ.

تعالوا نخرج إلى النّاس نفقههم في دينهم ونعرّفهم سماحة الدّين وجماله، يقول سيّدنا الغوث محمّد مهدي بهاء الدّين الروّاس في كتابه طيّ السِّجِل:

«أحكام هذا الدّين المُبِين هي معراج المؤمنين إلى تقديس ربّ العالمين وهي:

أن تؤمن بالله واليوم الآخر والكتاب والنبيّين، والبعث بعد الموت وبالقدر خيره وشرّه من الله تعالى، وتشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا رسول الله، وتقيم الصّلاة بإسباغ الوضوء لوقتها بتمام ركوعها وسجودها، وتؤتي الزّكاة بحقّها، وتصوم شهر رمضان، وتحجّ البيت إن استطعت، وتصلّي الخمس والسّنن، ولا تأكل الرّبا، ولا تشرب الخمر، ولا تحلف بالله كاذبًا، ولا تشهد شهادة الزّور على أحدٍ قريبٍ أو بعيد، ولا تعمل بالهوى، ولا تعب أخاك، ولا تقع فيه من خلفه وقدّامه، ولا تقذف المحصنة، ولا تقل لأخيك يا مُرائي فيحبط عملك (أي لا تقل لأخيك يا مرائي فتهلك)، ولا تَلْهُ مع اللاهين، ولا تقل للقصير يا قصير تريد عيبه، ولا تسخر بأحدٍ من النّاس، ولا تأمن عقاب الله، ولا تمش بالنّميمة فيما بين الإخوان، واشكر الله على كلّ نعمة، واصبر عند البلاء، واستغفر عند الخطيئة، ولا تقنط من رحمة الله، واعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تطلب سخط الرّبّ برضا المخلوق، ولا تؤثر الدّنيا على الآخرة، وإذا سألك أخوك المسلم ممّا عندك فلا تبخل عليه، وانظر في أمر دينك إلى من هو فوقك وفي أمر دنياك إلى من هو دونك، ولا تكذب، ولا توافق الشّيطان، ودعِ الباطل ولا تأخذ به، وإذا سمعتَ حقًّا خذ به ولا تكتمه، وأدّب أهلك وولدك بما ينفعهم عند الله تعالى ويقرّبهم إلى الله عزّ وجلّ، وأحسن إلى جيرانك، ولا تقطع أقاربك وذوي أرحامك وصِلهم، ولا تلعن أحدًا من خلق الله تعالى بغير حقّ، وأكثر التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، ولا تدع قراءة القرءان على كلّ حال إلا أن تكون جنبًا، ولا تدع حضور الجمعة والعيدين، واطرح كلَّ ما لم ترضَ أن يقال لك ويُصنَع بك فلا ترضى ذلك لأحد، وتحقّق بالخوف من الله تعالى، واجعل الإنصافَ دأبَك في كلّ أمورك، ولا تعلُ، ولا تغلُ، ولا تقل على الله إلا الحقّ، وافنَ بمحبّة نبيّك وءاله وأصحابه، وعظّم مقادير الأنبياء والأولياء والعلماء أهل الحقّ، وطهّر نفسَكَ من الحسد فهو خُلُق إبليس،

وجانب أهل الباطل، وحذّر المسلمين من المبتدعين، وانصر كلمة الله والله تعالى ينصر مَن ينصره وكفى بالله وليًّا»أ.هـ.

و قال رضي الله عنه خذوا أيّها الصّوفيّة بأيدي التّائهين الغافلين المذنبين بالرفق والحنان والشّفقة أهـ.

يُروى أنّ بِشرَ بن الحارث الحافي لقيه رجلٌ سكران فأقبل عليه وجعل يقبّله ويقول: يا سيّدي يا أبا نصر والله إنّي أحبّك، وبِشر لا يدفعه عن نفسه، فلمّا ولّى تغرغرت عينا بِشر وقال: «رجلٌ أَحبَّ رجلًا على خيرٍ توهّمه، لعلّ المُحبّ قد نجا والمحبوب لا يدري ما حاله»[1]أ.هـ.

ولقد كان محدّث الدّيار الشّامية الشيخ الصّوفي بدر الدين الحسني يدور في الليل على السكارى والحشّاشين النّائمين في الطرقات فيلقي ثيابه عليهم ليقيهم شدّة البرد فيستيقظون في الصّباح ويشمّون العطر الذي يخرج من ثوبه فيأتونه تائبين.

يقول السيّد الكبير الرفاعي أمدّنا الله بمدده: «أنا شيخ مَن لا شيخ له، أنا شيخ المنقطعين، أنا مأوى كلّ شاة عرجاء انقطعت بها الطريق»[2] إ.هـ

عرِّفوهم حقيقة التصوّف الحقيقي الصّافي من الشّوائب، وبراءته ممّا ينسب إليه، فكم وكم افترى الوهّابيّة وأمثالهم على الطّائفة الصوفيّة، وامتلأت صفحات الإنترنيت بالتحذير من الصوفيّة وبذلت الأموال الكثيرة في طباعة الكتب التي تشوّه صورتهم مستشهدين بما في بعض كتب أكابر الصّوفيّة كابن عربي والشعراني والسيد أحمد والسيّد عبد القادر وغيرهم من الدسّ، على أنهم برءاء ممّا دُس عليهم.

أو بكلام أناس نُسِبوا إلى الطائفة وليسوا منها كالحلّاج الذي نبذه أكثر الصّوفيّة فقالوا «هذا ليس من الصّوفيّة»، كأبي عبد الله عمرو بن عثمان الصّوفي المكّي الذي

---

(١) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ص ٤٧٤.

(٢) ذكره في البرهان المؤيد.

دخل مرّة عليه فوجده يكتب شيئًا فقال له: ما هذا؟ فقال له: «هذا شيء أعارض به القرءان»، فصار عمرو بن عثمان كلّما بلغه أنّ الحلّاج بأرض كذا يرسل التحذير منه، وقال فيه سيّد الطّائفة الصّوفية الإمام الجنيد: « إنّه مدّعٍ» وقال له مرّة: «لقد فتحتَ في الإسلام ثغرةً لا يسدّها إلا رأسك» فقتل بعد ذلك بتسع سنين، وقال فيه السيّد أحمد: «لو كان على الحقّ ما قال أنا الحقّ».

ادّعت الوهّابيّة أنّ الطرق الصّوفية هي من البدع المحرّمة المخالفة للدّين.

أمّا الطرق الصّوفيّة كالرّفاعيّة والقادريّة والنقشبنديّة وغيرها والتي تبلغ نحو الأربعين طريقةً فهي من النّوع الأوّل، من البدع الحسنة التي يثاب فاعلها، وأصلها مأخوذ من مبايعة الصّحابة لرسول الله ﷺ. فالطريقة هي أخذ العهد على الشيخ على مداومة ذِكر الله وطاعته.

ومشايخها لم يستحدثوها لهوى نفسٍ ولا لجمع مال أو جاهٍ دُنيوي وشهرة بين النّاس بل هم كما قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله يُحبُّ الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إن غابوا لم يُفتَقَدوا، وإن حَضَروا لم يُدعَوْا، قلوبُهم مصابيح الهُدى، يَخرجون من كلّ غَبْرَاءَ مُظلِمَة**»[1].

قـومٌ هُـمومُـهـمُ بـالله قـد عَـلِقَـت ... فـمـا لهـم هِمَـمٌ تَـسـمُـو إلى أَحَـدِ

فَمَطلَبُ القومِ مَولاهُـم وسيّدُهم ... يا حُسنَ مَطلَبِهِم للواحِدِ الصّمدِ

مـا إن تَـنَـازَعُـهُـم دُنـيـا ولا شَرَفٌ ... مـنَ الـمـطـاعِـمِ والـلـذّاتِ والـوَلَـدِ

ولا لِـلُـبْـسِ ثِـيَـابٍ فـائِـقٍ أَنِـقٍ ... ولا لِـرَوْحِ سُرورٍ حَـلَّ في بَـلَـدِ

إلا مُسَـارَعَةً في إثْـرِ مَـنـزِلَـةٍ ... قد قـارَبَ الخَطْوَ فيها بـاعِدُ الأبَـدِ

فـهُـم رهـائِـنُ غُـدْرانٍ وأَوْدِيَـةٍ ... وفي الـشّـوامِـخِ تَلْقاهُم مـعَ الـعَـدَدِ

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

هكذا كان أشياخ الطرق، فرسان ميادين الحقيقة، يدلّون على الله بالذلّ والخضوع، ما أهملوا الشريعة بل عظّموا شأن الفقهاء والعلماء ولم يقولوا هؤلاء أهل الظاهر ونحن أهل الباطن، هذا الدّين الجامع باطنه لبّ ظاهره، والعلماء وُرّاث الشريعة وحملة أحكامها الذين يعلّمونها للنّاس وبها يصل الواصلون إلى الله إذ لا فائدة بالسّعي والعمل على الطريق المغاير للشرع فالعلماء ورثة الأنبياء ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدّين وما اتّخذ الله وليًّا جاهلًا ولو اتّخذه لعلّمه.

صَدقوا مع الله فصدّقهم النّاس وزهدوا بما في أيديهم فأحبّوهم وزهدوا في الدّنيا فأحبهم الله وتواضعوا لله فرفعهم الله وذاع صيتهم بين العباد فكثر الانتفاع بهم.

وخرق الله لهم العادات فألان لهم الحديد وقرّب لهم البعيد، وأذهب لهم حرّ النّار وفيهم مَن حلّق وطار وعلى وجه الماء سار، وذلل السّباع والأفاعي للسيّد الرّفاعي، وخافت الجان من السيد عبد القادر وافد جيلان، وأنقذ السيّدُ البدويُّ الأُسارى وصار سُجّانهم حيارى.

وأنكرها عليهم الوهّابيّة وأمثالهم ممن حُرموا منها وقالوا إنّما هي شعوذة وسحر وأحوال شيطانيّة وادّعوا أنّ الرّفاعيّة يضعون على أبدانهم مراهم وأدويةً ويدخلون النيران فلا تحرقهم بسبب هذه الأدوية والمراهم، فلم لا يفعلون هم ذلك ليثبتوا بطلان هذه الكرامات على زعمهم؟!!

أوليس ثبت أنّ الأسود العنسي الذي ادّعى النبوّة رمى سيّدنا أبا مسلم الخولاني في النار فلم تحرقه ولا ثيابه فنفاه فتوجّه إلى المدينة المنوّرة فلقيه سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وقبّله بين عينيه وقال له: «الحمد لله الذي جعل في أمّة محمّدٍ مثل خليل الله إبراهيم رجلًا لا تحرقه النّار»[1]، فماذا يقولون؟ إنّ أبا مسلم الخولاني الذي كان قبل الرفاعيّة بمئات السنين يملك ذلك الدواء؟

(١) ذكرها ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في دلائل النبوة، وابن عساكر في تاريخ ،دمشق وغيرهم.

لم سميت الصوفية صوفية

قال بعض العلماء: «إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء ءاثارها»[١] إ.هـ

وقال قوم: «إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصُّفَّة الذين كانوا على عهد رسول الله»[٢] إ.هـ

وقال آخرون: «إنما سُـمُّوا صوفـيّة لِلُبسِهمُ الصّوف»[٣] أهـ.

وأما من نسبهم إلى الصُّـفّة والصّوف فإنه عبّر عن ظاهر أحوالهم وذلك أنهم قوم قد تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان وهجروا الأخدان وساحوا في البلاد وأجاعوا الأكباد وأَعْرَوُا الأجساد، لم يأخذوا من الدنيا إلا ما لا يجوز تركه من ستر عورة وسَـدِّ جَوْعة.

فلِخروجهم عن الأوطان سُـمُّوا غرباء ولكثرة أسفارهم سُمُّوا سَـيّاحين.

ومن سياحتهم في البراري وإيوائهم إلى الكهوف عند الضرورات سماهم بعض أهل الديار (شَكْفَتيّة) والشَّكفتُ بلغتهم الغار والكهف.

وأهل الشام سموهم (جُوعِيّة) لأنهم إنّما ينالون من الطعام قدر ما يقيم الصلب للضرورة كما قال النّبيّ ﷺ: «**بِحَسْبِ ابنِ ءادم لُقَيْمَاتٌ يُـقِمْنَ صُلْبَه**»[٤].

للباسهم وزِيّـهم سُمُّوا صوفيّة لأنهم لم يلبَسوا لحظوظ النفس ما لانَ مَسُّه وحَسُن منظره وإنما لبسوا لستر العورة وقنعوا بالخشن من الشعر والغليظ من الصوف.

وليعلم أن اسم الصوفي لم يكن في الصدر الأول لكن المعنى كان موجودا فقد قال الحسن البصري عن رسول الله أنه قال: «**كان عيسى عليه السلام يلبس الشعر ويأكل من**

---

(١) ذكره الكلاباذي في التعرف لمذهب أهل الصوف.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) رواه الترمذي (٢٣٨٠).

الشجرة ويبيت حيث أمسى»[1] **أ.هـ.**

وقال الحسن البصري: «**لقد أدركت سبعين بدريًّا ما كان لباسهم إلا الصّوف**»[2] **أ.هـ.**

وقال أبو موسى: «**كان النّبيّ ﷺ يلبَس الصّوف ويركب الحمار ويأتي مَدْعاةَ الضعيف**»[3] **إ.هـ**

وقال أبو هريرة وفَضَالةُ بن عبيد رضي الله عنهما في وصف أهل الصفة: «**يَخِرُّون من الجوع حتى تَحسبَهُمُ الأعراب مجانين وكان لباسهم الصّوف حتى إن كان بعضُهم يعرق فيه فيوجد منه رائحة الضأن إذا أصابه المطر**»[4] **إ.هـ**

وأما اسم (الصوفي) فلم يعرف إلا في المائتين من الهجرة الشريفة لأنه في زمن رسول الله ﷺ كان أصحاب الرسول ﷺ يسمّون الرجل صحابيًّا لشرف صحبته رسول الله ﷺ وكون الإشارة إليها أولى من كل إشارة، وبعد انقراض عهد رسول الله ﷺ سُمِّيَ مَن أخذ منهم العلم تابعيًّا، ثم لما تقادم زمان الرسالة وبَعُد عهدُ النبوة وانقطع الوحي السّماوي واختلفت الآراء وتنوعت الأنحاء وتفرد كل ذي رأي برأيه وكَدَّر شُربَ العلوم شُوَبُ الأهوية، وتزعزعت أبنية المتقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت الجهالات وكثف حجابها وكثرت العادات وتملكت أربابها وتزخرفت الدنيا وكثر خُطَّابها، وتفردت طائفة بأعمال صالحة وأحوال سَنِيَّة وصدق في العزيمة وقوة في الدين وزهدوا في الدنيا ومحبتها واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أُسوة بأهل الصُّفّة، تاركين للأسباب متبتلين إلى ربّ الأرباب فأثمر لهم صالح الأعمال سَنِيَّ الأحوال وتهيأ لهم صفاء الفهوم لقبول

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (ص ١٧١).

(٣) كتاب أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل لابن حجر الهيتمي (ص ٤٧٤).

(٤) ذكره الكلاباذي في التعرف لأهل التصوف.

العلوم، وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الإيمان إيمان كما قال حارثة بن مالك رضي الله عنه حين سأله رسول الله: «**كيف أصبحت يا حارثة**»، فقال: أصبحت مؤمنا حقا» حيث كوشف برتبة في الإيمان غيرِ ما يتعاهدها فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها وإشارات يتعاهدونها فحرروا لنفوسهم اصطلاحات تشير إلى معان يعرفونها وتعرب عن أحوال يجدونها، فأخذ ذلك الخلف عن السلف حتى صار ذلك رسمًا مستمرًّا وخبرًا مستقرًّا في كل عصر وزمان فظهر هذا الاسم بينهم وتَسَمَّوْا به وسَمُّوا به.

التصوف طريق الأئمة والأولياء والعلماء

لكون التصوف مبنيّا على الكتاب والسنة دخل فيه عظماء العلماء وانضم إلى زمرة أهله فحول من الكبراء كالحافظ أبي نعيم، والمحدث المؤرخ أبي القاسم النصراباذي، وأبي علي الروذباري، وأبي العباس الدينوري، وأبي حامد الغزالي، والقاضي بكار بن قتيبة، والقاضي رويم بن أحمد البغدادي، وأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الجامع بين الشريعة والحقيقة، والشيخ الفقيه محمد بن خفيف الشيرازي الشافعي، والحافظ ذي المصنفات في الحديث والرجال أبي الفضل محمد المقدسي، والشيخ عز الدين بن عبد السلام المالكي، والحافظ ابن الصلاح، والنووي، وتقي الدين السبكي وابنه تاج الدين السبكي، وأبي الحسن الهكاري، والفقيه نجم الدين الخبوشاني الشافعي، والفقيه المحقق سراج الدين أبي حفص عمر المعروف بابن الملقن الشافعي، والحافظ جمال الدين محمد بن علي الصابوني، والحافظ شرف الدين أبي محمد عبد المؤمن الدمياطي، والحافظ أبي طاهر السّلفي، والمسند المعمّر جمال الدين أبي المحاسن يوسف الحنبلي، وقاضي القضاة شمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي، والمفتي شرف الدين أبي البركات محمد الجذامي المالكي، والإمام بهاء الدين أبي الحسن علي بن أبي الفضائل هبة الله بن سلامة، والحافظ أبي القاسم سليمان الطبراني صاحب المعاجم المعروفة، والمفتي جمال الدين محمد المعروف بابن النقيب، وقاضي القضاة الشيخ عز الدين

عبد العزيز، ووالده قاضي القضاة بدر الدين أبي عبد الله محمد، ووالده شيخ الإسلام برهان الدين إبراهيم بن سعد بن جماعة الكناني الشافعي، والشيخ أبي عبد الله محمد ابن الفرات، وقاضي القضاة تقي الدين أبي عبد الله محمد بن الحسين بن رزين الحموي الشافعي، وشيخ الإسلام صدر الدين أبي الحسن محمد، وشيخ شيوخ عصره عماد الدين أبي الفتح عمر، وشيخ الإسلام معين الدين أبي عبد الله محمد، والشيخ المفسر النحوي أبي حيان الأندلسي، وقطب الدين القسطلاني المشهور، والمفسر كمال الدين ابن النقيب، والحافظ أبي موسى المديني، والعلامة نجم الدين أبي النعمان بشير بن أبي بكر حامد الجعبري التبريزي، والحافظ جلال الدين السيوطي، والشيخ عبد الواحد بن عاشر الأنصاري المالكي، والعلامة المحقق الشيخ أحمد بن المبارك اللمطي، وغيرهم خلق كثير مما تضيق عن ذكرهم هذه الأسطر، فلا تجد عالمًا كبيرًا ومحققًا شهيرًا إلا ودخل في طريق القوم والتمس بركتهم ونال الحظوة بسبب الانتساب إليهم، فمن قرأ تراجم العلماء والمحدثين وتتبع سيرتهم واستقصى أخبارهم أدرك ذلك، ومن أنكر ذلك فهو جاهل متعنت لا اعتداد به ولا عبرة بما يقول.

السلف والخلف
يمدحون التصوف ويعملون به

ويكفي في بيان فضل الصوفية ما ذكر عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه كان يقول لأبي حمزة الصوفي: «ماذا تقول يا صوفي»[1] اهـ، فالصوفي عند من يعرفه هو العامل بالكتاب والسنة يؤدي الواجبات ويجتنب المحرمات ويترك التنعم في المأكل والملبس ونحو ذلك، فهذه الصفة في الحقيقة صفة الخلفاء الأربعة، فلذلك صنف الحافظ أبو نعيم كتابه الضخم المسمى «حلية الأولياء» أراد به أن يميز الصوفية المحققين من غيرهم لمّا كثر في زمانه الطعن من بعض الناس في الصوفية، ودعوى التصوف من طائفة أخرى هم خلاف الصوفية في المعنى، فبدأ بذكر الخلفاء الأربعة،

(١) ذكره الشعراني في الطبقات الكبرى.

وقد صنف خلق كثير من العلماء كتبًا في هذا الشأن منها طبقات الصوفية للمحدث الحافظ أبي عبد الرحمن محمد السلمي النيسابوري، وطبقات الصوفية للحافظ البارع أبي سعيد النقاش الحنبلي، وطبقات الصوفية للحكيم الترمذي، وطبقات الصوفية للحافظ ابن الملقن الشافعي وكل هؤلاء من أهل الحديث.

وقد أكثر الحافظ البيهقي الرواية عن شيخه أبي علي الروذباري أحد مشاهير الصوفية الذي كان تلميذ الجنيد رضي الله عنه. قال الشيخ منصور البُهوتي الحنبلي في كتابه كشاف القناع[(٤)] ما نصه: «ونقل إبراهيم بن عبد الله القلانسي أن الإمام أحمد قال عن الصوفية ـ أي الصادقين: لا أعلم أقوامًا أفضل منهم، قيل: إنهم يستمعون ويتواجدون، قال: دعوهم يفرحون مع الله ساعة، قيل: فمنهم من يموت ومنهم من يغشى عليه فقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سورة الزمر] ولعل مراده سماع القرءان، وعذرهم لقوة الوارد، قاله في الفروع» إ.هـ وصاحب الفروع هو شمس الدين بن مفلح الحنبلي.

فيتبين من هذا كله أن طرق أهل الله كالرفاعية والقادرية وسائر الطرق المستقيمة أُسست على وفق القرءان الكريم والحديث الشريف.

تمهيد
في بيان معنى المعجزة والكرامة والفرق بينهما وبين السحر والاستدراج

المعجزة هي أمرٌ خارقٌ للعادة، يحصل على يد من يقول أنا نبيٌّ، مرسلٌ من عند الله، ويكون هذا الأمر الخارق موافقًا لدعواه، سالمًا عن المعارضة بالمثل ويصلح للتحدي.

والخارق للعادة، معناه مخالف ومناقض للعادة، أي هو أمر يحصل على خلاف العادة، وذلك كنبوع الماء من بين أصابع النبيّ ﷺ، وانقلاب عصا موسى عليه السلام ثعبانًا حقيقيًا، وإخراج صالح عليه السلام لقومه من الصخرة، ناقة معها فصيلها، وما ظهر للمسيح عليه السلام من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، وعدم إحراق النّار لإبراهيم عليه السلام.

وهذا الأمر الخارق للعادة، يوافق دعوى ذلك النبيّ، فما لم يكن موافقًا للدّعوى، لا يسمى معجزة، كالذي حصل لمسيلمة الكذاب، الذي ادّعى النّبوة، من أنه مسح على وجه أعورٍ فعميت العين الأخرى، ومسح على رؤوس صبيان فسقطت شعورهم، فإن هذا الذي حصل، ولو كان خارقًا، فإنه يظهر كذبه، ويكون مناقضًا لدعواه وليس موافقًا.

فليس كل خارق معجزة، بل تختص المعجزة بحصولها على يد إنسان يدعي النّبوة، لا على يد من ادّعى الألوهية كالدّجال مثلًا[1]. لأنّ مجرد حصول الخارق على يديه، يدل على أنّ فاعلًا مختارًا خصصه بهذا الخارق، إذ أنّ أوصافه كتغيره من حالٍ إلى حالٍ، تدل على حاجته إلى فاعلٍ مختار، يخصصه بحالٍ دون حال، وهذه علامة الاحتياج، وأمارة الضعف، فلا يكون حصول الخارق على يديه شاهدًا على صدقه، ولا موافقًا لدعواه بل دليلًا على كذبه وافترائه في ما قال، وبهذا تفترق المعجزة عن الاستدراج.

---

(١) ويسمى ما يحصل على يد الدجال من ذلك استدراجًا لا معجزة.

ويكون هذا الأمر سالمًا عن المعارضة بالمثل، أي لا يستطيع المكذبون أن يفعلوا مثله، فإذا ادّعى رجل أنه نبيّ، وقارن دعواه خارق، ثم ادعى ءاخر أنّ المدّعي ليس بنبيّ، وأظهر خارقًا مثله، دلّ على أنّ الأول ليس بنبيّ. كما عجز المعارضون لعيسى عليه السلام، عن شفاء الأعمى والأبرص والأكمه، مع براعتهم في الطبّ. وكما عجز المعارضون لموسى عليه السلام، عن قلب العصا حيّة، مع براعتهم في السحر. وكما عجز كفار الجزيرة العربية، عن شقّ القمر، وعن الإتيان بمثل أقصر سورة من القرءان، مع فصاحتهم، وبراعتهم، في ترتيب الكلام وتأليفه. والمعجزة ليس من شرطها أن تكون مقرونة بالتحدي، وإنما من شرطها أن تكون صالحة للتحدي.

فليس من المعجزة ما يستطاع معارضته بالمثل كالسحر فإنه يعارض بسحر مثله، فالسحر لا يسمى معجزة، لأنّ السحر يستطيع أن يعمل ساحر ءاخر مثله، أما المعجزة لا يستطيع المعارضون أن يفعلوا مثلها، أما غير المعارضين من أتباع الأنبياء، كالأولياء هؤلاء يستطيعون أن يظهروا أمرًا يشبه المعجزة، لأنّ هؤلاء لا يعارضون النبيّ، بل يصدقونه ويتّبعونه.

وبذلك يكون الأمر الخارق للعادة الذي يظهر على يد من ادّعَوا النّبوة، مع صلاحه للتحدي، ومع عدم معارضته بالمثل، نازل منزلة قول الله، صدق عبدي في كل ما يبلغ عنّي، أي لولا أنه صادق في دعواه، لما أظهر الله له هذه المعجزة، فكأنّ الله تعالى قال، صدق عبدي هذا الذي ادّعى النّبوة في دعواه، لأني أظهرتُ له هذه المعجزة، لأنّ الذي يصدق الكاذب كاذب، والله يستحيل عليه الكذب.

والسبيل إلى العلم بالمعجزة، بالسّمع واليقين، وذلك يحصل لمن شاهدوها، وببلوغ خبرها، بطريق التواتر في حق من لم يشهدها[1]. فالخبر المتواتر، هو أن يخبر عدد كثير، عن جمع كثير، بحادثة قوليّةٍ، أو فعليّةٍ، بحيث لا يمكن عادة أن يتواطؤا

(١) وذلك كعلمنا بالبلدان النائية، والحوادث التاريخية الثابتة، الواقعة لمن قبلنا من الملوك والأمم. الشيخ عبد الله الهرري، الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم، ص٣٦٥.

على الكذب، وشرط التواتر، أن تكون تلك الكثرة في الطبقة الأولى التي شاهدت، والتي تليها، ثم التي تليها؛ والطبقة الأولى هي الأصل، لأنّه إن لم يحصل هذا العدد في الطبقة الأولى، ثم حصل فيما بعد ذلك، لا يعد متواترًا. فالخبر المتواتر، يقوم مقام المشاهدة، فوجب الإذعان لمن أتى بها عقلًا، كما أنه واجب شرعًا.

والمعجزة قسمان، قسم يقع بعد اقتراح من النّاس على الذي ادّعى النّبوة، وقسم يقع من غير اقتراح. فبعض الأنبياء معجزاتهم تظهر لما يطلب منهم النّاس الذين أرسلوا إليهم. وبعض من دون اقتراح يظهر على أيديهم، من دون أن يطلب منهم أحد.

فالأول نحو ناقة نبيّ الله صالح عليه السلام التي خرجت من الصخرة. فإنّ مما جاء في قصّة قوم صالح عليه السلام، أنهم طلبوا من نبيّ الله صالح أن يظهر لهم معجزة، قائلين له: إن كنت نبيًّا مبعوثًا إلينا لنؤمن بك، فأخرج لنا من هذه الصخرة ناقة وفصيلها[1]؛ فأخرج لهم ناقة ومعها فصيلها، فاندهشوا فآمنوا به؛ فلو كان كاذبًا في قوله إنّ الله أرسله، لم يأت بهذا الأمر العجيب، الخارق للعادة، الذي لم يستطع أحدٌ من الناس أن يعارضه بمثل ما أتى به، فثبتت الحجة عليهم، ولا يسعهم إلا الإذعان[2] والتصديق، لأنّ العقل يوجب تصديق من أتى بمثل هذا الأمر الذي لا يستطاع معارضته بالمثل من قبل المعارضين، فمن لم يذعن وعاند يعد مهدرًا لقيمة البرهان العقلي.

ومن أمثلة المعجزات التي حصلت لمن قبل محمد ﷺ، عدم تأثير النّار العظيمة على إبراهيم حيث حيث لم تحرقه ولا ثيابه. ومنها انقلاب عصا موسى عليه السلام ثعبانًا حقيقيًا، ثم عودها إلى حالتها بعد أن اعترف السحرة الذين أحضرهم فرعون لمعارضته وأذعنوا فآمنوا بالله وكفروا بفرعون واعترفوا لموسى بأنه صادق فيما جاء به.

ومنها ما ظهر للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من إحياء الموتى وذلك لا يستطاع معارضته بالمثل، وقد أتى أيضا بعجيبة أخرى عظيمة وهي إبراء الأكمه، فلم

---

(١) أي ولدها.

(٢) الإذعان هو رضا النفس وقبولها بالشيء الذي عرفته.

يستطع أحد من أهل عصره معارضته بالمثل مع توفر الطبّ في ذلك العصر.

ومن معجزات سيدنا محمد ﷺ، حنين جذع النخل الذي كان يستند إليه حين يخطب، قبل أن يعمل له المنبر، فحنّ وأنّ حتى نزل رسول الله ﷺ والتزمه فسكت. وإنطاق العجماء[1]، وتفجر الماء من بين أصابعه، بالمشاهدة في عدة مواطن، في مشاهد عظيمة، وردت من طرق كثيرة. وردّ عين قتادة بعد انقلاعها، وقد كانوا أرادوا قطعها له، فسألوا رسول الله ﷺ، فقال: «لا»، فدعا به فغمز حدقته براحته، فكان لا يدري أي عينيه أصيبت. والإسراء والمعراج[2].

ثبوت الكرامة للأولياء

الوليّ هو الرجل الصالح المستقيم بطاعة الله، الذي تعلم من علم الدين ما يحتاج إليه، واتبع النبيّ اتباعًا تامًا، وأدى الواجبات كلها، واجتنب المحرمات كلها، وأكثر من النوافل، ولو من نوع أو نوعين، فإنه إذا حصل خارق على يديه، يسمى ذلك الخارق كرامة، يكرمه الله بها لحكمة، ولا يسمى معجزة له، لأنّ الولي لا يدعّي أنه نبيّ، وإلا لما حصلت له هذه الخوارق، وكل كرامة تحصل لهذا الوليّ، فهي معجزة للنبيّ الذي يتبعه، إذ أنه يظهر صدق ذلك النبيّ.

وقد كانت الكرامات في أمم المسلمين السابقة على الأمة المحمدية، ككرامة العالم الذي كان مع سيدنا سليمان عليه السلام، فأتاه بعرش بلقيس من اليمن قبل أن يرتد إليه طرفه، وككرامة سيدتنا مريم التي كانت تحصل على طعام الصيف في الشتاء، وطعام الشتاء في الصيف. قال تعالى في الكرامة الأولى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ وأما الثانية ففي قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ

(١) البهيمة.

(٢) من دلائل النبوة للبيهقي.

مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[1].

والكرامات في الأمّة المحمّدية أكثر من الأمم السابقة بكثير، كيف لا وهي أفضل الأمم، ونبيّها أفضل الأنبياء، وقد روى البخاريّ ومسلم، وأبو داود والترمذي، والنسائي وابن ماجه، وغيرهم، ما لا يحصى من كرامات الصحابة والتابعين، وأتباع التابعين، ومن تلاهم، ولذلك لم يختلف أهل السنة في وجوب الإيمان بحصول الكرامة لمن شاء الله تعالى من الأولياء، فإنّ قدرة الله صالحة لذلك بلا شك، فإنّ الربّ لا يعجزه شيء، وليس في حصولها ما يشوش العقيدة، أو يلبّس على الناس، لأنّها لا تحصل إلا للمستقيم بالطّاعة، فيكون فيها زيادة إظهار لصدق رسول الله ﷺ، وزيادة دلالة على حَقيّة دعوته، بل هي في الحقيقة معجزة له عليه الصلاة والسلام تشهد على نبوته وصحة رسالته[2].

(١) ءال عمران: ٣٧.

(٢) الشيخ عبد الله الهرري، الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم، ص٣٤٧-٣٥٦. الشيخ سمير القاضي، البراهين على صدق حادثة مد اليمين، ص١٢-١٥.

الإمام أحمد بن علي الرفاعي رضي الله عنه
نسبه الشريف الطاهر رضي الله عنه
من جهة أبيه إلى رسول الله ﷺ

هو الإمام، الفقيه الشافعي الأشعري، العارف الأكبر، والكبريت الأحمر، خريدة المعارف، ومرجع كل عارف، قطب دائرة الجمال، مربي السالكين، وإمام العارفين، كاشف النقاب عن طائفة وحدة الوجود، سيدنا الشيخ الواصل المحقق، وسيدنا الكامل المكمل المدقق، فخر العارفين، قرة عين الواجدين، إنسان عين المحققين، نتيجة مقدمة العاشقين، السيد أحمد محيي الدين أبو العباس الرفاعي، ابن السيد أبي الحسن علي، دفين بغداد، ابن السيد يحيى نقيب البصرة أبي أحمد المهاجر من المغرب، ابن السيد أبي حازم ثابت، ابن السيد علي الحازم أبي الفوارس، ابن السيد أبي علي أحمد المرتضى، ابن السيد علي أبي الفضائل، ابن السيد الحسن الأصغر رفاعة الهاشمي المكي نزيل بادية إشبيلية بالمغرب، ابن السيد أبي رفاعة المهدي، ابن السيد أبي القاسم محمد، ابن السيد الحسن أبي موسى، رئيس بغداد، نزيل مكة، ابن السيد الحسين عبد الرحمن الرضي المحدث، ابن السيد أحمد الصالح، ويقال له: الأكبر، ابن السيد موسى الثاني.

ويقال له: أبو يحيى وأبو سبحة، ابن الأمير الجليل السيد أبي محمد إبراهيم المرتضى، ابن السيد الإمام موسى الكاظم، ابن السيد الإمام جعفر الصادق، ابن السيد الإمام محمد الباقر، ابن السيد الإمام علي زين العابدين، ابن السيد الإمام أمير المؤمنين الحسين الشهيد بكربلا، ابن السيد الإمام أمير المؤمنين وزير سيد المخلوقين، أسد الله الغالب سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأم سيدنا الإمام الحسين سيدة نساء العالمين أي بعد مريم عليهما السلام، بضعة إمام المرسلين، سيدتنا فاطمة الزهراء النبوية، بنت سيد الخلق وحبيب الحق، إمام

المرسلين وأفضل العالمين نور عيوننا وقلوبنا، بحر المعارف التي تفجرت منه بحور العرفان، مولى العوالم، سيدنا محمد المصطفى إمام أهل الوفا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله الكرام وأصحابه العظام وتابعيهم بدور التمام إلى يوم الدين يوم الزحام.

هذا نسب سيدنا أحمد على الوجه الأصح[1] إ.هـ

نسب قلادته الفخيمة كلها حتى الرسول فرائد وعصائم

قال الفاروثي[2]، والإمام القدوة إبراهيم الكازروني[3]، وغيرهما: «إنّ رفاعة هذا اسمه الحسن، ولقبه رفاعة، هاجر من مكة إلى المغرب، سنة سبع وعشرة وثلاثمائة، وهي السنة التي قتل فيها القرامطة، لعنهم الله، أمير مكة، ابن محارب وأصحابه، وفعلوا ما فعلوا في بيت الله، من الهدم، والنهب، والقتل؛ والتحق رفاعة رضي الله عنه، بقبيلةٍ من قبائل العرب، بالقرب من إشبيلية، وعَظّمه ملوك المغرب، وانقاد إليه أعيانها، وبقي نسله في المغرب، إلى عهد السيد يحيى، جدّ سيدنا السيد أحمد». وقال الكازروني: «لهم بقية في المغرب، وإلى رفاعة هذا، ينتمي بطن بني رفاعة هؤلاء».

ورفاعة[4] الحسن المكي هذا، ابن المهدي ابن أبي قاسم محمد بن الحسن بن

---

(١) كتاب طبقات خرقة الصوفية المسمى ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ العارفين للشيخ المحدث الكبير الحافظ الهمام بركة الأنام شيخ الإسلام مفتي الثقلين تقي الدين عبد الرحمن أبي الفرج بن عبد المحسن الأنصاري الواسطي الشافعي قدس الله سره (ص٣).

(٢) الفاروثي، النفحة المسكية في السلالة الرفاعية الزكية.

(٣) عز الدين أبو العباس أحمد ابن إبراهيم الفاروثي الواسطي توفي سنة ٦٩٤، ترياق المحبين. إبراهيم الكازروني، انظر كتاب جلاء الصدا للشيخ أحمد اللاري الحنفي.

(٤) هو من أجداد السيد أحمد رضي الله عنه، كما قاله علماء التاريخ كابن خلكان وغيره، ورفاعة هذا جده السابع، واسمه الحسن، وإنما لقبه رفاعة؛ هاجر من مكة لما كثر الجور على الشرفاء، ونزل بالمغرب، وأقام مع قبيلة من العرب في المغرب وعلا أمره، وانتشر صيته، وعمت بركته، وكثرت ذريته، وبقي نسله في المغرب إلى زمن السيد يحيى جد السيد أحمد الكبير رضي الله عنهما، فهاجر إلى مكة، ومنها هاجر رحمه الله ونفعنا به إلى البصرة. السيد محمد أبي الهدى أفندي الرفاعي=

الحسين أحمد بن موسى الثاني بن إبراهيم المرتضى ابن سيدنا الإمام موسى الكاظم ابن سيدنا الإمام جعفر الصادق ابن سيدنا الإمام محمد الباقر ابن سيدنا الإمام زين العابدين علي الأصغر ابن الإمام المظلوم الشهيد السعيد سيدنا الحسين السبط ابن سيدنا ومولانا الإمام الغالب عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه، رزقه من زوجته الطاهرة سيدة النساء فاطمة بنت سيدنا ونبينا وشفيعنا الرسول المصطفى صلى الله عليه وعلى ءاله وصحبه الطيبين.

وقد ساق نسبه الشريف من لا يحصى من معاصريه، ومن بعدهم، من شرفاء وعلماء ونسابين، جيلا بعد جيل، من غير شك ولا تردد، وناهيك بالخليفة القائم بالله العباسي[1]، والخليفة المستنجد بالله العباسي، والعلامة عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي[2]، والعالم المجاهد عز الدين بن عبد السلام[3]، والمؤرخ الفقيه تاج الدين

= الخالدي الصيادي، قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، ص١٣.

(١) الخليفة القائم بالله أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر العباسي المتوفى سنة ٤٦٧هـ.. لمزيد اطلاع على خبر إثبات القائم النسب الحسيني للسيد يحي جد السيد أحمد الرفاعي يراجع الفاروثي، النفحة المسكية، ص٢٥-٢٦. ابن الأنجب، أخبار الخلفاء العباسيين، ص١١١-١١٥. وقد ذكر الفاروثي أنه رأى بعينه توقيع النقابة على الطالبيين الذي كتبه الخليفة بيده للسيد يحي وكان محفوظا في خزانة رواق أم عبيدة وفيه يحي بن ثابت بن حازم بن أحمد بن علي ابن رفاعة الحسن أبي المكارم المكي الحسيني الهاشمي.

(٢) عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي، محقق المذهب الشافعي، الفقيه المشهور، أستاذ المصنفين، وعمدة المحققين، كان ورعا، زاهدا، عابدا، صالحا، تقيا، مراقبا لله أي مراقبا لحدود الشريعة، له السيرة المرضية، والطريقة الزكية، والأحوال الظاهرة، والكرامات الباهرة، قال فيه النووي: «إمام الورعين الرافعي من الأولياء المتمكنين». المتوفى سنة ٦٢٣هـ، تهذيب الأسماء واللغات، ج٢، ص٢٦٥. الكواكب الدرية، ج٢، ص٤٥٧.

(٣) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي العالم الفقيه، الأصولي، الشافعي المشهور، الآمر بالمعروف، الناهي عن المنكر، تفقه على عدد من الأكابر، ولكن في كتاب القواعد الكبرى الذي هو من تصانيفه، المنع من تكفير المجسمة ونحوهم من العوام، وقد هذا القول مدسوس عليه، أو خطأ من النساخ [illegible] مخالف لجادة الجمهور، ولقول إماميه الشافعي والأشعري رضي الله عنهما، وغيرهما من الأئمة، وقد بين الكوثري رحمه الله في كتابه نظرة عابرة وفي غيره، شذوذ هذه المقالة، وفندها شيخنا الشيخ عبد الله الهرري، في أحد مباحث كتابه التعاون على إنكار المنكر وفي غيره=

علي بن الساعي، والفقيه المحدث عز الدين بن إبراهيم الفاروثي[١]، والعالم الولي عبد العزيز الديريني[٢]، والنسابة أبي النظام مؤيد الدين عبيد الله الحسيني[٣]، والنسابة نظام الدين محمد بن ميمون الواسطي، والشيخ أبي الحسن عليّ الواسطيّ، والحافظ تقيّ الدّين عبد الرحمن الواسطيّ[٤]، والشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الكازرونّي[٥]، وشيخ الإسلام سراج الدّين المخزوميّ الحسينيّ، والحافظ جلال الدين السيوطيّ[٦]، ومفتي مكة العلامة عبد القادر بن محمد الطبريّ[٧]، وخاتمة الحفاظ واللّغويين محمد مرتضى

= من تصانيفه، جزاه الله خيرا، فلينظرها من شاء. توفي ابن عبد السلام سنة ٦٦٠هـ.. الكواكب الدرية، ج٢، ص٤٤٧.

(١) الفقيه المحدث شيخ العراق في عصره أحمد بن إبراهيم بن عمر الفاروثي الواسطي المتوفى سنة ٦٩٤هـ، وجده من أصحاب السيد أحمد الذين شهدوا مد اليد له، ساق نسب السيد الرفاعي في كتابه إرشاد المسلمين، ونقل وقوع الإجماع عليه.

(٢) العالم الولي الصالح عبد العزيز بن أحمد الدميري الديريني، الشافعي الأشعري، الفقيه الصالح، عالم عامل، وأديب كامل، وعابد يمنه شامل، وزاهد يشار إليه بالأنامل، كان حسن الأقوال، جميل الصفات والأحوال، علي المقامات، جلي الكرامات، له الأحوال المذكورة، والخوارق المشهورة. المتوفى سنة ٦٩٤هـ وهو تلميذ أبي الفتح الواسطي تلميذ السيد أحمد الرفاعي وقد ساق نسب السيد الرفاعي في كتابه غاية التحرير.

(٣) صاحب بحر الأنساب ويسمى أيضا الثبت المصان بذكر سلالة سيد ولد عدنان. أبو نظام مؤيد الدين عبيد الله نقيب واسط ابن جلال الدين عمر نقيب واسط ابن قوام الدين محمد نقيب واسط ابن طاهر عبد الله نقيب واسط ابن أبي علي سالم نقيب واسط ابن أبي يعلى نقيب واسط ابن أبي البركات محمد نقيب واسط ابن الأمير أبي الفتح محمد الأشتر محمد بن عبيد الله الثالث بن عليّ ابن عبيد الله الثاني بن عليّ الصالح بن عبيد الله الأعرج بن الحسن الأصغر بن عليّ زين العابدين بن الحسين الأشتري الحسينيّ. توفي سنة ٧٨٧هـ.

(٤) تقي الدين عبد الرحمن بن عبد المحسن الواسطي المتوفى سنة ٧٤٤هـ، وقد ساق نسب السيد الرفاعي في كتابه ترياق المحبين.

(٥) الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الكازروني وهو عم اللغوي المشهور مجد الدين محمد بن يعقوب ابن محمد بن إبراهيم الفيروزءابادي صاحب القاموس المحيط المتوفى سنة ٨١٧هـ.

(٦) الحافظ الفقيه الأصولي النحوي اللغوي المؤرخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ الشافعي المتوفى بالقاهرة سنة ٩١١هـ وقد أثبت النسبة الحسينية للسيد أحمد الرفاعي في الشرف المحتم.

(٧) محيي الدين أبو بكر عبد القادر بن محمد بن يحي الطبري ولد سنة ٩٧٦هـ وتوفي سنة ١٠٣٣هـ

الزبيديّ[1]، والشيخ أبي الهدى الصياديّ الرفاعيّ[2].

ولنرجع لذكر سيدنا، السيد أحمد فنقول: «قدم أبوه من بلاد المغرب، فسكن البطائح[3] بقرية يقال لها «أم عَبيدة»[4]؛ وبها تزوج أبوه بفاطمة بنت الشيخ العارف سيدي يحيى النجار، ورزق منها أولادًا، منهم سيدي أحمد المذكور قدس الله سره، ولد رضي الله عنه في محرم سنة خمسمائة واثنا عشر، كان منذ ترعرع رايضًا لنفسه، مجانبًا لأبناء جنسه، ملازمًا للذكر، محافظًا للسرّ، عارفًا بمجاهدة النفس[5].

وذكر الإمام عبد الكريم الرافعي القزويني رضي الله عنه، أن السيد يحيى الرفاعي الحسيني جدّ سيدنا السيد أحمد لأبيه، هو أول قادم من هذه العصابة إلى العراق، وصل من المغرب إلى البصرة عام خمسين وأربعمائة، واشتهر فيها بالزهد، وعلو الهمة، وكمال المعرفة، والولاية الكبرى؛ ثم بعد مدة تزوج بالأصيلة الطاهرة علما، الأنصارية بنت ولي الله الحسن النجاري، والد الشيخ الإمام أبي سعيد يحيى النجاري، فأولدها السيد عليا أبا الحسن، والد السيد أحمد أبي العلمين الكبير.

فلما كبر، قدم البطائح، وسكن أم عبيدة، وتزوج ببنت خاله الست فاطمة، أخت القطب الأهيب، الباز الأشهب، شيخ الشيوخ منصور البطائحي الرباني؛ وبنت الشيخ الإمام يحيى النّجاري، وينتهي نسب ءاهم إلى الصحابي الجليل، سيدنا خالد أبي أيوب الأنصاري النجاري. فأنجبت للسيد علي أبي الحسن أولادًا، أعظمهم قدرًا وأرفعهم

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق اشتهر بمرتضى الزبيدي من واسط العراق ولد سنة ١١٤٥هـ وتوفي سنة ١٢٠٥هـ قال عنه محدث الشام الوجيه عبد الرحمن الكزبري: «إمام المسندين وخاتمة اللغويين».

(٢) محمد بن حسن وادي بن علي بن خزام الصيادي الرفاعي ولد في خان شيخون من معرة النعمان سنة ١٢٦٦ وتوفي سنة ١٣٢٨هـ

(٣) البطائح قرى مجتمعة في وسط الماء بين واسط والبصرة.

(٤) قال في القاموس: «وأم عبيدة كسفينة، قرب واسط بها قبر السيد أحمد الرفاعيّ».

(٥) زين الدين المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ج٢، ص٢١٨.

ذكرًا سيدنا أحمد الرفاعي الكبير[1].

وقد وقع ثبوت نسب السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأكمل السلام ثلاث مرات، مرتان قبل مجيئه إلى الدنيا، ومرة في عهده. أما المرتان، فالأولى عند قدوم السيد عبد الله المغربي ثم المدني ابن السيد حازم الرفاعي الجد الرابع للسيد أحمد الرفاعي إلى المدينة المنورة، فإنه أشهد ألف رجل من حجاج المغرب ما بين شريف حسني وحسيني وعالم وصالح، كلهم يشهد أمام أمير المدينة أن السيد عبد الله المذكور هو ابن أبي الفوارس علي الحازم بن أحمد بن علي بن رفاعة الحسن الأصغر الحسيني الفاطمي، وشهد بذلك أيضا أمة من سادات الحجاز العارفين به وببيته وذلك سنة خمس وأربعمائة، والثانية عند قدوم السيد يحيى المغربي نقيب البصرة جد السيد أحمد الرفاعي لأبيه، فقد شهد له الألوف في مسجد رسول الله ﷺ سنة خمسين وأربعمائة، كلهم يشهد أنه يحيى بن ثابت بن علي الحازم بن أبي الفوارس بن أحمد بن علي بن رفاعة الحسن الأصغر الحسيني الفاطمي نزيل إشبيلية بالمغرب المهاجر إليها من مكة المكرمة رضي الله عنه، وهذا كله قبل مجيء السيد أحمد الرفاعي قدس الله سره وروحه إلى الدنيا.

وأما المرّة التي في عهده، فإنّه لما حجّ من العراق وقدم إلى المدينة المنورة على ساكنها أجل الصلاة والسلام، ومدت له يد النبي ﷺ من قبره الشريف سنة خمس وخمسين خمسمائة، والقصة متواترة مستفيضة، فسأل أمير المدينة من بني الحسين عن نسبه الشريف، فأمر أحد أتباعه بإخراج وثيقةنسبه المبارك، وعليها خطوط ملوك ديار

---

(١) الإمام علي بن الحسن بن أحمد الواسطي الشافعي، خلاصة الإكسير في نسب سيدنا الغوث الرفاعي الكبير (ص٤٤). ابن خلكان، وفيات الأعيان (١/ ١٧١). الصفدي، الوافي بالوفيات (٧/ ٢١٩). الذهبي، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٧٧). ابن الأثير، الكامل في التاريخ (١١/ ٤٩٢). الذهبي العبر في خبر من عبر (٤/ ٢٣٣). ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب (٤/ ٢٥٩). سبط ابن الجوزي، مرءاة الزمان (٨/ ٣٧٠). ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٥. عبد الوهاب السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ، (٤/ ١٤).ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٦/ ٩٢)

المغرب وقضاتها وساداتها وعلمائها، وكتابة أمراء الحجاز وأئمتها وشرفائها، وشهد على مضمونها ألوف مؤلفة من أعيان المسلمين، وحرر لذلك رِقّان، رِقٌّ أرسل فعلق في بطن الكعبة المكرمة، ورِقٌّ حفظ في خزانة ءال عبيدة الحسيني أمراء المدينة، نفع الله بهم[1].

ترجمة لطيفة
لأجداد السيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه
من سيدنا رسول الله ﷺ إلى السيد يحيى
رضي الله عنهم أجمعين
سيدنا محمد ﷺ

عقد قلادة هذا الحسب الباهر ويتيمة فرائد هذا النسب الطاهر جدهم الصادق الأمين سيدنا ومولانا ونبينا أكمل المخلوقين وأشرف العالمين وسيد المرسلين ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين:

ولد ﷺ يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول المبارك عام الفيل وذلك بعد قدوم أصحاب الفيل بشهرين وستة أيام، قال ابن عباس رضي الله عنهما ولد رسول الله ﷺ مختونا مكحولا وكانت ولادته بعد وفاة والده السيد عبد الله الأنور وقيل مات أبوه وله عليه الصلاة والسلام سنتان وأربعة أشهر وماتت والدته السيدة آمنه وهو ابن ستة أعوام ومات جده عبد المطلب شيبة الحمد شيخ الحرم وله ثمان سنين، وبعث ﷺ إلى كافة بني آدم بل ولعوالم الجن أيضا وله أربعون سنة وتمكن بمكة شرفها الله بعد النبوة ثلاث عشر سنة وأياما ثم هاجر منها إلى المدينة المنورة وأقام بها عشر سنين على الصحيح دخلها يوم الاثنين وقت الضحى لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، وتوفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ضحى يوم الاثنين ثاني عشر ليلة من شهر ربيع الأول سنة

---

(١) الشيخ عبد العزيز الديريني الدميري، مختصر غاية التحرير، ص٣٤-٣٥. الشيخ سمير القاضي، البراهين على صدق حادثة مد اليمين، ص١٦٠-١٦١.

إحدى عشرة من الهجرة المعظمة النبوية، ودفن في بيته الكريم الذي قبض فيه، وأما فضائله ومعجزاته وأخباره وآثاره وأسراره وأطواره فالقلم عن ذكرها قاصر والعقل بها حائر كيف لا وقد جمع الله بجانبه العظيم ما تشتت في الأنبياء والمرسلين من الفضل والكمال والبهاء والجمال وصدق المقال وعزيز الحال والهيبة والجلال والعقل الوسيع والخلق الرفيع والمجد المنيع والطبع اللطيف والمشرب الشريف والعدل والإحسان والحياء والإيمان والسؤدد والسلطان والحجة والبرهان والحكمة والبيان وهو شرف النوع الإنساني وبركة الأنبياء وسيد العقلاء وأعظم الرسل وصاحب أوضح السبل وأول المخلوقين وخاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطاهرين المرضيين آمين .

مـــاذا يـقـول الـواصـفـون بـشـأنـه ... أو يـــشرح الـمـتـفـنـن الـمـقـدامُ

مـن بـعـدمـا الـقـرآن أعـظـم أمـره ... وأجـــاد وصـــف خـصـالـه الـعـلاّمُ

السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها

ولدت الزهراء عليها السلام قبل المبعث بخمس سنين على الصحيح وزوّجها النبي ﷺ بابن عمه الرضي الوفي التقي النقي الشريف الزكي أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في اليوم السادس من ذي الحجة السنة الأولى من الهجرة .

وولدت لعلي الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم عليهم السلام وينتهي إليها النسب من الإمامين السبطين الحسن والحسين فإن لم يكن من أولادهما فليس بفاطمي. ويكفي في شأنها قول النبي الطاهر الزكي فاطمة «**روحي**» التي بين جنبي وقال عليه الصلاة والسلام: «**فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني**[1]». توفيت عليها السلام بعد النبي ﷺ بستة أشهر وقد أسرها أنها أول أهله لحوقا به فسرت بذلك سلام الله عليها .

(١) رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدة منها: باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ – فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ. ورواه غيرهما.

وإليها ينتهي النسب الشريف الرفاعي بواسطة ولدها الإمام الهمام قرة عين شهداء الإسلام ريحانة النبي عليه الصلاة والسلام طاهر العرقين كريم العنصرين ماجد الحسبين شريف النسبين سبط سيد الكونين أحد الفرقدين ثاني القرطين شبل أسد الله محبوب جده حبيب الله الصابر على البلاء الذي بكت لمصيبته ملائكة السماء وحزن لما ألم به داخل القبر الأشرف إمام الأنبياء وجزعت لبليته قلوب الأولياء، قمر الأرض الذي خسف ببيداء كربلاء ولي الله المؤيد بالصبر الجلي والقرب السني أمير المؤمنين أبي عبدالله الإمام الحسين ابن الإمام علي عليه وعلى أبويه السلام إلى يوم القيامة.

فأما أبوه الإمام علي فهو ابن أبي طالب بن عبدالمطلب جد النبي ﷺ الخليفة الرابع أسد المعامع رب الصيت[1] الشائع والسيف القاطع والقلب الخاشع زوجه رسول الله ﷺ كريمته البتول الزهراء بأمر خالق الأشياء. قال عليه الصلاة والسلام «**والذي بعثني بالكرامة وخصني بالرسالة إن الله تعالى لما زوج[2] عليا فاطمة أمر الملائكة المقربين أن يحدقوا بالعرش فيهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وأمر الجنان أن تتزخرف والحور العين تتزين ثم أمرها أن ترقص فرقصت ثم أمر الطيور أن تغني فغنت ثم أمر شجرة طوبى أن تنشر عليهم اللؤلؤ الرطب مع الدر الأبيض مع الزبرجد الأخضر مع الياقوت الأحمر**[3]» ولما أُهديت الزهراء عليها السلام لعلي كرم الله وجهه أرسل رسول الله ﷺ يقول لا تقربن أهلك حتى آتيكما فجاء ﷺ فدعا بإناء ماء فسمى فيه وقال ما شاء الله أن يقول ثم مسح صدر علي ووجهه ثم دعا فاطمة فقامت تعثر في مرطها من الحياء فنضح عليها من ذلك[4] ورُوي أيضا أن النبي ﷺ دعا بماء فتوضأ منه فأفرغه على علي عليه السلام، ثم قال «**اللهم بارك فيهما وبارك لهما**

---

(١) أي الخبير المتقن المتفنن فقد ذاع صيته بالشجاعة والعلم والكرم والزهد. وليس معناها انه اله حاشا.

(٢) انتظر حتى جاء جبريل عليه السلام وأخبره أن يزوج فاطمة من علي عليهما السلام.

(٣) أورده السيوطي في الحاوي للفتاوى، العجاجة الزرنبية في السلالة الزينبية (٢/ ٨٦).

(٤) – أورده الهيثمي في مجمع الزوائد، باب مناقب الحسين بن علي (٩/ ٣٣٦).

في نسلها» ونضح من الماء على رأس فاطمة عليها السلام وقال«**أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**» ورُوي أن عليًا كان بين يدي النبي ﷺ مرة فقال له «**أبشر يا أبا الحسن فإن الله تعالى قد زوجك في السماء قبل أن أزوجك في الأرض**»[1][2].

الإمام علي رضي الله عنه

وُلد الإمام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه بمكة في البيت الحرام يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب سنة ثلاثين من عام الفيل ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام وهو أول هاشمي ولد من هاشميين فإن أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف رضي الله عنها كانت كالوالدة لرسول الله ﷺ وآمنت به وهاجرت معه وكان شاكراً لبِرّها، ولما توفيت كفنها عليه الصلاة والسلام بقميصه ليدرأ به عنها هوام الأرض وتوسد في قبرها لتأمن بذلك من ضغطة القبر .

وعلي أمير المؤمنين هو أول من آمن[3] بالله عز وجل ونص رسول الله ﷺ يوم توجهه إلى تبوك على وزارة علي بقوله أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[4] فأوجب له تخصيص الوزارة لشهادة القرآن إخبارا عن موسى عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾ [طه ٢٩-٣٢]. وبعد أن تصدّر على بساط الخلافة النبوية بقي منغصًا ممتحَنًا لحصول الحصة من سر الآية فإن النبي عليه الصلاة والسلام بقي ثلاث عشرة سنة من نبوته ممنوعًا من أحكامها خائفًامن أن لا يتمكن من جهاد الكافرين ولا يستطيع دفعه عن المؤمنين وكذلك ابتُلي أمير المؤمنين بالناكثين والقاسطين والمارقين والخوارج والباغين وهاجر من المدينة إلى العراق كما روى البزار في زوائده عن الإمام

---

(١) أورده السيوطي في الحاوي للفتاوى، العجاجة الزرنبية في السلالة الزينبية (٢/ ٨٦).

(٢) أي النبي انتظر الوحي حتى جاءه جبريل لتزويج السيدة فاطمة الزهراء من علي.

(٣) من الصبيان إذ كان عمره قريب سبع سنوات.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (١٨٧٠/ ٤).

علي. وكانت وفاته ليلة الجمعة إحدى وعشرين من شهر رمضان المبارك سنة أربعين من الهجرة قتيلًا بسيف ابن ملجم لعنه الله وقضى نحبه سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ممدوح الخصال مشكور الفعال ولا بدع فمناقبه السعيدة ومآثره الحميدة لاتُحصى ولا تُستقصى. ويعجبني قول من قال فيه من قصيدة:

كم كُربةٍ عن رسولِ الله فرّجها ... بخيبرٍ وحُنينٍ حين فرّ بها[1]

ويوم بدرٍ وفُرسان الهياج على ... وحين بات مبيت المصطفى وذوو

بسيفه وعتاق الخيل تطّردُ ... شوس الكُماةِ ولم يوفوا بما وعدوا

الرمضاءِ صرعى ونار الحرب تتّقدُ ... الأضغانِ من حولهِ في الدار ما رقدوا

حتى إذا ما بدا للفجر غُرَّتهُ ... فحين قام إليهم سيف نقمته

أخو النبي وواقيه وناصره ... فمن يعادوه في يوم المعاد شقوا

جدّوا لقتل رسول الله واجتهدوا ... ظلت فرائصهم للرعب ترتعدُ

غداة يشتبك الميّادُ والزردُ ... ومن يوالوه في الدارين قد سعدوا إ.هـ

وقال فيه آخر:

زوي عن الدنيا وعن متاعها ... مدت إليه كفها فكفها

جنابه وأهمل استمتاعها ... وناولته باعها فباعها إ.هـ

ويكفيه ما رواه الإمام أحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال: **والذي نفسي بيده لولا أن تقول طوائف من أمتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالًا لا تمر بملأ من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة.** وروى أبو نعيم رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال لعلي: **مرحبًا بسيد المؤمنين وإمام المتقين»**[2].

---

(١) أي فر سرعان الناس وليس النبي عليه الصلاة والسلام.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١٩٢).

أعقب رضي الله عنه وعليه السلام ثمانية وعشرين ولدًا ذكرا وأنثى وهم الحسن والحسين والمحسن الذي مات سقطا وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكنّاة بأم كلثوم وأمهم فاطمة البتول سيدة نساء العالمين ومحمد المكني بأبي القاسم أمه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية وعمر ورقية كانا توأمين وأمهما بنت ربيعة والعباس وجعفر وعبد الله استشهدوا مع أخيهم الحسين بكربلاء أمهم أم البنين بنت حرام ابن خالد ومحمد الأصغر المكني بأبي بكر وعبد الله الشهيدان بكربلاء أمهما ليلى بنت مسعود الدارمية ويحيى أمه أسماء بنت عميس الخثعمية وأم الحسن و رملة أمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي ونفيسة وزينب الصغرى وأم هانئ وأم الكرام وجمانة المكناة بأم جعفر وأُمامة وأم سلمة وميمونة وخديجة وفاطمة لأمهات شتى.

الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه

أما واسطة العقد في عمود النسب الأحمدي المبارك من آل علي المرتضى رضوان الله عليه وسلامه فهو سيدنا الإمام الحسين رضي الله عنه وعليه السلام: قال علماء النسب ولد سنة أربع من الهجرة وقتل سنة إحدى وستين وكان بين ولادة أخيه الحسن والحمل به خمسون يوما وقيل طهر واحد وأرضعته أم الفضل زوجة العباس بن عبدالمطلب بلبن قثم بن عباس، وعاش عليه السلام ستًا وخمسين سنة وخمسة أشهر وكان مع رسول الله ﷺ ومع أمه الزهراء عليها السلام ست سنين ومع أمير المؤمنين عليه السلام أبيه ثلاثين سنة ومع أخيه الحسن عشر سنين وكانت مدة إمامته عشر سنين وأشهرا في سني إمامته كانت بقية ملك معاوية وفي أول ملك يزيد بن معاوية استشهد ولي الله وكان معاوية قد نقض شرط الحسن بعد موته وبايع لابنه يزيد وامتنع من بيعة الحسين وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمرو عبد الله بن الزبير فأعمل معاوية الحيلة حتى أوهم الناس أنهم بايعوه وبقي الأمر على ذلك إلى أن مات معاوية فأرسل يزيد إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الناس عامة وعلى الحسين وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر خاصة وكان عبدالرحمن بن أبي بكر

قد توفى فامتنع الحسين وعبد الله بن الزبير وسار إلى مكة وتسامع أهل الكوفة بذلك فراسلوا الحسين وعزوه بنفسه فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل فبايعه ثمانية عشر ألفا فأرسل إلى الحسين يخبره بذلك فتوجه إلى العراق فقتل يوم عاشوراء لعشر مضين من المحرم يوم السبت ورُوي أنه كان يوم الاثنين عند الزوال سنة إحدى وستين بكربلاء قتله عمر بن سعد وكان أمير الجيش من قبل عبدالله بن زياد وعبيدالله كان واليًا على العراق من جهة يزيد لأخذ البيعة منه أو لقتله.

وجميع أصحاب الحسين عليه السلام كانوا اثنين وسبعين نفسًا من بني عبدالمطلب ومن سائر الناس منهم اثنان وثلاثون فارس وأربعون راجلًا قتلوا جميعًا رضي الله عنهم وأرضاهم وقالوا عدة من قتل معه من أهل بيته وعشيرته ثمانية عشر نفسًا فمن أولاد أمير المؤمنين عليه السلام العباس وعبد الله وجعفر وعثمان وأبو بكر وعبد الله ومن أولاد عبد الله بن جعفر الطيار محمد وعون ومن أولاد عقيل بن أبي طالب عبد الله وجعفر وعقيل وعبدالرحمن ومحمد بن سعيد بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين فهؤلاء ثمانية عشر نفسًا من بني هاشم قتلوا معه وكلهم مدفونون مما يلي رجل الحسين عليه السلام في مشهده حفروا لهم حفرة وألقوهم جميعًا فيها وسُوي عليهم التراب إلا العباس بن علي رضي الله عنه فإنه دفن في موضع قتله على المياه وقبره ظاهر يُزار. وليس لقبور إخوته وأهله والذين سميناهم أثر وإنما يزورهم الزائر من عند قبر الحسين ويومئ إلى الأرض التي تحت رجليه بالسلام وعلي بن الحسين عليه السلام في جملتهم ويقال أنه أقربهم إلى الحسين.

وأما أصحاب الحسين الذين قتلوا معه من سائر الناس فإنهم دفنوا حوله وليس تعرف لهم أجداث على الحقيقة والتفصيل غير أنه لا يُشك أن الحائر يحيط بهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. وكان له ستة أولاد علي الأكبر أمه شهربانو بنت يزدجرد وعلي الأصغر قتل مع أبيه أمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفية وجعفر أمه قضاعية وكانت وفاته في حياة أبيه الحسين ولا بقية له وعبد الله قتل مع أبيه صغيرًا جاءه سهم وهو في حجر أبيه وسكينة وأمها رباب بنت امرئ القيس بن عدي وهي

أم عبد الله أيضا وفاطمة أمها أم اسحاق بنت طلحة بن عبد الله أيدنا الله ببركتهم .

الإمام زين العابدين علي الأصغر رضي الله عنه

والعقد في العمود المبارك من ولد الحسين رضي الله تعالى عنه هو الإمام زين العابدين علي الأصغر سلام الله عليه:

كنيته أبو محمد ولقبه زين العابدين والسجّاد. ولد سنة ثلاث وثلاثين وتوفى سنة خمسة وتسعين من الهجرة يوم السبت الثامن عشر من محرم ومرقده ببقيع الغرقد. أمه شهربانو وقيل شاهروبان بنت يزدجرد ابن شهريار. وكان له خمسة عشر ولدًا، أبو جعفر محمد الباقر أمه فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبو الحسين زيد الشهيد وعمر الأشرف أمهما أم ولد. وعبدالله والحسن والحسين أمهم أم ولد. والحسين الأصغر وسليمان وعبد الرحمن لأم ولد وعلي الأصغر وكان أصغر ولد أبيه وخديجة أمهما أم ولد ومحمد الأصغر أمه أم ولد وفاطمة وعلية وأم كلثوم. وعقبه من ستة رجال محمد الباقر وعبد الله الباهر وزيد الشهيد وعمر الأشرف والحسين الأصغر وعلي الأصغر .

الإمام محمد الباقر رضي الله عنه

والعقد في عمود النسب المقصود سيدنا الإمام محمد الباقر:

قال العلماء كان الباقر عليه السلام نبيه الذكر عظيم القدر ولم يظهر عن أحد في عصره ما ظهر عنه من علم الدين والآثار والسُنّة والعلم بالله وروى عنه علماء الدين وأئمة التابعين وسادات فقهاء المسلمين. وفيه يقول مالك الجهني رحمه الله:

إذا طلب الناسُ عِلْمَ القرآ ... نِ كانت قريشُ عليه عيالا

وإنْ قيل أين ابن بنت النبيِّ ... نِلْتَ بذاك فروطًا طوالا

نجـــومٌ تهـــلِّـــلُ لـلـمُـدلجـــــينَ جـبـــالٌ تـــــورِّثُ عِـلـمًـا جـبـالا

وُلد بالمدينة يوم الثلاثاء وقيل يوم الجمعة في غرة رجب سنة سبع وخمسين من الهجرة وتوفي في ذي الحجة بالمدينة سنة أربع عشرة ومائة ودفن ببقيع الغرقد إلى جانب أبيه زين العابدين وعمه الحسن بن علي عليهم السلام. روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يوشك أن تبقى حتى تلقى ولد لي من الحسين يقال له محمد، يبقر عِلْم الدين بقرا، فإذا لقيته فأقرأه مني السلام**»[1]. قال عطاء ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام. ولقد رأيت الحكم بن عيينة مع جلالته بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه. قال محمد بن المنكدر: ما كنت أرى مثل علي بن الحسين يدع خلقًا لفضله وغزارة علمه وحكمه حتى رأيت ابنه محمدًا فأردت أن أعظه فوعظني. فقال له أصحابه: بأي شيء وعظك؟ قال خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيت محمد بن علي وكان رجلًا بدينًا وهو متكئ على غلامين له فقلت في نفسي: شيخٌ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا أشهد لأعظنه، فدنوت منه فسلّمتُ عليه فردَّ السلام فقلت يا ابن رسول الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال. فخلّى عن الغلامين من يده وقال: لو جاءني والله الموت وأنا في هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله أكف بها نفسي عن الناس. وإنما كنت أخاف الموت وأنا على معصية من معاصي الله تعالى. فقال رحمك الله وهدانا بك يا ابن رسول الله أردت أن أعظك فوعظتني.

ومن كلامه عليه السلام ما شيب شيء بشيء أحسن من علم بحلم. وقد روى الناس من فضائله عليه السلام ومناقبه مالا يُعَدُّ ولا يُحصى. وكان له سبعة أولاد أبو عبد الله وجعفر الصادق وكان به يُكنى وعبد الله وأمهما فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر

(١) – أورده الزبيدي في تاج العروس، فصل الباء الموحدة مع الراء.

وإبراهيم وعبيد الله ورضى، أمهم أم حكيم بنت أسد بن المغيرة الثقفية. وعلي وزينب لأم ولد وأم سلمة لأم ولد.

الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه

والعقد الشريف في عمود النسب الطاهر المقصود سيدنا الإمام جعفر الصادق عليه الرضوان والسلام:

كنيته أبو عبد الله ولقبه الصادق. ولد رضي الله عنه بالمدينة يوم الجمعة عند طلوع الفجر ويقال يوم الاثنين ليلة عشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين من الهجرة. وكانت أمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وعاش خمسًا وستين سنة منها مع جده زين العابدين اثنتا عشرة سنة. وكانت مدة أمامته أربعًا وثلاثين سنة وقد نقل عنه الناس على اختلاف مذاهبهم ودياناتهم من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره في البلدان وقد جمع أسمع الرواةِ عنه فكانوا أربعة آلاف رجل. استشهد ولي الله الصادق ومضى إلى رضوان الله تعالى وكرامته. توفى في يوم الاثنين النصف من رجب ويقال توفى في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة. ودُفن بالبقيع مع أبيه وجده علي بن الحسين وعمه الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم. وقيل قتله المنصور أبو جعفر الدانيقي بالسم ويقال له عمود الشرف. وكان له عشرة أولاد إسماعيل وعبد الله وأم فروة أمهم فاطمة بنت الحسين الأشرم بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وموسى الكاظم الأمام المعصوم رضي الله عنه وإسحاق المؤتمن ومحمد الديباج لأم ولد يقال لها حميدة البربرية وقال وعلي العريضي لأم ولد والعباس وأسماء وفاطمة لأمهات أولاد شتى .

الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه

والعقد العالي في عمود النسب الشريف سيدنا الإمام موسى الكاظم عليه السلام: قال العلماء هو صاحب الشأن العظيم والفخر الجسيم كثير التهجد، الجادّ في الاجتهاد والمشهود له في الكرامات، المشهور بالعبادة والمواظب على الطاعات يبيت الليل ساجدًا وقائمًا ويقطع النهار متصدقًا وصائمًا ولفرط حلمه عليه السلام وتجاوزه عن المعتدين عليه كان كاظمًا يجازي المسيء بإحسانه إليه ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته يسمى بالعبد الصالح ويعرف في العراق بباب الحوائج إلى الله لنجح المتوسلين إلى الله تعالى به. كراماته تحار منها العقول وتقضي بأن له قدم صدق عند الله لا يزول.

ولادته عليه السلام بالأبواء سنة ثمان وعشرين ومائة من الهجرة وقيل سنة تسع وعشرين وذلك يوم الأحد وقيل الثلاثاء لثلاث ليالٍ خلون من صفر. أمه أم ولد واسمها حميدة البربرية أخت صالح البربر عمره عليه السلام خمس وخمسون سنة منها مع أبيه الصادق عشرون سنة كان محبوسًا مدة طويلة من قبل الرشيد عشر سنين وشهرًا وأياما.

نقل عن الفضل بن الربيع أنه أخبر عن أبيه الربيع أن المهدي لما حبس موسى ابن جعفر عليهم السلام وهو نائم ذات ليلة فرأى في منامه علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾. قال الربيع: فأرسل إليّ ليلًا فراعني وخفت من ذلك فجئت إليه فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتًا فقال عليّ الآن بموسى بن جعفر فجئت به فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النوم يقرأ علي كذا فتؤمّني على أن لا تخرج عليّ ولا على أحد من ولدي فقال: لا فعلت ذلك ولا هو من شأني. قال صدقت يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار وردّه إلى أهله إلى المدينة. قال الربيع فأحكمت أمره فما أصبح إلا وهو في الطريق. وفاته عليه السلام ببغداد يوم

الجمعة لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة مسمومًا مظلومًا على الصحيح من الأخبار في حبس السندي بن شاهك سقاه السم. ودُفن بمدينة السلام بالجانب الغربي في المقبرة المعروفة بمقابر قريش سلام الله تعالى ورحمته وبركاته عليه .

وكان لأبي الحسن عليه السلام سبعة وثلاثون ولدًا ذكرًا وأنثى منهم الإمام علي موسى الرضا عليه السلام وإبراهيم والعباس والقاسم لأمهات أولاد وإسماعيل وجعفر وهارون والحسن لأم ولد وأحمد ومحمد وحمزة لأم ولد وعبد الله وإسحاق وعبيدالله وزيد والحسن الأصغر والفضل وسليمان لأمهات أولاد وفاطمة الكبرى وفاطمة الصغرى وأم جعفر ولبابه وزينب وخديجة وعلية وآمنة وحسنة وبريهة وعائشة وأم سلمة وميمونة وأم كلثوم ورقية وحكيمة ورقية الصغرى وأم كلثوم وأم أبيها وكلثم. أعقب من أربعة عشر رجلًا وهم الحسن والحسين وعلي الرضا وإبراهيم المرتضى وزيد النار وعبد الله وعبيد الله والعباس وحمزة وجعفر وهارون واسحاق وإسماعيل ومحمد العابد .

الإمام إبراهيم المرتضى رضي الله عنه

والعقد النفيس من أولاد الكاظم في عمود النسب الشريف سيدنا الإمام إبراهيم المُرتضى عليه الرحمة والسلام:

لقبه المُجاب، وأمه أم ولد اسمها نجية. استولى على اليمن وامتدت حكومته إلى الساحل وآخر القرن الشرقي من اليمن وحج بالناس في عهد المأمون ولما انتصب خطيبًا في الحرم الشريف دعا للمأمون ولولي عهده الإمام علي الرضا بن الكاظم عليهما السلام. مات مسمومًا ببغداد سنة ست وقيل سنة سبع وقيل سنة تسع بعد المائتين. وقد قدم بغداد بعهدٍ وثيق من المأمون ولكن الله يفعل ما يشاء. وقد أنشد حين لحده ابن السمّاك الفقيه:

مات الإمامُ المُرتضى مسموما ... قد مات في الزوراءِ مظلومًا كما

فالشمسُ تندبُ موتَهُ مصفرةً ... وطوى الزمانُ فضائلًا وعلوما

أضحى أبوهُ بكربلا مظلوما والبدرُ يلطمُ وجهَهُ مغموما

كان أحد أئمة أهل البيت وكانوا يلقِّبونَه الهادي إلى الله. أعقب من ثلاثة رجال بلا خلاف موسى أبو سبحة الذي يقال له موسى الثاني وجعفر وإسماعيل وقد قطع جماعة من النسابين بعدم العقب من إسماعيل وخالفهم الجمهور وقالوا بأن القول بقطع العقب من إسماعيل تسامُحٌ وخطأٌ وأثمٌ عظيم.

السيد موسى الثاني رضي الله عنه

والعقد السني في عمود النسب الجليل من آل المرتضى هو السيد موسى الثاني ويقال أبو سبحة وأبو يحيي:

وإنما لقب بأبي سبحة لكثرة تسبيحه. كان سيدا جليلًا خاشعًا ورِعًا عارف قَدِمَ بغداد مع أبيه واستوطنها وتوفي بها سنة عشر ومائتين ودفن بمقابر قريش بالقرب من مرقد جده الكاظم. وله أعقاب وانتشار والبيت والعدد في ولده وعقبه من ثمانية رجال أربعة منهم مقلون وأربعة مكثرون أما المقلون فعبد الله وعيسى وعلي وجعفر وأما المكثرون فمحمد الأعرج وأحمد الأكبر وإبراهيم العسكري والحسين القطعي .

السيد أحمد الصالح الأكبر رضي الله عنه

والعقد الطاهر من آل موسى الثاني في عمود النسب المبارك المقصود هو السيد أحمد الصالح الأكبر:

شيخ أهل البيت في عصره. أجمع أهل زمانه على تفرده وعلوِّ قدمه وصلاحه. وكان مُجاب الدعوة نافذ البصيرة ذا هيبة في قلوب العامة والخاصة، وله المحل العالي في نفوس الخلفاء. وكان جليل الشأن إذا تكلم سكت الناس وإذا سكت هابوه. حكى القاضي أبو علي التنوخي في رسالته التي صنفها في فضائل أهل البيت عند ذكر السيد أحمد الأكبر أنه مرَّ برجُلٍ على شاطئ دجلة يبكي فسأله عن سبب بكائه فقال: أنا

رجل فقير ولا أملك من حُطام الدنيا غير بعير أسعى عليه لمعيشة عيالي وقد عثر هنا فسقط وقد انكسرت رجله ويده فقال: أين هو فدله عليه. فأخذ بزمام البعير وجرّه وقال: قُم بإذن الله الذي لا يعجزه شيء وهو على كل شيءٍ قدير. فقام البعيرُ يربع لا شيء فيه. مات ببغداد سنة ست وعشرة ومائتين وبلغ خبره المأمون وهو بدمشق فبكى وقال انطوى مصحفٌ جليل من مصاحف العلوم النبوية. دفن بمقابر قريش وراء مشهد جده الكاظم، سلام الله عليه وعليهم أجمعين. أعقب من ثلاثة رجال أبي عبد الله الحسين وأبي اسحاق إبراهيم وعلي الأحول .

السيد أبو عبد الله الحسين رضي الله عنه

والعقد الكريم منهم في عمود النسب المقصود هو أبو عبد الله الحسين:

لقبه الرضي ويقال له المحدث والقطعي نسبة للقطيعة محلة ببغداد وإليها ينسب عمه الحسين القطعي. توسع في علم الحديث وعلوم القرآن وكان فقيهًا عظيمًا ذا محل ببغداد ورياسة وكان يقال له سيد آل أبي طالب وكانوا يشبهونه بعلي كرم الله وجهه. وكان المأمون رحمه الله يعرف قدره ويُجِلُّ مكانه ويقابله بالحشمة والوقار وكان يقول أعجل آل إبراهيم المرتضى للقاء الله وأبقوا فضائلهم لأبي عبد الله الرضي. وقال فيه القاضي التنوخي توفي ببغداد سنة تسع عشرة ومائتين ودفن بمقبرة القطيعة. وأعقب القاسم وهو الذي سمي بالحسن وبه اشتُهِر، وعلي الأسود والحسن أبو أحمد وحمزة .

السيد حسن القاسم رضي الله عنه

والعقد النضيد منهم في عمود النسب المبارك الحسن القاسم أبو موسى رئيس بغداد شيخ بني هاشم:

قال ابن ميمون في مشجره ما أنجب الطالبيون في عصر الحسن القاسم أعظم منه مقامًا وأرفع منزلة وأكمل علمًا وأزكى عملًا وعلى هذا فهو سيد عصره بلا ريب. قال ابن الأفطس: نزل القاسم الحسن مكة ببعض أولاده وأقام فيها مدة طويلة وله بقية

ببغداد ثم عاد بنفسه لبغداد وتوفي بها. ودفن في مقابر قريش وهذا كله صحيح غير أن وفاته بمكة. قال ابن ميمون الواسطي والعبيدلي والجوهري وغيرهم: نزل الحسن رئيس بغداد مكة ببعض أولاده وأبقى بقية ببغداد وأقام بمكة محفوظ الحرمة موقر المقام حتى مات بها عام ست وعشرين ومائتين. ثم قالوا وعقبه من رجلين موسى ومحمد أبي القاسم ولهما ذريةٌ وذيلٌ طويل .

السيد أبو القاسم محمد رضي الله عنه

والعقد في عمود النسب الزاهر هو السيد أبو القاسم محمد:

نزل مكة مع أبيه الحسن رئيس بغداد وعكفت عليه القلوب وألقى الله محبته في الصدور، وكان على جانب عظيم من حُسْن الخُلُق والسخاء والزهد والصدق، ومن غرائب تُحَف الغيب التي أتحفه الله بها، أنه رأى ليلة جمعة وهو بمكة في منامه أن أبواب السماء فتحت ونزل من السماء نور غشي الأبصار ثم انكشف رداء النور عن أرض ندية خضرة مفروشة بشقق الديباج وعليها الأسِرَّة وفوق الأسِرَّة رجالٌ تغشاهم من كل جهاتهم الأنوار، ومعه ولده المهدي وإذا برجل قد جاء فدعاهما فذهبا معه حتى إذا أوقفهما تجاه سرير رفيع عليه سِتْرٌ مُرصّع باليواقيت والجواهر فانكشف الستر ونزل من السرير رجلٌ عظيمُ المهابة، جليل الطول وبيده غصن شجرة رفيع فتقدم إليهما وقال يا أبا القاسم خذ هذه الغريسة وأعطها لولدك المهدي واسلك به هذا الطريق إلى الغرب فإذا وصلها فليغرس فيها هذه الشجرة فإذا نمت فليأخذ أشرف أغصانها ويسلمه إلى بعض أولاده وليسلك به هذا الطريق إلى الشرق فإذا انتهى إلى واسط فليغرس الغصن بها وليُقلع عن السير، فإن هذا الغصن ينجب شجرة تصل فروعها المشرق والمغرب وتصل إلى قبة السماء. قال أبو القاسم فكلمت ولدي المهدي في ذلك فقال ولدي رفاعة أقوى جلدا مني على السفر فأرسلوه هو فكلّمت الرجل بما قال المهدي فصعد السرير ثم عاد فقال نعم فليكن رفاعة ابنه الذي يفعل، فلم ألبث قليلا إلا ورفاعة عندي فأعطيته الغصن ثم قلت للرجل ما نحن قد قمنا لامتثال أمركم فبالله إلا ما

أخبرتني من أنت ومن صاحب هذا السرير الذي أتيتنا بالأمر من قِبله. قال أنا علي ابن أبي طالب وصاحب سرير رسول الله ﷺ، فصليت عليه وحمدت الله وأخذت بيد حفيدي رفاعة وسلكت به طريق الغرب الذي أشار إليه أمير المؤمنين، فما كان كطرفة عين إلا ونحن في المغرب فغرس رفاعة الغصن فأنبت شجرة عظيمة تسلق غصن منها ذروة السماء فقطعه رفاعة. ثم قمنا فسلكنا طريق الشرق نزج بالنور فما كان غير يسير وإذا نحن بواسط المشرق من العراق، فغرس رفاعة الغصن فأنجب شجرة عظمت حتى مست أغصانها أطلس السماء وانتهت فروعها طولًا حتى بلغت المشرق والمغرب وكأن الشمس أصلها والنجوم أوراقها. فخشعت لذلك ثم استيقظت متحيرًا وانصرفتُ إلى بيت الله وأنا في بحر من الفكر، فرأيت السيد حمزة بن علي العلوي معبر أهل البيت فذكرت له قصة الرؤيا فخشع وبكى ثم قال تشير رؤياك لى أن ولد ولدك رفاعة ينزل المغرب ويترك فيها العقب الطاهر ثم ينتقل من بنيه رجل إلى المشرق وينزل واسط ويعقب فيها سيدًا ينوب عن رسول الله ﷺ، فيجدد شريعته ويُحيي طريقته وتملأ أنوار إرشاده الأكوان، ويخرج من بنيه رجالٌ من خُلّص أولياء أهل البيت كلهم كالنجوم، إن لم يكن ذلك الرجل مهدي أهل البيت فهو مثله. قلت ولازالت هذه الرؤيا المباركة محفوظة في رقعة تتسلسل في أهل البيت الطاهر حتى ظهر السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه، وبلغ أمر ظهوره وإرشاده ما بلغ، وحمل هذه الرؤيا أعيان رجال أهل البيت عليه رضي الله عنه وأيّد ذلك كثير من البشارات الأحمدية والإشارات المحمدية شيء كثير رواه أمة من الصالحين العارفين، وكانت وفاة السيد محمد أبي القاسم بمكة سنة خمس وستين ومائتين طيب الله مرقده انتهى. قال الفقير إلى الله جامع هذه الكراسة عبد العزيز بن أحمد الدميري عفا الله عنه: قال شيخنا شيخ الإسلام الشيخ عز الدين ابن عبد السلام قدس الله سره: وأنا ممن يحمل هذه الرؤيا على شيخ مشايخنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه فإن الله أقامه إمامًا للخليقة وعلمًا للطريقة ونصبه في مقام الهداية والإرشاد نائبًا عن جده رسول الله ﷺ لله دره ما أحسن خلقه وما أكرم شمائله وما أعز سلوك طريقته، كان طريقه الذل لله تعالى والانكسار والحيرة فيه والافتقار

إليه والتخلق بأخلاق النبي عليه الصلاة والسلام، والعمل بما كان عليه هو وأصحابه رضي الله عنهم وهو على طريقة الإمام الجنيد ومشربه، ولا جرم فهو كأئمة السلف الصالح نفع الله بهم أجمعين فإن طريقهم الخشية والخشوع والذلة لله والخضوع وطرح الترهات والمشي على طريق السنة والأخذ بها قولا وفعلا، وهذا هو طريق أصحاب النبي ﷺ الذي هم هداة الأمة وأولياء الله تعالى حقًّا رضي الله تعالى عنهم أجمعين، انتهى ما ألقاه في مجلسه علينا شيخنا الشيخ عز الدين بن عبد السلام قدس الله تعالى سره أقول:

للأولياء مناهج ومشارب	ومعارج ومعارف وشئون
وأعزها بابن الرفاعي انطوى	فكأنه مضمارها المكنون
شيخ على قدم النبي سلوكه	فطريقه عن جده مسنون
وإمام صدق لو فقهت طريقه	أدركت سر الشرع كيف يكون
لا زال يمطر أرض أم عبيدة	غيث الرضا وبها تقر عيون

توفي السيد محمد أبو القاسم بمكة سنة خمس وستين ومائتين وعقبه من ولده وحده .

السيد مهدي المكي رضي الله عنه

فالعقد الزاهر في هذا النسب الطاهر هو السيد مهدي المكي أبو رفاعة التقي الزكي:

شيخ أهله صاحب البركات والمحامد الصائم القائم الفقيه العالم القطب الفرد. أجمع صوفية عصره على تفرُّدِهِ في وقته. حكى القاضي التنوخي عنه أنه مكث أربعين يومًا لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ومع كل ذلك ما غاب عن أداء ما فُرض عليه. توفي بمكة سنة إحدى وتسعين ومائتين وأعقب عدنان ويحيى ورفاعة الحسن المكي.

السيد رفاعة الحسن المكي رضي الله عنه

والعقد الأنور من بنيه في عمود هذا النسب الجليل هو السيد رفاعة الحسن المكي:

الشريف النقي التقي. ولد بمكة عام ثمانين ومائتين وألبسه أبوه خرقته الشريفة الكاظمية عام وفاته وهو ابن إحدى عشرة سنة. وسنده في الخرقة أب عن أب إلى رسول الله ﷺ. وقد كان السيد رفاعة مهيب الجانب مُعَظّم القدر زاهدًا مُنجمعًا عن الناس، وبقي على شأنه حتى دخل القرامطة لعنهم الله مكة عام سبع عشرة وثلاثمائة وفعلوا في بيت الله الحرام ما فعلوا من النهب والسلب والقتل والإلحاد والظلم وقتلوا الشريف ابن محارب أمير مكة وكثيرًا من العلويين[1] وادّعَوا في ذلك امتثال أمر العبيديين جماعة الأندلس، فذهب السيد رفاعة إلى المغرب لإقامة الحجة على العبيديين فيما فعله القرامطة فدخل إشبيلية وعظّمه ملوكها وانقاد إليه رجال المغرب ثم أقام ببادية إشبيلية مع جماعة من بني شيبان وتزوج بامرأة من الأشراف الإدريسية يقال لها نبهاء بنت أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر ملك المغرب ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط عليه السلام وبقي مُكرّمًا محفوظ الحُرمة. إلى أن توفي بإشبيلية عام إحدى وثلاثين وثلاثمائة وله مشهد في مقابر قريش يُزار ويُتبرك به وكان مع ما هو عليه من كثرة الاشتغال بعبادة الله تعالى حسن الشعر لطيف المحاضرة. ومن شِعره:

تعلّمَ الريحُ هزَّ الغُصنَ من قلقي ... والطيرُ ناح كنَوحي يوم هِجراني

والأُفْقُ رشَّ كدمعي السُحْبَ إذ همعت ... ونارُ فارسَ شَبّت مِثل نيراني

أعقب السيد رفاعة عليًّا وسعدًا وعمران وبركات.

---

(١) أي من هم من ذرية الإمام علي.

السيد علي أبو الفضائل المغربي رضي الله عنه

والعقد في عمود النسب من أولاده هو السيد علي أبو الفاضل المغربي الإشبيلي:

الشيخ الصالح الشريف حُجّة العارفين سيد الزاهدين، سئل عن المحبة فنظر إلى شجرةٍ أمامه وتأوّه ورماها بنَفَسِهِ فاضطرمت نارًا ثم قال المحبة هكذا. توفى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة بإشبيلية. ودفن بمشهد أبيه في مقابر قريش. أعقب أحمد ورفاعة وكنانة وهَزّاعًا وغالبًا .

السيد أحمد رضي الله عنه

والعقد السعيد في عمود النسب من المذكورين السيد أحمد:

كنيته أبو علي ولقبه المرتضى كان فقيهًا عابدًا عارفًا صاحب كرامات خارقة وأحوال صادقة روى ابن ميمون في مشجره أن عجوزًا من جيران السيد أحمد هذا شكت له ضعف حالها عن طحن دقيقها فجاء إلى بيتها وخاطب الرحا قائلًا يا مباركة اطحني بقدرة الله لهذه الضعيفة طحينها فكانت العجوز تضع القمح في الرحا وهي تدور بنفسها بإذن الله تعالى وكان كثير الصلاة على رسول الله ﷺ كثير الذكر لله تعالى لا يتكلم بشيء من أمر الدنيا إلا إذا اضطُر. توفي سنة سبعين وثلاثمائة ودفن بمشهدهم مع أبيه وجده بإشبيلية .

السيد حازم رضي الله عنه

أعقب السيد حازمًا ويسمونه عليًّا أيضًا وهو العقد في عمود النسب الشريف:

كان السيد حازم المذكور إماما يُقتدى به وجبلا يُلتجأ إليه. كتب إليه العزيز أبو منصور الفاطمي خليفة مصر يسأله الدعاء وتحكيم الملك فيه وفي بنيه فكتب له دعاء يختص بنفسه ويقول له بعد ما أحسن بيتك لولا الحاكم فافهم المقصود وبعث

يسأله عن الحاكم فقَبِلَ وصولَ رسوله. توفي السيد علي الحازم بإشبيلية وذلك سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وبعد سنة توفي العزيز وبويع ابنه أبو منصور ولُقِّبَ الحاكم فظهر منه العجب العُجاب من الخرافات والجنون والأفعال المكفرة والعياذ بالله وبقي على ذلك حتى مات مقتولًا وكان سببًا لهدم شرف بيتهم، وظهر سر كلام السيد الحازم قدس الله سره. أعقب الثابت وعبدالله ومحمد عسلة فعبدالله. سكن المدينة المنورة ومحمد عسلة أعقب حسَن ولم يعقب غيره وسيأتي ذكر عقبه إن شاء الله. وأما الثابت فهو عقد عمود النسب المبارك:

ولد بإشبيليه وتوفي بها سنة سبع وعشرين وأربعمائة وكان مهيمًا بالله حسن القراءة حسن الحفظ حسن الصوت تنفح رائحة النبوة من أثوابه، قال ابن الأفطس في مبسوطه: حدثني من أثق به أن ملوك المغرب على الإطلاق تتبرك بذكر السيد الثابت بن رفاعة العلوي، وإذا ورد على أحد منهم كتاب منه فكأنما بُشِّر بفتح قِطْرٍ لزيادة اعتقادهم به وإعظامِهم لشأنه، وأنه لحقيقٌ بذلك فإنه لم يكن به نفس لغير الله تعالى، أعقب يحيى وعليًّا .

السيد يحيى رضي الله عنه

فالسيد يحيى هذا هو العقد في عمود هذا النسب الطاهر:

قال السيد نظام الدين أبو الحرث محمد المعروف بابن ميمون الواسطى الحسيني في مشجره أن السيد يحيى المغربي المكي الحسيني أولُ قادمٍ من عصابة بني رفاعة الحسينيين إلى البصرة نزلها عام خمسين وأربعمائة، وهي السنة التي دخل فيها البساسيري بغداد وخطب بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوي خليفة مصر وأذَّن بحيَّ على خير العمل وأحيا البدعة وأظهر التشيع ونهب دار الخلافة وحريمها وحمل الخليفة القائم بالله في هودج وأرسله مع ابن عمه مهاوش إلى حديثة عانة وسار أصحاب الخليفة إلى طغرلبك فسار طغرل بك لرد الخليفة القائم بالله إلى خلافته، فلما وصل بغداد استقدم مهاوشًا صحبة الخليفة وتلقى الخليفة بالخيول والآلات والخيام العظيمة وأخذ بلجام بغلة

الخليفة إلى داره يوم الاثنين لخمس بقين من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ووقف طغرلبك بباب الخليفة مكان الحاجب وقاتل البساسيري فقلته وبعث برأسه إلى الخليفة، وأُخذت أمواله ونساؤه وأولاده .

في ذلك العام فوّض الخليفة القائم بالله نقابة الأشراف بالبصرة إلى السيد يحيى الرفاعي الحسيني لما شاع عنه من الزهد والصلاح والتمسك بالسنّة السنّيّة والعمل بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ طمعًا بإزالة فتنة الرافضة على يديه وكتب له كتابًا، غيرَ توقيع النقابة. أخذه صاحب المصطلح الشريف وبنى عليه كتابه. وها هو بنصّهِ: «شرّف اللَّهُ مقامَ الجانبَ الكريم السيد النقيبي الشريف النسيبي الحسيني بقية البيت النبوي، محب خليفة الأمة عضده بنصرة السُنّة، صالح الأولياء عَلَم الهُداة العلماء، لا زال عِرفانه منبعًا وهداهُ متَّبَعًا ما داخل الكلام كيت وكيت، وتُلِيَت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ٣٣﴾ [سورة الأحزاب]، نحن نُجِلُّكَ عن الوصايا إلا ما يُتبرك بذكره ويَسُرُّك إذا اشتملت على سرّه، فأهْلَكَ أهلكَ، راقب الله ورسوله جدك ﷺ فيما أنت عنه من أمورهم مسئول وارفق بهم فهم أولاد أبيك حيدرة وأمك البتول وكف يد من علمتَ أنه قد استطال بشرفه فمدَّ إلى العنادِ يدا. وأرهم مما يوصلهم إلى الله وإلى رسوله طريقًا قريبًا، وخلِّ من عَلِمْتَ أنه قد مال عن الحق ومال إلى طريق الباطل فِرَق وطوى صدره على الغل وغلب من أجله على ما سبق في علم الله من تقديم من لم يقدم حنقًا، وحاروا وقد أوضحت لهم الطريقة المثلى طرقا، واردعهم إن تعرَّضوا في القدح إلى نِضالِ نِصال، وامنعهم فإن فِرَقَهم كلها وإن كثرت حابطة في ظلام ضلال، وقَدِّم تقوى الله في كل عقدٍ وحل، واعمل بالشريعةِ الشريفة فإنها السبب الموصول الحبل والله تعالى يرفعك في الزلفى إلى أشرف محل ويمد لك رواق عِزٍّ إذا أبرز له البرق خدَّهُ خجل، أو مدَّ الغمامُ معه سرادقاته اضمحل، انتهى.

فانتظم الأمر وخمدت الفتنة وأصلح الله الأحوال ببركته رضوان الله وسلامه عليه. وحدّث الشيخ الشريف أحمد بن أبي العشائر الحسني عن أبيه أن الخليفة القائم رحمه الله لما بلغه قدوم السيد يحيى الرفاعي الحسيني إلى البصرة كتب إليه يستقدمه إلى بغداد

فامتثل أمر الخليفة وجاء بغداد فأنزله الخليفة في دار مفردة له في الغربية ووكل بخدمته حاجبه وأستاذ دار الخلافة، ودعاه في اليوم الثالث على طعام في داره واستقبله حين قدومه إلى صحن الدار، وأجلسه معه على سريره وكلّمه في أن يقبل نقابة الطالبيين بالبصرة ليزيل الفتنة والضغائن المتوالية بين أهل السنة والشيعة فامتثل أمره، فكتب له الخليفة توقيع النقابة على الطالبيين بيده .

قال في كتاب التوقيع: « بسم الله الرحمن الرحيم» الحمد لله حمدًا تَحْسُن به الشؤون وينجوا به الحامدون والصلاة والسلام على عبدالله الأكمل ورسول الله الأفضل سيدنا محمد الذي اختاره الله من أطهر الأصلاب وأشرف البطون وعلى آله وأصحابه العارفين بحقيقته، العاملين بسُنّته .

(أما بعد) من عبدالله القائم بالله أمير المؤمنين سدّد الله بالتوفيق والعناية أقواله وأفعاله، إنه البَرُّ المُعين، إلى العبد الصالح بركة الإسلام والمسلمين ناصر الإمام والدين خادم الشريعة المحمدية، قُرَّةِ عين العترة الفاطمية، يحي بن ثابت بن حازم بن أحمد ابن علي بن رفاعة حسن أبي المكارم المكي الحسيني الهاشمي، أعاد الله نفعه ونفع أسلافه على المسلمين. أيها السيد المُشارُ إليه والمُعَوَّلُ عليه، اعلم أن توقيعنا هذا وثيقة إمامية بيدك تعهد إليك مِنّا بالنقابة على الطالبيين بالبصرة وواسط والبطائح وما يليها من الأعمال، تأمر فيهم وأمرك النافذ المُطاع، وكل ما يُرفع منك للمقام الإمامي في شؤونهم فهو مقبولٌ يُعمَل بفحواه ويُحكم بمقتضاه، والله الموفق المعين. حُرِّرَ هذا التوقيع وقُرِّرَ بدار الخلافة العامرة ببغداد دار السلام، ختام عام خمسين وأربعمائة من الهجرة النبوية. انتهى التوقيع المبارك.

قال ابن أبي العشائر: فرجع السيد يحي إلى البصرة وراية النقابة بين يديه، وسَلَكَ السيرة الحميدة وأخمد نارَ الفتنة، ولم يشتغل بهذه الدنيا الدَنيّة، ولا زال على زهده وعبادته وصدقه مع ربه وتمكُّنه في دينه. إلى أن تُوفي عام ستين وأربعمائة ودُفن في البصرة بفم الدير وله مشهدٌ يُزار. ومن غريب ما نُقِل عنه من الكرامات الثابتة أنه

كان جالسًا على شاطئ نهر البصرة وقد أخذ الماء صَبيًا دون العاشرة، فلما رآه أشار بيده نحو الماء فسكن الماء فطفى عليه الصبي وهو يضحك ومشى على ظهر الماء حتى وصل البر فجرى الماء على عادته بإذن الله تعالى.

وروى لنا من حِكَمِهِ شيخُنا الكبير عبدالملك بن حمّاد الموصلي بروايته عن الشيخ العارف بالله تعالى أبي بكر النجاري الأنصاري الواسطى أنه كان يقول: كان السيد يحيى الرفاعي رضي الله عنه يقول: قوة نفوس العباد ظاهرة، وبأنوار الذكر عامرة، نفوس أبناء الآخرة كأنوارٍ زاهرة، نفوس أهل الفتوى محجوبة بالهوى، مشغوفة بزهرة الدنيا، مغرورة بالجاه والكبرياء، نفوس العلماء حية روحانية، نفوس الحكماء حية روحانية ناطقة، نفوس العقلاء حية عقلية برهانية، نفوس الأولياء حيّة ملكية مسرجة بالعلوم اللدنية، نفوس الملائكة عقول حيرة فاضلة، نفوس أشخاص الكرسي نيّرة زاهرة بالفيض الروحاني، نفوس حملة العرش المقربين مشرقة بجود رب العالمين، النفوس الإنسانية أشباح روحانية، النفوس صور روحانية ولهما الحياة والإدراك، فمهما تعلقت بالأجسام الفانية واغترت بالزينة الجسمانية تعذر لها الصعود إلى السموات العالية والجنان الخالدة، وإن انهمكت في الشهوات واللذات بقيت في جملة الأموات، النفوس الدنيوية عمياء محجوبة شقية، نفوس أهل الكبر محجوبة عن الفكر والذكر، نفوس أهل الفكر ثقيلة في الوزر، نفوس أهل الكبر خطيرة الخطر والقدر، نفوس أهل الحسد في عذابٍ سرمد، نفوس المرائين مشغولة عن رب العالمين، نفوس المرائين في عذاب مبين، نفوس المرائين في هاوية سِجّين، نفوس المرائين في حزب الشياطين، نفوس المغتابين شياطين، نفوس أهل النميمة شياطين رجيمة، نفوس الكذابين ممقوتة عند الخلق أجمعين، نفوس الأشرار ترمي الشرار، صحبة الأشرار داعية إلى البوار، صحبة الأخيار سُلَّم لدار القرار، صحبة الجاهل حِرمانٌ عاجل، صحبة الجُهّال سلاسلٌ وأغلال، صحبة العاقل سرورٌ كامل، صحبة العالِم نعيمٌ دائم، صحبة الصوفية تورث الحرية عن الشهوات الدنيّة، عِشْرَةُ الحكماء الأبرار حياة نفوس الأخيار، مؤاخاة الأولياء من أخلاق البررة الأتقياء، صحبة أهل الكلام مَضَرَّة العوام، صحبة

فقهاء الزمن من أعظم الآفات والمِحَن، رؤية النبيّ نورٌ برهانيّ، أصل الديانة العقل والعلم والحياة والأمانة، شرف الدين إرادة الخير لجميع المسلمين، كمال الإسلام كف الأذى عن كل الأنام، الإسلام نورٌ عام، إيمانُ المؤمنين هو التصديق لقول الأنبياء المخبَرين، إيمان المتكلمين مُلَفَّق ببعض الأدِلَّةِ والبراهين، إيمان فقهاء الزمن خيالٌ في السر والعلن، إيمان أهل الجدل مشوبٌ بالزيغ والخلل، إيمان أهل الظاهر ممثلٌ بالعشر الأواخر، إيمان العارفين هو الحق المبين، إيمان العارفين إيمانٌ كشفيٌّ برهانيّ يقين، إيمان العُقلاء كإيمان الملائكة الفُضلاء، إيمان العلماء كإيمان الكرام البررة الرُحَماء، إيمان الأولياء تابعٌ لإيمان الأنبياء، إيمان النبيّ إيمانٌ كُلّيّ، إيمان الوليّ حقيقي، النفوس المَلَكيّة تترك اللذة البدنية، وحياتها الفكر والرؤية والعلم والحكمة، أول الطريق هو الهداية والتوفيق والعمل بالخير على التحقيق، الطريق الحق هو العلم والعمل والصدق. السَفَر نوعان، سَفَر بالجسم وسفر بالنفس، فسفر الجسم هو العلمي بالآلات والحركات، وسفر النفس هو العلمي بآلة الفكر في حقائق، ومن عكف على الحركة الأولى لم ينل كمالا، ومن عكف على المحسوسات فهو في جملة الأموات، ومن لم يدرك المعقولات فحياته اللذائذ الجسمانية، الحركة العلمية عبادة كلية أبدية سرمدية، العلوم البرهانية كمالٌ للإنسانية، العلم سُلَّم العبد للنعيم وللنظر إلى وجه ربه الكريم، لا عمل إلا بعلم، ولا ورع إلا بعقل، ولا صبر إلا بيقين المجاهدة، مفتاح الهداية: كل شيءٍ سوى الله شاغل. انتهى.

تزوج السيد يحيى بالأصيلة النجيبة عِلمًا الأنصارية بنت المولى الجليل الشيخ الحسن أبي سعيد النجاري والد الشيخ يحيى أبي سعيد النجاري الأنصاري فأولدها عقد عمود هذا النسب الشريف مولانا السيد عليًّا أبا الحسن الرفاعي ألا وهو السيد الشريف تاج الصالحين سلطان العارفين أبو المحامد العبد الصالح الشيخ الكبير الورع المقرئ العلامة الفقيه البركة. ولد في البصرة سنة تسع وخمسين وأربعمائة وتوفى أبوه وعمره سنة واحدة وكفله أخواله الأنصار وبنو خالته بنو الصيرفي أمراء البصرة المشهورون وشب في حجر الزهد والتقوى وألبسه أبوه خرقته التي هي خرقة أهل البيت وهو في المهد

وأمر والده ابن عمه السيد حَسَنًا بإرشاده وكان كذلك، فإنه قام بإرشاده بعد أن كبر وألبسه خرقة الوراثة كما لبسها عن أبي المترجم السيد يحيى نقيب البصرة فلا زال السيد علي يترقى في المعالي والكمالات حتى أخذ العلم والطريق عن جدِّه لأمه الشيخ الحسن موسى أبي سعيد النجاري شيخ البطائحيين، وكان يتردد إلى البطائح لزيارة ابن خاله الباز الأشهب السيد منصور البطائحي الأنصاري الحسيني ثم أنه في سنة سبع وتسعين وأربعمائة سكن البطائح بأمر من الشيخ منصور. قال شيخنا الإمام جمال الدين الحدادي خطيب أونية، وفي السنة المذكورة أعني سنة سبع وتسعين وأربعمائة زوج الشيخ منصور ابن عمته السيد علي أبا الحسن الرفاعي بأخته الشيخة الزاهدة العارفة باللَّه دُرَّة تيجان نساء عصرها أم البركات فاطمة الأنصارية. فأعقب منها سلطان العارفين شيخ الإسلام إمام الهدى السيد أحمد الكبير الرفاعي والسيد عثمان والسيدة ست النسب، قلت وسيأتي ذكرهم إن شاء اللَّه. قال الشريف ابن ميمون الحسيني في مبسوطه وكانت إقامة السيد أبي الحسن علي بنهر دقلى بلد الشيخ منصور ثم لما عظم أمره ونمى ذكره وكثرت أطرافه وأتباعه استأذن الشيخ منصورًا أن يفرد له رواقًا فأذن له فأنشأ رواقًا جليلًا بقرية حسن وأقام بها يضيِّف الوارد ويرد الشارد ويدعو إلى اللَّه تعالى، ولازال يعظم أمره في تلك الديار إلى أن جاءت سنة تسع عشرة وخمسمائة فوقعت الفتن الكثيرة بين أهل البدع وبين أهل السُنّة بواسط وكان أمام أهل السنة والمشار إليه بين طوائف الصوفية والزهاد ورجال العترة المحمدية صاحب الترجمة فأجمع الناس على سفره لبغداد ليكشف للخليفة المسترشد فساد أهل البدع والباطنية وليحرضه على إحياء السُنّة ومحو البدع فتوجه لبغداد ونزل ببيت الأمير مالك بن المسيب برأس القرية محلة ببغداد وقد كتب بشأنه للخليفة ما يلزم أن يكتب عماد الدين زنكي صاحب واسط فأعزّه الخليفة ورفع مكانه ولكن لم يقدر على إزالة شر أهل البدعة وتعلل باستفحال أمر السلطان محمود بالعراق، فقال به السيد علي المترجم قدس سره أخشى عليك يا أمير المؤمنين فإنك إن لم تجدع أنف البدعة يحيط بها أهلها وكم جدعت البدعة أنفًا، فسكت المسترشد ولم يرد جوابه وقام من مجلسه

إلى المنزل الذي هو فيه منزعج الخاطر فحُمَّ في تلك الليلة، وبعد مضي أسبوع من مرضه توفي فعمل له الأمير مالك مشهدا برأس القرية وهو إلى الآن يُزار ويُتبرك به وله منزلة في قلوب العامة، ومن سره العجيب أن المسترشد سنة تسع وعشرين وخمسمائة يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة السنة التي كان الحرب فيها بينه وبين السطان مسعود، وثبت الباطنية عليه في خيمته فقتلوه وجدعوا أنفه وأذنيه ومثلوا به فكان أهل القلوب يقولون قد ذكر هذه القصة صاحب الترجمة من طريق الكشف للخليفة قبل عشر سنين، ويقال أنه قبل وفاته أنشد قّدس الله سره:

عجبًا لِحظِ المخلصين بنُصحِهِمْ لازال فيهم تعبثُ الأكدارُ

كالشمعِ يسمحُ للأنامِ بنورِهِ وتمسُّهُ من ذا الصنيعِ النارُ

ويُقال أنه كان يقول وهو يجود بروحه المباركة، آمنت بالله حسبي الله. وبرواية شيخنا العارف بالله عبدالملك بن حماد الموصلي قدس سره أن السيدة الصالحة فاطمة الأنصارية زوجة السيد أبي الحسن علي الرفاعي شكت لأبيها الإمام العارف بالله يحيى النجاري زوجها السيد عليًا أبا الحسن أنه يغيظها فغضب لذلك وكان الشيخ مُجاب الدعوة، ففي ذلك اليوم دخل السيد علي أبو الحسن رواق خاله الشيخ يحيى وحضر في غرفته بين يديه فأعرض عنه الشيخ يحيى، فما مضى يسير من الوقت إلا وقام بين يدي السيد علي وأعظم شأنه فتعجب أصحاب الشيخ يحيى من ذلك فقال لأصحابه أظنكم تتعجبون من حالي مع ابن أختي قالوا بلى والله أي سيدنا فقال والله كان في نفسي أن أبادره بدعوة تسد عليه طريقه وتخرق الحجب ولكن خفت من الدُرَّة اليتيمة التي في صُلبه، قالوا وما الدُرَّة قال في صُلبه ولدٌ اسمه أحمد يكون سيد المقربين إلى الله وتنتهي إليه نوبة الوراثة المحمدية. وفي هذا الخبر المبارك سرٌّ صريح يُفصح عن مقام الشيخ يحيى وقوة كشفه ويُعرب عن علو مرتبة سيدنا السيد أحمد وعظيم منزلته رضى الله عنهم أجمعين. انتهى ما نقلناه من كتاب خلاصة الإكسير.

دفع فرية

وأما ما حاوله النجفيّ[1]، من نفي انتساب السيد أحمد عليه رضوان الله، إلى أهل البيت الكرام، ففرية انفرد بها، ونفثة حقد زل بها، وحمله عليها اختلاف المذهب، وإلا فمن ينكر الشمس في رابعة النهار، أو القمر ليلة البدر، وقد اشتهر النسب الرفاعي في المشرق والمغرب وبين العلماء والعامة، وأقر به الخلفاء والأمراء، وأثبته رسول الله ﷺ له، وقال للسيد أحمد «يا وسيّ»، شهادة كافية، تزين هامة البطل الرفاعي، على مر الأيام، وتؤكد سريان السر المحمدي فيه، شاء من شاء، وأبى من أبى.

وقد فضح النجفيّ نفسه بعبارته، فإنه قال: «إنّ نسب السيد الرفاعيّ ينتهي إلى محمد بن الحسين بن أحمد الأكبر بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم. قال «ولم يذكر أحد من أهل النسب للحسين بن أحمد ولدًا اسمه محمدًا»، وافترى على الشيخ تاج الدين أنه قال: «إن السيد أحمد بن الرفاعيّ، لم يدّع هذا النسب، وإنما ادّعاه أولاد أولاد أولاده».

ووافقه على هذا النفي بدعوى أن الحسين لم يلد ولدا اسمه محمد، أبو عبد الله ابن طباطبا، وابن عنبة، بجهل. فردّ على هذه الفرية عدةٌ، منهم: النسابة النقيب نظام الدين أبو الحارث محمد الواسطي بن ميمون الحسيني[2]، قائلا: «إن الحسد قد أعمى صاحب هذا الافتراء عن التدقيق بأن ولد الحسين إنما هو الحسن، وولد الحسن محمد أبو القاسم، وقد أطبق النسابون بمن فيهم ابن طباطبا وتلميذه، وكتب كلهم في كتب النسب الحسن بن الحسين».

والعجب العجاب أن ابن عنبة النجفي وأبا عبد الله بن طباطبا المذكورَيْن، قد صححا في مشجراتهما، نسب العبيديين جماعة مصر، بعد ما شاع وذاع وأثبت، حتى

---

(١) جمال الدين أحمد بن علي بن حسين بن عنبة الداودي الطالبي النجفي الرافضي المتوفى سنة ٨٢٨هـ.

(٢) سراج الدين المخزومي، صحاح الأخبار، ص٧٣-٧٤.

كاد أن يبلغ أمر ثبوته اتفاق الإجماع[1] بدعوى الورع، لكي لا يقطعا فرعا نبويا عن أصله، ولو بدليل ضعيف، فكيف تجرءا على طي اسم الحسن بن الحسين بن أحمد بن موسى الثاني، وقالا بقطع فرعه عنه، وأثبتا اسمه في مشجراتهما[2]؛ فما هذا النفي، وما هذا الإثبات إلا من الحسد القاتل والعياذ بالله، فالحذر الحذر من سماع ترّهاتِهما بهذه الرواية، فضلا عن اعتقاد بعض احتمال صحتها، فإنها من الدسائس الإبليسية.

هذا مع أن النسابة أبا النظام مؤيد الدين عبيد الله بن عمر بن محمد الحسيني نقيب واسط، قد أثبت نسب السيد الرفاعي في ثبته المسمى [بحر الأنساب]، والمعروف بـ[الثبت المصان][3]؛ وهذا الثبت هو أصل وأساس المشجر العميدي الذي عمله النجفيّ.

قال رضيّ الدين أحمد بن عميد الدين الحسينيّ، سبط أبي النظام مؤيد الدين، في ما كتبه في خاتمة [بحر الأنساب]، كتاب جده ما نصه:

باسمه سبحانه وكفى، والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وءاله وصحبه، وذويه وعشيرته وحزبه. أما بعد، فيقول الفقير إلى الله تعالى رضي الدين أحمد بن السيد عميد الدين الحسيني، سبط المؤلف. هذا الثبت المبارك للوليّ العارف

---

(١) أي من انقطاع نسبهما إلى السيدة فاطمة الزهراء، وأن جدهم مجوسي. ففي ترجمة الراضي العباسي من كتاب تاريخ الخلفاء للحافظ السيوطي عند كلامه عن المسمى بالمهدي، قال وهو جد خلفاء المصريين الذين يسمونهم الجهلة «الفاطميين»؛ فإن المهدي هذا ادعى أنه علوي، وإنما جده مجوسي. قال القاضي أبو بكر الباقلاني جد عبيد الله الملقب بالمهدي المجوسي، دخل عبيد الله المغرب وادعى أنه علوي، ولم يعرفه أحد من علماء النسب، وكان باطنيا خبيثا، حريصا على إزالة ملة الإسلام، أعدم العلماء والفقهاء، ليتمكن من غوغاء الخلق، وجاء أولاده على أسلوبه، أباحو الخمر والفروج، وأشاعوا الرفض، وقام بالأمر بعد موت هذا ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد.

(٢) أي فتناقضا.

(٣) قال السيد محمد سراج المخزومي في هذا الكتاب: إنه كتاب نسب جليل المفاد، عظيم الجمل، طالعته وقرأته على جماعة من النسابة، وهو أصح كتب النساب حجة، وأوضحها محجة، لسلامة الشريف أبي النظام مؤلفه من ضغائن الرافضة، ولشدة اطلاعه وتمكنه في دينه، وتعصبه لكل من أفراد السلالة الفاطمية. صحاح الأخبار، ص١٨.

بالله الشريف أبي النظام مؤيد الدين عبيد الله نقيب واسط الحسيني رحمه الله تعالى، إن هذا المؤلف الشريف كتاب جمّ الفائدة، عظيم الثمرة، خطير المقصد والشيء، يشرف بشرف ما وضع له، وقد وضع لرفعة قدر النسب المحمدي، والحبل المتصل الأحمدي، وهو مشهور ومعروف بين أهل هذا الشأن بالثبت المصان بذكر سلالة سيد ولد عدنان، ويسميه جماعة [بحر الأنساب] لأبي النظام الواسطي، تلقاه مؤلفه نوّر الله مرقده، عن جماعة أعيان ورجال، ذوي أمانة وعلم وعرفان، كالشيخ السيد أبي الحسن محمد بن محمد العبيدليّ العزويّ، والنقيب تاج الدين نقيب المشهد العزويّ، والعلامة الحجة النسابة السيد سراج الدين حسن بن السيد تاج الدين الرفاعي الواسطي صاحب [كفاية النقباء]، والشيخ أبي نصر سهل بن عبد الله البخاري، وأبيه السيد الجليل النسابة الأصيل عمر أبي عليّ جلال الدين نقيب واسط الحسيني وغيرهم.

وقد شجر هذا الكتاب وزاد عليه بعض تعليقات الشيخ أبو الحسن علي بن محمد ابن علي الصوفي النسابة، وسمى مشجره المذكور [المختصر في نسب وءال سيد البشر]. وشجره أيضا عميد الدين النجفيّ[1]، وزاد عليه ولدُه[2] بعض تعليقات مستحسنة قدم فيها وأخّر، ويقال لكتابه [مشجر العميدي]، ثم طواه ونشره وزاد عليه واختصره جمال الدين أحمد بن عنبة النجفي، وسماه [عمدة الطالب في نسب ءال أبي طالب]، أهداه إلى غياث الدين أبي الفضل محمد المرادي الوزير.

وقد تبين حينئذ أن هذا الثبت العالي كان لهذه المؤلفات التي عدت أمّا وأبا وأصلا وسببا. توفي جامعه السيد السالف الذكر عطر الله مرقده أيده بقربه وأسعده عام سبع وثمانين وسبعمائة، وقد زاد سنه عن التسعين رضي الله عنه وعن ءابائه الطاهرين ونفعنا الله به وبأسلافه في الدنيا والدين[3] اهـ

---

(١) اسمه أحمد.

(٢) محمد بن أحمد العميدي الحسيني.

(٣) روضة الناظرين، ص١٢١-١٢٢. زين الدين المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الرفاعية، ج٢، ص٢١٨. الشيخ سمير القاضي، البراهين على صدق حادثة اليمين، ص١٦٢-١٦٦.

ولما بلغت مقالة ابن عنبة إلى الشيخ الشريف الحسين أبا محمد السمرقندي كتب إليه[1]:

خدشـــت قلاك الله بالوهم كوكبـــا أضاءت به الدنيا وأشرقت العليـــا
لئن كنت أعمى العين والقلب جاحدا فما عميت عن نور أحمدها الدنيـــا

بعض أعيان ذريته رضي الله عنه

وليعلم أنّ السيد أحمد رضي الله عنه تزوج في بدايته بالشيخة الصالحة الست خديجة بنت سيدي أبي بكر أخي الشيخ منصور الرباني، ابن سيدي يحيى النجاري الأنصاري، فأولدها السيدة فاطمة، والسيدة زينب، رضي الله عنه؛ ثم توفيت فتزوج بعدها بأختها الصالحة الزاهدة العابدة الست رابعة، فأولدها السيد صالحا رضي الله عنه، وقد توفي قطب الدين صالح المذكور رضي الله عنه في حياة أبيه، ولم يتزوج، ودفن في قبة جده سيدي يحيى النجار.

وأما السيدة فاطمة بنت السيد أحمد الكبير، فقد زوجها أبوها بابن أخته وابن ابن عمه السيد علي، مهذب الدولة، شيخ وقته، قطب الزمان، ولي الرحمن بن عثمان؛ فأعقبت له الأستاذ الأكبر، والعلم الأشهر، غوث زمانه، بحبوحة الكرم، عظيم الهمم، القطب الأقرب، أبا الفقراء، سيدنا محيي الدين إبراهيم الأعزب رضي الله عنه، والسيد نجم الدين أحمد الأخضر، وتوفيت ولم تخلف غيرهما. وتزوج بعدها بنفيسة، بنت سيدي محمد بن القاسمية، فأولدها السيد إسماعيل، والسيد عثمان، والسيدة عائشة، والسيدة زينب، والسيدة خديجة، والسيدة فاطمة، وعقبهم معلوم.

وأما السيدة زينب بنت سيدنا السيد أحمد الكبير، فقد زوجها أبوها رضي الله عنه، بابن أخته وابن ابن عمه، صاحب القدم السابق، والشرف الباسق، والخلق الكريم، والقلب السليم، ممهد الدولة والدين، سيدنا عبد الرحيم بن عثمان رضي الله عنه. فأولدها السيد شمس الدين محمدا، والسيد قطب الدين أحمد ، والسيد

---

(١) الفجر الطالع، ص٨٦.

أبا الحسن عليا، والسيد عز الدين أحمد، والسيد أحمد أبا القاسم، والسيد أبا الحسن، والسيدة عائشة، والسيدة فاطمة، ذكورهم ستة، وإناثهم ثنتان كما في الترياق.

وزينب هذه رضي الله عنها أم الرجال، تزوج ولدها السيد شمس الدين محمد بالسيدة خديجة بنت سيدنا السيد علي بن عثمان، فأعقب السيد أحمد؛ وكبر السيد أحمد هذا وتزوج وأعقب السيد أبا القاسم والسيدة خديجة والسيد عبد الله ولكلّ شعبة وأهل.

ثم إنّ السيد قطب الدين أحمد بن السيدة زينب تزوج أيضا، وأعقب السيد نجم الدين يحيى، والسيدة فاطمة، ولهما ذرية. ثم إن ولدها الثالث السيد أبا الحسن علي الملقب بعبد المحسن، تزوج فأعقب السيد شرف الدين أبا بكر، والسيد عليا أبا الحسن، والسيدة العابدة نسب، فأعقب أبو بكر السيد أحمد ، وأعقب السيد أحمد هذا أبا الفضائل السيد عليا.

وأما السيد علي أبو الحسن ابن السيد عبد المحسن أبو الحسن عليّ، فإنه سكن قرية حرير، من أعمال البصرة، وهاجر إلى الشام، وتزوج بأرضها، وله ذرية؛ وتخرج بصحبته جم غفير من الرجال، ومنهم الشيخ علي أبو محمد الحريري بن أبي الحسن بن منصور المروزي رحمه الله. وقد كان ابن منصور هذا على حال إلا أنه قد غلبت أحواله عليه، فما قدر على قبض لسانه، فقيل فيه ما قيل.

ثم إنّ ولد السيدة زينب الرابع مولانا السيد عز الدين أحمد الصغير تزوج وأعقب السيد سيف الدين عثمان، ولم يعقب غيره. ثم إن ولدها الخامس، السيد أبا القاسم عز الدين أحمد الكبير، ويلقب بالصياد، هاجر من العراق إلى الحجاز، ثم إلى اليمن، ومصر، وتزوج فيها من ءال الملك الأفضل، وأعقب بها السيد عليًا، وتركه عند أخواله، وهاجر إلى الشام، كل ذلك خيفة الشهرة، ولكيلا يشتغل بالخلق عن الخالق، وسكن في نهايته قرية يقال لها متكين، من أعمال معرة النعمان، من أعمال حلب، سكنها حتى مات، وتزوج فيها؛ وأعقب السيد موسى ويقال له الكبير، والسيد صدر الدين عليًا،

والسيد شمس الدين محمدا، والسيد أحمد أبا بكر، وترك في العراق ولدًا له سماه السيد عبد الرحيم.

وقد اشتهر أمر السيد أحمد عز الدين أبي القاسم الصياد، ويقال في الشام له «أبو علي»، وفي اليمن «أبو الخير». وقد حمله جده بيده، وعظم شأنه، وبُشّر به، وأثنى عليه، وقال فيه: «ستكون له دولة عظيمة، وتزوره الأسود». ثم إن ولد السيدة الجليلة زينب السادس، سيدنا محمد أبي الحسن، تزوج في أم عبيدة، وأعقب السيد شمس الدين محمدا، إمام الوقت، فعقب السيد شمس الدين الشيخ الأجل السيد تاج الدين، والسيد أحمد أبا الحسين، ولكل منهم عقب وذرية صالحة، شجرة أصلها ثابت، وفرعها في السماء، انتظم فيها أكابر الأقطاب وأقطاب الأولياء، رضي الله عنهم وعنا بهم ءامين.

نسب كأنّ عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا[1]

مشايخه رضي الله عنه

درس القرآن العظيم، وأتم حفظه وترتيله على الشيخ الصالح، الورع، المقرئ، الشيخ عبد السميع الحربوني بقرية حسن[2]، وهي من أعمال واسط العراق، وكان له من العمر سبع سنين، وفي هذه السنة توفي أبوه[3] في بغداد، وبعد وفاة والده، كفله خاله

---

(١) الإمام علي بن الحسن بن أحمد الواسطي الشافعي، خلاصة الإكسير في نسب سيدنا الغوث الرفاعي الكبير، بيروت: كتاب ناشرون، ١٤٣٤هـ، ص٤٧-٥٠.

(٢) وهي معدودة كجزء من أم عبيدة مثل الفضيلة والربوة وحربون والمنصورية والوردية، وعدة قرى أخرى. هكذا كانوا يكتبون في سجلات الديوان كما قال في إرشاد المسلمين.

(٣) أبو الحسن عليّ بن أبي أحمد يحيى الرفاعي، قدم من واسط إلى بغداد ليكشف للخليفة المسترشد فتن الباطنية، والغلاة، ويحرضه على دفع مفاسدهم، فصار ضيفًا على الأمير مالك بن المسيّب، فأكرمه المسترشد، ورفع مكانه، ولكن لم يجبه إلى ما طلب، متعللًا باستفحال أمر السلطان محمود بالعراق، فانزعج السيد عليّ الرفاعيّ، وحمّ ثم توفيَ بعد أسبوع ببغداد، وعمل عليه ابن المسيّب مشهدًا، برأس القرية في الجانب الشرقي من بغداد يزوره الناس.
ويؤثر عن السيد عليّ كرامات كثيرة، وله في قلوب الصالحين حرمة كبيرة، ويلقبه العامة بالسلطان=

الباز الأشهب الشيخ منصور البطائحيّ، ونقله ووالدته وأخوته إلى بلدة نهر دقلا، من أعمال واسط؛ وأدخله على الإمام العلامة، الفقيه المقرئ، المفسر، المحدث، الواعظ، الصوفيّ الكبير الشأن، الشيخ أبي الفضل عليّ الواسطيّ رضي الله عنه، فتولي أمره، وقام بتربيته، وتأديبه، وتعليمه، فبرع بالعلوم النقلية، والعقلية وأحرز قصب السبق على أقرانه.

وكان يلازم درس خاله الشيخ أبي بكر، شيخ وقته وسلطان زمانه، كما كان يتردد علي حلقة خاله الشيخ منصور الرباني، ويتلقي بعض العلوم عن الشيخ عبد الملك الحربوني. وحفظ كتاب التنبيه في الفقه الشافعي للإمام أبي إسحاق الشيرازي، على ظاهر قلب، وشرحه شرحًا جليلًا، ويقال أنه ضاع في واقعة التتار؛ واستغرق أوقاته بجمع المعارف الدينية، وقد أفاض الله عليه من لدنه علمًا خاصًا، حتى رجع مشايخه إليه، وتأدب مؤدبوه بين يديه.

وفي العشرين من عمره، أجازه شيخه الشيخ أبو الفضل عليّ، محدث واسط، وشيخها، إجازةً عامةً، بجميع علوم الشريعة، والطريقة، وألبسه خرقته المباركة، وأعظم شأنه، ولقبه بأبي العلمين، (الظاهر والباطن)؛ وانعقد عليه في حياة مشايخه الإجماع واتفقت كلمتهم على عظم شأنه ورفعة قدره. ثم أقام بنهر دقلا مدة يسيرة، ثم رجع إلى رواق أبيه، في قرية حسن فأشتهر كل الاشتهار.

وفي الثامن والعشرين من عمره، عهد إليه خاله الشيخ منصور بمشيخة الشيوخ، ومشيخة الأروقة والربط، المنسوبة إليه، وأمره بالإقامة في أم عبيدة، برواق جده لأمه، الشيخ يحيى النجاري، والد الشيخ منصور؛ فأقام فيها وتصدر على سجادة الإرشاد، بذلك العام، وهو العام الذي توفي فيه خاله الشيخ منصور.

= عليّ. قال ابن الأنجب في تاريخه: سقط طفل لامرأة بالشاطئ قرب مرقده، فاستمدت منه، فخرج من جهة المشهد رجل حسن السمت، ومد يده إلى الشاطئ، وأخرج الطفل وأعطاه إلى أمه. وقد أبقى الله ذكره بسبب ولده السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه.

ولما كان له من العمر خمس وثلاثون سنة، أحصيت الرقاع التي وردت إليه من مريديه، الذين دخلوا الخلوة المحرمية، فزادت عن سبعمائة ألف رقعة[1].

وكان رضي الله عنه لايفتر عن تعليم الناس، سنة المصطفى ﷺ، وأسرار القرآن ويقول: «تجارة العارف الدلالة على الله، وسوق القلب إلى الله». وكان يقرأ دروس الفقه، والحديث، والتفسير، والعقائد، كل يوم صباحًا ومساءً، غير الاثنين والخميس بعد الظهر، فإنه يجلس فيهما، ويلقي على الناس كلامًا يذهل العقول، ويدهش الألباب، ويخطف القلوب. ولم يسبقه من بعد النبي ﷺ، وأصحابه، والأئمة الاثني عشر، من أهل بيته الطاهر، عليهم الرضوان والسلام سابق ولم يلحقه لاحق.

وكان إذا جلس على كرسيه للدرس، أحاطت به أئمة العلماء، وفحول الخطباء والمرشدون، والكثير الكثير من الخواص والعوام؛ فإذا أخذ بالتحدث جرى العلم على لسانه كالبحر المتدفق، فيذهل العارفين ببلاغته، وسعة علمه، ويخرس الجاحدين والمارقين، بقوة حججه، فالأدباء تأخذ نصيبها من فصاحته، والعلماء من معارفه، والفلاسفة من تحقيقه وحكمه، والأولياء من حقائقه ومواهبه[2].

وفي رسالة سواد العينين في مناقب الإمام أبي العلمين للإمام الرافعيّ، أخبرني الفقيه العالم الكبير بقية الصالحين، قال: كنت في أم عَبيدة زائرًا عند السيد أحمد الرفاعيّ في رواقه، وحوله من الزائرين، أكثر من مائة ألف إنسان، منهم الأمراء، والعلماء، والشيوخ، والعامة، وقد احتفل بإطعامهم، وحسن البشر لهم، كل على حاله؛ وكان يصعد الكرسي بعد الظهر، فيعظ الناس، والناس حلقًا حلقًا حوله، فصعد الكرسي بعد ظهر خميس، وفي مجلسه وعاظ واسط، وجم غفير من علماء العراق، وأكابر القوم، فبادر قوم بأسئلةٍ من التفسير، وآخرون بأسئلةٍ من الحديث، وجماعة من الفقه، وجماعة من الخلاف، وجماعة من الأصول، وجماعة من علوم أخرى؛ فأجاب على مائتي سؤال من

(١) محمد أبو الهدى الصيادي، تنوير الأبصار في طبقات السادة الصوفية الأخيار، ص٧.

(٢) البرهان المؤيد.

علوم شتى، ولم يتغير حاله حال الجواب، ولا ظهر عليه أثر الحدة، فأخذتني الحيرة من سائليه، فقمت وقلت: أما كفاكم هذا؟ والله لو سألتموه عن كل علم دون لأجابكم بإذن الله بلا تكلف. فتبسم وقال: دعهم أبا زكريا فليسألوني قبل أن يفقدوني، فإن الدنيا زوال، والله محول الأحوال. فبكى الناس، وتلاطم المجلس بأهله وعلا الضجيج، ومات في المجلس خمس رجال وأسلم من الصابئين والنصارى واليهود ثمانية آلاف رجل، أو أكثر؛ وتاب أربعون ألف رجل.

مؤلفاته رضي الله عنه

للسيد الإمام رضي الله عنه، مؤلفات كثيرة ومتنوعة، فقد أكثرها في موقعة التتار، وما وصل إلينا من علمه هو[1]:

- معاني بسم الله الرحمن الرحيم، وهو كتاب في التفسير على طريقة القوم.
- تفسير سورة القدر.
- الرواية في الحديث.
- الطريق إلى الله في التصوف.
- حاله أهل الحقيقة مع الله. وهو أربعون حديثا، بالإسناد المتصل، ألقاها السيد أحمد الرفاعي في أربعين مجلسا، جمعها الفقيه الشافعي أبو شجاع.
- الصراط المستقيم.
- البهجة في التصوف.
- النظام الخاص لأهل الاختصاص.
- المجالس الأحمدية، جمعه المحدث الشيخ عبد العظيم بن عبد القوي بن أحمد

(١) الشيخ الإمام علي أبو الحسن بن أحمد الواسطي الشافعي، خلاصة الإكسير في نسب سيدنا الغوث الرفاعي الكبير، بيروت: كتاب ناشرون، ١٤٣٤هـ، ص٩-١٠.

المنذري، أورد فيه ما قاله سيدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه في كل مجلس على الغالب.

- كتاب الحكم، في التصوف والمواعظ.
- شرح التنبيه، للشيرازي في الفقه الشافعي.
- راتب الرفاعي.
- المصباح المنير في ورد السيد الرفاعي الكبير.
- السر المصون، وهو حزب السيد أحمد الرفاعي.
- البرهان المؤيد، وهو من أشهر كتبه، وقد وصفه الإمام الرافعي بقوله: «الكتاب الجليل الذي جمعه من مجالس وعظه ودونه شيخ الإسلام شرف الدين بن الشيخ عبد السميع الهاشمي العباسي الواسطي» نفعنا الله بهم أجمعين.
- السير والمساعي، جمعه الشيخ إبراهيم الراوي الرفاعي البغدادي ذكر فيه أحزاب وأوراد السيد أحمد رضي الله عنه.

أخلاقه وبعض سيرته رضي الله عنه

وأما أخلاق السيد أحمد رضي الله عنه، فقد وافقتها أعرافه، طاب أصلًا وخَلْقًا وحالًا وخُلُقًا، كان خُلقه السنة المحمدية، ومشربه الحالة النبوية، لم يعهد، ولم يسمع في طبقات القوم من بعد الصحابة، وأئمة الآل، عن أحد من الرجال، أنه بلغ ما بلغه، قدست أسراره، من الصفا والزهد، الصدق، والتواضع، والانكسار، والحيرة، والافتقار؛ أتى بكل أخلاق عصره وعباداتهم، ولم يأت كلهم بكل أخلاقه وعبادته؛ وجاء بكل كراماتهم ومناقبهم، ولم يجئ كلهم بكل كراماته ومناقبه. فالحمد لله الذي منّ علينا باتباعه وجعلنا من أتباعه رضي الله عنه[1].

(١) عز الدين أحمد الفاروثي، النفحة المسكية، الآستانة: مطبعة محمد أسعد نومرو، ١٣٠١هـ،=

كان السيد أحمد الرفاعيّ رضي الله عنه هين المؤونة، غنيّ النفس، حسن المعاشرة، دائم الإطراق، كثير الحلم، كاتمًا للسر، حافظًا للعهد، كثير الدعاء للمسلمين، هَيْنًا لينًا، يصل من قطعه، ويعطي من منعه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن مجاورة من جاوره، ويصفح عن سيئات الإخوان، ويطعم الجائع، ويكسو العريان، ويعود المريض برًا كان أو فاجرًا، ويشيع الجنائز، ويجالس الفقراء، ويرى الأكل مع المساكين، ويرى الصبر على الأذى، ويبذل معروفه، وينصح عدوه، ويبدأ من لاقاه بالسلام، إن مُنع صبر، وإن فتح الله عليه بشيء ءاثر، وإذا دُعِيَ ما يقول للداعي إلى أين، ويكنس الرواق والمسجد بنفسه، ويظهر الفرح لفرح الناس، والغم لغمهم، ويحث على فعل الخيرات، ويرشد إلى مكارم الأخلاق، وإذا خاطب أحدًا يقول: «أي سيدي»، كبيرًا كان المخاطب أو صغيرًا، وإذا عجب من شيء يتبسم، ويكره القهقهة، ويصل ذوي الرحم، ويقبل عذر المعتذر إليه، وربما عذره قبل اعتذاره، خوفه أكثر من فرحه، يفوح من نفسه رائحة الكبد المحروق، إذا مشى في الطريق لا يلتفت يمينًا وشمالًا، ولا ينظر إلا موضع قدمه، يأخذ بأيدي العميان ويقودهم، ويخفض جناحه لهم، ويسألهم الدعاء، ويتردد إلى أبواب المساكين، ويحمل لهم الطعام، ويخرج بالقِربة على كتفه ليلًا والناس نيام، فيملؤها ويحملها إلى بيوت الأرامل والمساكين، ومن ليس له جَلَد، ويقصد المرضى والمجذومين، ويلزمهم ويتعاهدهم ويغسل ثيابهم، ويحمل الطعام إليهم، ويأكل معهم، ويسألهم الدعاء له وللناس، وكان لليتيم كالأب الشفيق، وللأرامل كالزوج الأليف، إذا أراد أن يتكلم بكلمة اعتبرها قبل أن يخرجها من فيه، فإن رأى فيها إصلاحًا تكلم بها، وإلا ردها، وكان يشق عليه تضييع نفس من الأنفاس في غير طاعة الله، ولا يفرط في شيء من وقته، ويقول: «من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يغنيه». وكان ينشد شعرًا:

= ص١١، الشيخ علي أبي الحسن الواسطي، خلاصة الإكسير في نسب الغوث الرفاعي الكبير، القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ، ص٣٤-٣٥. سمير بن سامي القاضي، البراهين على صدق حادثة مد اليمين، بيروت: دار المشاريع، ١٤٣٣هـ، ص١٧٠-١٧١.

يـــا أيهـــا الـــمـــعـــدود أنـفـاسـه يـوشـك يـومـا أن يـتـم الـعـدد[1]

وكان في كثير من أوقاته يتأسف ويقول قد بقي القليل، وكان لا يرى الاشتغال بشيء من الدنيا عند دخول وقت الصلاة، طلب مرة ماء يشرب فسمع الأذان فقال: «حضر حق الحق[2] وتأخر حق النفس[3]». وكان يصفر لونه إذا وقف في الصلاة، وإذا صلى صلاة الصبح جلس مكانه حتى تطلع الشمس، ويركع موضعه الضحى والإشراق ودموعه غزيرة، وأوجاعه كثيرة، وبكاؤه طويل، وفرحه قليل، وكان ينشد شعرًا:

والله لـو علمت روحـي بما علقت قامت على رأسها فضلًا عن القدم

وكان يقرأ ءاية الكرسي دبر كل صلاة، وأكثر ما يقرأ فاتحة الكتاب في طرقاته، ويحافظ على الوضوء، ويأمر باستدامته، وإذا مر بمسجدٍ دخل وصلى فيه حَضَرًا كان أو سفرًا، وإذا دخل منزلًا أودعه ركعتين. ومر يومًا بصغار يتخاصمون، فخلص بينهم ثم قال لواحد منهم: أي ولد ابن من أنت؟، فقال له الطفل: أي شيء مقصودك من هذا؟، فقال: صدقت أي ولدي جزاك الله الخير وجبرك كما أدبتني إ.هـ

ورأى يومًا زوجته الصالحة رابعة جعل الله الفردوس مأواها، وبلغها من أعلى الدرجات مناها، تطحن بالرحا فجلس معها وساعدها في الطحن. واشترى يوما سمكةً من السوق فحملها بنفسه ولم يمكن أحدًا من حملها، وكان إذا وجد شيئًا من الأذى في طريقه يزيله بنفسه ويرفعه بيده ثم يمضي ويغسل يديه منه، ويقول له الفقراء في ذلك، فيدعُ لهم ويقول: «هذا شرف يدي». ولا يحتقر ما أهدي إليه ولو كان حشفًا. ولا يقبض يده عمن أراد مصافحته، ولا يمكن أحدا من تقبيل يده. ولا يدع أحدًا يحمل

---

(١) جلاء الصدا، ص١٢٣-١٣٠. أبو الهدي الصيادي، قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، ص٤٨-٥١.

(٢) أي حضر وقت الواجب الذي أوجبه الله تعالى.

(٣) هذا لأنه كان رضي الله عنه لا ينشغل قلبه في الصلاة بتأخير الشرب، وإلا فمن كان تأخيره للشرب يشغله عن الخشوع فإنه يشرب أولا كما لا يخفى.

معه، ولا يستخدم أحدًا من الفقراء في حاجته لنفسه. ولا يتجاسر أن يلغو بين السنة والفرض. ولا يجري ذكر الدنيا في مجلسه. ولا يستدبر القبلة غالبًا، ولا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله تعالى. ولا يقول في الرضا والغضب إلا حقًا. ولا يرى الشكوى إلى سلاطين الأرض. وإذا انقطع أحدٌ من الفقراء عن الجمعة، والجماعة، يسأل عنه إن كان مريضًا عاده، أو بعث من يعوده، وإن كان انقطاعه لحاجته أعانه على قضائها. يحب النفقة على الإخوان، والأكل معهم، ويحب تعجيل الأكل ويقول: «هي حاجةٌ أقضيها وأرجع إلى حاجةٍ أخرى». وكان يقول: «ينبغي للفقير إذا أكل، أن يأكل بنية أن يتقوى على طاعة الله تعالى». وكان يكره أكل الخبز المحترق، ومسح اليد بالخبز، وأن يتكلف الشخص لضيفه[1]، وينهى عن الشبع، ويقول هو سبب الآفات. يمسح الآنية، ويلعق أصابعه، ويلتقط الفُتاة، ويكره للآكل أن يمتنع عن غسل يده بعد الطعام، إذا عرض عليه هذا الإكرام. وإذا صنع في بيته، ينفذ منه شيئًا إلى الجيران، وإذا رأى شيئًا من الخبز ملقى على الأرض يغضب[2]، ويشرب الماء في ثلاثة أنفاس. أكمام ثوبه إلى رؤوس أصابعه، وعمامته قصيرة، ولا يجمع بين الثوبين، يأمر مريديه بالتمسكن[3] والتقلل من الدنيا، ولبس المرقعة. ويحثهم على العمل بما علموا، وعلى الكسب ليستغنوا عن الناس، وكان يرغبهم في قيام الليل. ويوصيهم بعيادة المرضى، وإذا سمع بمريضٍ في قريةٍ، ولو على بُعدٍ، يخرج ماشيًا لعيادته، وكانت الأرض تطوى له، بإذن الله تعالى.

وكان يُحَذّر الفقراء الوسواس في الوضوء، والصلاة، ويكره لهم دخول الحمام[4]،

---

(١) روى أحمد والطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد عن سلمان الفارسي النهي عن أن يتكلف الشخص للضيف ما ليس عنده. قال الحافظ الهيثمي في مجمع «الزوائد» أحد أسانيد الكبير رجاله رجال الصحيح اهـ وقال في ءاخر رجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الطوسي وهو ثقة اهـ وليس التكلف الإكرام كما لا يخفى.

(٢) ليس ذلك لأن رميه على الأرض حرام كما يطلقه بعض الناس، ولكن قد ورد في السنة الأمر بإكرامه ولو كان الحديث ضعيفا ولعل للسيد أحمد رضي الله عنه مع هذا مقاصد أخرى لا تخفى عن التأمل.

(٣) أي التواضع.

(٤) أي حمام السوق، والمراد لغير عذر كما هو واضح.

ويكره لهم المسألة، إلا لمن لا يستطيع الاكتساب، فحينئذ يسأل لدفع الضرورة. ويحرض المرأة على طاعة زوجها، وينهى الفقراء عن النظر إلى الأغنياء، ويقول إنّ ذلك يفتن القلب ويحجبه. وينهى عن شره الطعام، وعن فضول الكلام، وينهى عن مصاحبة الظلمة، والنظر إليهم، والمعونة لهم، ويقول: ذلك يُقسي القلب، ويُسخط الرب.

وينهى عن أخذ ما يسقط تحت النخل منها، بغير إذن صاحبها. ويغضب من قول شخصٍ لآخر ويلك، فكيف مما سوى ذلك. ومنع خادمه مدةً من خدمته، لأنه سمعه يقول لفقير: «أي بني». وإذا رأى من إنسان ما لم يعجبه، يقول له: «لا واخذك الله». ولم يتجرد لنفسه قط، وإنما كان تجرده لله تعالى. استوى عنده الضُّر والنفع، والعطاء والمنع[1]، ويرى الكلّ من الله عز وجل. وعلم أنه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع. لا يقعد إلا قعود الخائف المسكين، أكثر قعوده إذا لم يكن في عمل حاجة، أن يقيم رجليه ويترك يديه عندهما، وإذا جاء أحد من الأفاضل، تنحى له، وأقعده مكانه. وكان يجتهد في الإحسان إلى من يسيء إليه، ومواصلة من يسبه، وفي الإحسان إلى الإنسان ابتداء، من غير مسألة، ويقول: «الحاجة لي لا للفقير والمحتاج». وكان يفرق جميع ما عنده من الغلة العتيقة، على الضعفاء، والمساكين، قبل دخول الغلة الجديدة منزله. وكان إذا كتب كتابًا، يبتدؤه بالصلاة على النبيّ ﷺ، ويختتمه بما أعطى لسان الحال.

وكان يربي بحاله أكثر مما يربي بمقاله. وكان إذا رأى شخصًا وقد شاب في الإسلام يقبل يده، وربما مشى نحوه خطوات، وربما قال له كرم الله هذه الشيبة. وإذا رأى شابًا مقبلًا على الطاعة، يقبل يده، ويقربه ويدنيه، ويقول له: «ادع لي فأنت شاب تائب». وإذا رأى طفلًا، يقربه ويدنيه، ويسأله الدعاء، ويقول: «أولاد المسلمين ما لم يبلغوا الحلم، لم يكتب عليهم الملك الخطيئة». وكان إذا سأله أحد الدعاء على الظلمة يقول:

---

(١) أي لا يغير حاله شيء من ذلك.

«اللهم أصلحهم، وأرشدهم، وألهمهم طاعتك وذكرك، ووفقهم لما تحب وترضى».

وقد جمع الحافظ الواسطيّ ما ذكر متفرقًا في [إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين][1]، وفي [أم البراهين في تصحيح اليقين بإرشادات الصالحين][2]، وفي [شفاء الأسقام في سيرة غوث الأنام][3]، وغيرها من الكتب التي نقلت مناقب سيدنا أحمد الرفاعي، وقد استخلص كثيرًا من هذه المتفرقات، الشيخ أبو الهدى الصياديّ رحمه الله تعالى، قال: «كان السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه يعقل الدابة، ويتصدى لكنس الرواق والمسجد بنفسه، ويتخذ النعل من الصوف الأبيض، وما لبس قط ثوبًا إلا مرقوعًا، يأكل مع المرضى والموجوعين، وأصحاب العاهات، وكان لين العريكة، هين المؤنة، سهل الخلق، كريم النفس، حسن المعاشرة، بسامًا من غير ضحك، محزونا من غير عبوس، متواضعًا من غير مذلة، جوادًا من غير سرف، قد جمعت فيه مكارم الأخلاق، وسيرة السلف المتقدمين» إ.هـ

وكان رضي الله عنه ملازمًا الحزن والاضطراب، دائم الهلع والاكتئاب، كثير البكاء والانتحاب. يؤدب النفس بالرياضيات، ويؤدب القلب بالمعارف، كان بكاؤه بأدب، وجلوسه بأدب، وأكله بأدب، ونومه بأدب، وقيامه بأدب. كلامه يمنع الصدأ، يأمر بالمعروف لأهله، وينهى عن المنكر وفعله، ويقتدي بقول الله تعالى ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ ﴿١١٤﴾[4] اهـ

وقال الشيخ الكبير الحاج ماهان رحمة الله عليه: «خدمت السيد أحمد الرفاعيّ رضي الله عنه عدة سنين، ما رأيته ترك أحدًا يبدؤه بالسلام، ولا ردّ أحدًا خاليًا[5]، ولا

---

(١) لأبي عمر عز الدين الفاروثي.

(٢) القاسم بن محمد بن الحجاج بن علي بن أبي بكر بن أبي الفضل.

(٣) لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الكازروني.

(٤) النساء: ١١٤.

(٥) أي لم يتركه يرجع من عنده خالي اليدين.

رأيته عاب شغلًا عملته، ولا قال لي إذا لم أعمله لم لا تعمله، ولا جفاني ولا حرد عليّ يومًا قط. وكان السيد أحمد الرفاعيّ رحمة الله تعالى عليه، إذا رجع من بعض الأماكن، وقَرُب أم عبيدة، يقف ويشدّ حزمته، ويلف كميه، ويأخذ حبلًا يكون مدخرًا له مع بعض أصحابه الفقراء، فيمده على الأرض، ثم يجمع عليه حطبًا، ويشد حزمته، فيبادر الفقراء فيصنعون مثله، ثم يخرجون معه، ويحملون الحطب على رؤوسهم، ويأتون على باب الرواق، ثم يفرقه السيد أحمد الرفاعيّ رضي الله عنه، على الأرامل والمساكين والزمنى والمشايخ، باتفاق الفقراء، ويقول: «الشفقة على الإخوان مما يقرب إلى الله تعالى». وكان من عادة السيد أحمد الرفاعيّ رضي الله عنه، إذا طلبت نفسه شرب الماء وهو بين الفقراء، قام من بينهم وشرب ثم رجع مكانه، وكان ذلك يصعب على الفقراء فيقولون له: «أي سيدنا ما يصلح لك منا فقير يسقيك حتى تقوم أنت بنفسك». فيقول لهم: «أي سادة ما أنتم إلا أعز من عيني لا جعلني الله تعالى من يستخدم الفقراء». وكان رضي الله عنه قد أصبح يومًا في المجلس بين الفقراء، وطال المجلس إلى نصف النهار، وكان يومًا شديد الحر فأخذه العطش، فصبر ولم يشرب الماء حتى انفضّ المجلس، وتفرق الناس، ثم نهض وأتى الدار، فوجد قدحًا على التنور وفيه ماء وسخ[1] من غسل الأيدي من العجين، وعلى حائط الدار ركوةً جديدةً من الماء البارد، فأخذ القدح ليشرب منه فقالت له نفسه قد عذبتني نصف النهار بالعطش وتسقيني هذا الماء الوسخ. فلما رأى منها هذا النزاع ألقى القدح من يده وأقسم أن لا يذقيها الماء[2] سنةً وفعل؛ وجاء رجلٌ من أهل أم عبيدة إليه رضي الله عنه ليلةً من الليالي في رمضان ودعاه إلى منزله ليفطر عنده تلك الليلة، وكان ذلك في الصيف في شدة الحرّ، وكان عادة السيد أحمد الرفاعيّ أن يصلي ركعتين نافلة بعد المغرب، فلم يدعه الرجل أن يصلي بعد المغرب سوى ركعتي السنة، فمشى معه، فلمّا وصل إلى بيته، تركه واقفًا على الباب ودخل البيت ليهيء له موضعًا يجلس فيه، فاشتغل بأهله وأولاده، ونسي السيد أحمد الرفاعيّ رضي

(١) لكنه ليس مستقذرًا.

(٢) لعله يريد الماء القراح.

الله عنه، فأكل وأفطر، ثم نهض فخرج إلى صلاة العشاء، فوجد السيد واقفًا مكانه، فكشف الرجل رأسه وقال: «والله يا سيدي نسيتك». فقال: «أي ولدي ما كان إلا الخير نمشي ونصلي العشاء الآخر ونرجع ونفطر». وأقام الرجل ولم ينزعج مما وقع منه ا

وقال أيضا: «خطر لي ليلة من الليالي الدخول على سيدي السيد أحمد، والجلوس معه في جوف الليل، فرأيت كأنما جاذبني جاذب إلى نحوه بعناني؛ فقمت وأتيت إلى أن وصلت إلى باب الرواق، فرأيته مفتوحا، فدخلت وصعدت إليه وهو في غرفة له بعيدة عن الناس، فلما وقفت على باب الغرفة، سمعت له بكاء عاليا، وتردد زفرات، وتصعد أنفاس وشهيق، فلم أجسر أن أتكلم. وألصقت خدي مع الباب وإذا به قدس الله تعالى روحه، قد وارى خده على الأرض، وجعل يمرغ خده وشيبته على التراب، ويقول: «إلٰهي، أنا العبد الضعيف الذليل الذي قصمت الذنوب ظهره، وحيرت الخطايا فكره، وقل لضعفه عمله، ونهبت أيدي المنون أجله، أنا الذي لا قدرة ولا قوة له، ولا حول له، ولا عذر له، إلهي من أنا، وأيش أنا، ما أنا إلا جيفة لا قيمة لها، ونطفة قذرة لا أصل لها. الهي إن أطعتك فبإرادتك، وأنت المحمود على منتك، فأنت المنان عليّ؛ وإن عصيتك فحلمك غرني، فلك الحجة البالغة عليّ. إلهي، لم أعصك اجتراء مني عليك، ولكن أطمعني سترك الجميل، وعلمت أنّ المقدور كائن، وذلك الذي لا مخرج منه، إلا لمن أردت، وبرحمتك عصمت، فاجترأت على نفسي، وها أنا قد مددت إليك كف الندم. يا من لا ملجأ منه إلا إليه، فارحم عبدا ءابقًا لم يجد لنفسه ناصرًا إلا أنت يا أرحم الراحمين»[1].

قال: «وهو مع ذلك يتمرغ في الغرفة، طولا وعرضا، ولم يزل كذلك زمانا طويلا، حتى بكيت رحمة له، وقلت سبحان الله، قتل هذا الشيخ نفسه، وليس له ذنب، ولا خطيئة، ومتى سكتّ عنه هلك». قال: «فعند ذلك تنحنحت فلما سمعني قعد وقال: من أنت»؟. فقلت له: «ماهان». فقال لي: «عنّيت نفسك أي ماهان». قال: «فدخلت

(١) السيد عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية.

وسلمت عليه، فلما استقر بنا الجلوس، قال: يا أخي يا ماهان، متى جئت؟. فقلت له من أول الليل، أي سيدي وقد سمعت منك كذا وكذا، قال: أسمعت. فقلت: نعم. فقلت: نعم. فأمسك، فقلت له سيدي حدثتك نفسك أمرا، أم تخاف أن يعذبك ربك، أم ترى ما صحت البيعة، أخبرني بحياة الشيخ منصور قدس الله تعالى روحه. فقال: يا شيخ ماهان ما لك وللسؤال. فقلت له: أي سيدي، لي معك صحبة، ولي عليك حق خدمة، فبحق الصحبة إلا ما حدثتني. فقال: يا ماهان، كيف لا يبكي حميده، ويجيب معه من يبكي، وقد هتكه الله تعالى، وجعل المظلوم يستغيث به، والظالم يستغيث به، ويقول يا سيدي أحمد، حتى أنّ النعجة يأخذها الذئب من طريقها وهو يأكلها وقد أذن له فيها، وهي تستغيث وتقول بلغتها أي سيدي أحمد، وأن جماعة من الناس يعملون الفواحش ويستغيثون به[1].

أي ماهان، كيف لا يتمزق حميده لربه، ويستغيث إليه في كل وقت. أي ماهان، الحق سبحانه، لا يؤمن مكره ولا نقمانه ولا سطوانه، فادع لي بالسلامة، وأن لا يؤاخذ الناس بذنبي. قال: فقلت له: أي سيدي إذا قلت هذا وأنت أنت، فما نقول، ونحن أهل الخطايا والاحترام، وأنت بنا تؤخذ؟. فقال: أي ماهان، الأمر عظيم، فنسأل الله السلامة.

فإذا كان هذا السيد المحتشم مع ما قد أعطاه الله تعالى من علو القدر والمنزلة، فقد جعل اسمه في الشرق والغرب والبحر والبر وعلى ألسنة العرب والعجم، ويجري هذا البكاء، ويتمرغ بالتراب، سرا وجهرا، وءاخرته محفوظة، وحركاته كلها لله. فينبغي للمريدين له والتابعين لأثره، وكل من يتعلق بجنابه، وسنته، أن يطهروا سرائرهم، ويصفوا بواطنهم، وينوحوا على أنفسهم لأنهم أصحاب الذنوب والخطايا والزلل، وصاحب هذه الأفعال أحق بالبكاء على نفسه وأن يتذكر ظلم اجترائه على المحارم، وقدومه على المآثم، وغروره بالطمع الكاذب، والأماني الفاسدة، ولم يكن له سابقة

(١) السيد عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية.

عمل، ولا استدراك ما فات ولا ندم يُجُبّ به حوباته، بالإقلاع عن إصراره، فيا ليت شعري ماذا غره بحكم لا يظلم مثقال ذرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ فالعاقل ينبغي له سياسية نفسه، وأن العاقل العارف من قوي على مخالفة هواه وترك المكونات أجمع وأقبل على مكونها[1].

وكان سيدنا أحمد رضي الله عنه يحفظ القرءان ويشرحه، وكان يكتب خطه على الفتوى، وكان نحويًا لغويًا عالمًا عارفًا، يتكلم شريعةً وحقيقةً، وكان قَدّس الله تعالى روحه إذا أشكل على الفقهاء أمرٌ رجعوا فيه إليه فيفصحه لهم، وكان يقرأ القرءان بواسط، ويحضر مع الفقهاء الدرس فيسكت وينصت، فإذا فرغوا مما يتكلمون به حفظ كل ما قالوه وتكلموا به، وكل ما شرحه لهم الشيخ فيقرأ على كل واحدٍ منهم ما درسه وشرحه، فيتعجبون من ذلك، ويقولون للمدرس فيتعجب ويقول: «هذا رجلٌ سعيدٌ قد أعطاه الله تعالى عطاءً بغير حسابٍ ولا تعبٍ».

وكان السيد أحمد رضي الله عنه إذا سمع الحديث حين يحضر الحديث فكأنما يضعه على قلبه فلا ينسى منه حرفًا واحدًا، وكان قدس الله تعالى روحه إذا صعد على الكرسي ليحدث، يجري العلم على قلبه وعلى لسانه كالبحر المتدفق، تقشعر له الجلود، وتخشع له القلوب، وتصدع له الصدور، وتذرف منه العيون، لم يسمع من غيره[2]، ولا نقل في كتاب، ما هو إلا فتوحٌ بفتح الله به عليه، وحكمةٌ بالغة ألقاها الله تعالى عليه[3].

وكان السيد أحمد الرفاعيّ رضي الله عنه، عَلمًا شامخًا، وجبلًا راسخًا، وعالمًا جليلًا، ومحدثًا، وفقيهًا، ومفسرًا، ذا رواياتٍ عالياتٍ، وإجازاتٍ رفيعاتٍ، قارئًا مُجَودًا، حافظًا

(١) السيد عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية.

(٢) يعني لم يأخذ العبارات التي يقولها من أحد سبقه بها.

(٣) خلاصة الإكسير، ص٤٦.

مجيدًا، حُجّةً رِحلة[1]، متمكنًّا في الدّين، سهلًا على المسلمين، صعبًا على الضّالين، هَيْنًا لَيْنًا، هشًّا بشًّا، ليّن العريكة، حسن الخَلْقِ كريم الخُلُقِ، حلو المكالمة، لطيف المعاشرة، لا يمله جليسه، ولا ينصرف عن مجالسه إلا لعبادة؛ حمولًا للأذى، وفيًا إذا عاهد، صبورًا على المكاره، جوادًا من غير إسراف، متواضعًا من غير ذلة، كاظمًا للغيظ من غير حقد؛ أعلم أهل عصره بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأعرفهم بها، بحرًا من بحار الشرع، سيفًا من سيوف الله، وارثًا أخلاق جده رسول الله ﷺ[2].

وكان رضي الله عنه، مؤيدا محكما في القلوب، قاهرا لنفسه، حاكما عليها، مكينا في طوره، عظيم الشأن، هين الجانب، سليم الصدر، لين العريكة، مهملا للدنيا، مقبلا على الله، لا تريعه حوادث الأكوان، ولا يستبشر لشيء من بهارجها، متمكنا في مقامه، لا تحركه الزعازع، ولا تقلقه الواردات، صعبا على أهل البدعة، هينا على أهل الحق، كالسحاب المبارك، أين وقع نفع، لم يخالف قوله فعله، وكل أفعاله وحركاته وسكناته وأنفاسه لله تعالى، ولا يهاب ملوك الدنيا، ولا يترفع على الضعفاء والفقراء، ويجلس مع المساكين، ولا يعرف من بينهم، ويخدمهم بنفسه، ويطوف في الرواق، على حلق الفقراء وقت الطعام، ويحرض الإخوان على خدمة الإخوان، ويقول: «اخدموا إخوانكم لأجل الله[3] تعالى، وإياكم والأعمال التي تنصرف لغير الله».

وكان لا يقوم لأحد من كبار الدنيا، ولا يعبس في وجه أحد من المساكين، ويجمع رواقه كل يوم وليلة أكثر من عشرين ألفا، يمد لهم السماط، صباحا ومساء. ومحياه المبارك يجمع أكثر من مائة ألف إنسان، ويقوم بكفاية الجميع ومعاشره وأهل بيته وهو أيضا كآحاد الفقراء. وكان لا يملك شيئا من عرض الدنيا وإذا صار له شيء منها، أنفقه

---

(١) الرُّحلة هو الذي يُقصد بالسفر إليه.

(٢) الإمام عبد الكريم الرافعي، سواد العينين في مناقب الغوث أبي العلمين، ص٥٥. الشيخ الإمام علي أبو الحسن بن أحمد الواسطي الشافعي، خلاصة الإكسير في نسب سيدنا الغوث الرفاعي الكبير، بيروت: كتاب ناشرون، ١٤٣٤هـ. ص٨١.

(٣) أي طلبا للثواب من الله.

في الحال. وأما أبراج الرواق وضياعه وبساتينه وأحباسه، فهي أزيد من أملاك الملوك، وتصرف كلها يوما فيوما على فقراء الرواق، وهو منها بمعزل. ولا مس بيده من ناتجها درهما ولا دينارا، بل كان وكلاء الرواق من أصحابه يأخذونها، وينفقونها في الله[١].

توفي الشيخ الإمام الجليل منصور البطائحيّ الرباني سنة أربعين وخمسمائة، وكان عمر سيدنا السيد أحمد دُوَيْن الثلاثين، فجلس للإرشاد، فبعد مضي العام السابع من تصدره على بساط الإرشاد، حصيت الرقاع التي وردت من مريديه الذين دخلوا الخلوة الأسبوعية المحرّمية[٢]، في تلك السنة، فكانت سبعمائة ألف رقعة؛ وشرع عامها بتوسيع الرواق، فما بقي في البطائح وواسط أحدٌ إلا وخدم بتوسيعه، إما بماله، وإما ببدنه، وكانت القناطر في الرواق الأحمدي عام خمسين وخمسمائة، أربعة ءالآف قنطرة، وبناؤه أربع حلق، كل حلقة تضمها حلقة أوسع منها[٣]، وكان محياه في نصف شعبان يجمع أكثر من مائة ألف إنسان، وكان يقوم بكفاية الجميع، وكان يجتمع في رواقه كل يوم، ما يقارب عشرين ألفًا من مريديه، ويمد لهم السماط صباحا ومساء، ومع هذا كله، هو وعياله وأولاده، كآحادِ الفقراء، لا يملكون شيئًا من عَرَض الدنيا، فهل هذا

(١) السيد عز الدين الصيادي، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، ص٤١.

(٢) الخلوة المحرمية هي من مراسم الطريقة الرفاعية في كل سنة يعتكفون سبعة أيام أولها اليوم الحادي عشر من شهر محرم الحرام.

(٣) وبين سارية القنطرة والسارية الثانية ثلاثة أذرع بالبغدادي. وبين الحلقة الأولى والثانية سبعة وعشرون ذراعا بالبغدادي، وبين الثانية والثالثة ثلاثون ذراعا، وبين الثالثة والرابعة عشرون ذراعا، ووراء ظهر القبة السعيدة بستان الرواق المدعو بستان الشيخ يحي النجاري يأخذ إلى بستان القنوري طولا، ولذيل نهر الرواق عرضا وفيه كل ما وصل من الجهات أو يصل منها من أنواع الفواكه. السيد عز الدين الصيادي، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، ص٩٣. محمد أبو الهدى أفندي الصيادي، تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار، ص٧.

إلا الظهور المحمدي[1] الذي من الله به عليه وراثة من جده ﷺ[2].

وعن الإمام الرافعي قال: «أخبرني الشيخُ العدلُ، مفرج بن نبهان الشيباني، قال: كنت في مجلس الشيخ عبد القادر الجيلي، وفيه الشيخ علي الهيتي، والشيخ علي بن إدريس اليعقوبي، وإذا برجلٍ بطائحيٍّ، دخل فسلم على الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، وسلم علينا وجلس، فسأله الشيخ عن السيد أحمد الرفاعي، فأخبره عنه الخبر، فأمره بذكر بعض أحواله ومناقبه، فذكر منها أشياء كثيرة؛ وكان البطائحيّ رجلًا فصيحًا واعيًا، فانجر الكلام إلى ذكر الحلّاج[3]، فسأله الشيخ عبد القادر قدس سره، عن قول السيد أحمد في الحلّاج، فقال البطائحيُّ: ما يقول سيدي، يعني الشيخ عبد القادر، قال: أقول عارفٌ طارَ طائرُ عقلِه من وِكْر شجرةِ صورتِه إلى السماء، واخترق صفوف الملائكة، فلم يجد ما يحاوله من نورٍ، فعاد هابطًا، وازداد حيرةً على حيرةٍ، فلما استقرّ به هبوطه إلى الأرض قال بلسان سُكره ما قال[4]؛ فاستُغْرِب لدى الأغيار، فانطوى مظهره بالحق

---

(١) يعني بذلك أن هذا كرامة أكرم الله تعالى بها السيد أحمد أن يقوم بكفاية هذا الجمع العظيم كل يوم وهو ليس من أهل ثروة ولا من بيت إمارة. واجتماع العدد العظيم من الناس عنده قد ذكره عدد من العلماء والمؤرخين كعز الدين بن الأثير، في الكامل في التاريخ. الذهبي، في تاريخ الإسلام. وابن خلكان، في وفيات الأعيان. وابن تغري بردى، في أخبار السنة الثانية عشرة من سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، من النجوم الظاهرة في ملوك مصر والقاهرة. وابن قاضي شهبة، في طبقات الشافعية. وغيرهم ولا شك أن قيامه بكفاية كل هؤلاء كل يوم من غير سبب ظاهر كرامة خصه الله بها من بين الأولياء.

(٢) الحافظ عبد الرحمن الأنصاري الواسطي، ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ العارفين، القاهرة: المطبعة البهية المصرية، ١٣٠٥هـ، ص٣٥. الشيخ علي أبي الحسن الواسطي، خلاصة الإكسير في نسب سيدنا الغوث الرفاعي الكبير، القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ، ص٦٨-٦٩.

(٣) الحسين بن منصور الحلاج ادعى الولاية والمقامات العالية وهو مفلس من ذلك. حكم عليه القاضي الجليل أبو عمر المالكي بالقتل للردة فقتل وصلب وأحرق جسده وذر رماده في نهر دجلة سنة ٣٠٩هـ. نفاه أغلب الصوفية وقالوا ليس منا، وقال سيدنا أحمد الرفاعي لو كان على الحق ما قال أنا الحق اهـ وقال قلة منهم قليلة بأنه كان غائبا عندما نطق بما قال من الكفر. تاريخ بغداد، ج٨، ص١١٢-١٤٠. الرافعي، سواد العينين، ص٦٢.

(٤) أراد بذلك أنه قال ما قال وهو غائب العقل في حال الجذب.

على الحق. فقال البطائحيّ: اختلف الشيخان، إن شيخنا السيد أحمد يقول فيه: ما أراه رجلًا عارفًا، ما أراه شرب، ما أراه سمع، إلا رَنّةً أو طنينًا، فأخذه الوهم من حالٍ إلى حال؛ من ازداد قُربًا ولم يزدد خوفًا فهو ممكور، يذكرون عنه أنه قال أنا الحق، أخطأ بوهمه، لو كان على الحق ما قال أنا الحق. فلما قال البطائحي ما قال، قام ابن الورّاق عليه وقال: أنّى للسيد أحمد القول بهذا، والشيخ عبد القادر يقول كما سمعت، فغضب لذلك الشيخ عبد القادر، وقال اجلس يا ابن الورّاق، والله إنّ السيد أحمد حجة لله على أوليائه اليوم، وصاحب هذه المأدبة، فالزم حدّك يا مسكين؛ فجلس ابن الورّاق مُقْعدًا، فشفع له الحاضرون إلى الشيخ، فمَرّ بيده عليه، فقام صحيحًا؛ والتفت الشيخ عبد القادر إلى من حضر وقال: جل من وهب هذا الرجل، يعني السيد أحمد، وأنشد:

أ

هـذا الـذي سبق الـقـوم الألى وإذا رأيته قلت هذا ءاخر الناس إ.هـ[1]

ولقد كان القطب الرفاعي شفوقًا بالمسلمين، إلى حد الاقتداء والإيثار، فقد كان رضي الله عنه يمرغ وجهه وشيبته بالتراب، ويبكي ويقول: «العفو، العفو، اللهم اجعلني سقف البلاء على هؤلاء الخلق»[2] أ.هـ.

ونشأ رضي الله عنه، وترعرع في دور العلم، فكانت معاشرته للعلماء والأصحاء فاهتدى بهدي القرآن، وسار على سنة جده خير الأنام ﷺ، فكان طريقه العمل بالكتاب والسنة، وبما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، فكان لا مشددًا ولا موسعًا، يسلك الطريق الوسط ويقول: «نحن أمة وسط»، أ.هـ ولهذا كان يحب التوسط بالرخص للمبتدئين، كي لا تشمئز نفوسهم، ويحب الأخذ بالعزائم لأهل النهايات، وكان بشًّا متواضعًا حليمًا، متحملًا للأذى، صبورًا على المكاره، لايتجرد لنفسه قط، ولاينتصر

(١) الإمام الرافعي، سواد العينين، ص٦٢.

(٢) عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٢٣.

لها، بل يحب لله، ويبغض لله، ولا يشافه أحد بما يكره، فإذا اتضح له الحقّ تبعه وترك نفسه وأهله وولده، ويقول: «نحن عندنا القريب والغريب في الله سواء» إ.هـ ويقول: «من لم يتبع الحقّ انقيادًا لهوى في نفسه، فهو من الضلال بمكان» إ.هـ كان ينهى عن كثرة استعمال المباحات، وعن كثرة الأكل، وعن كثرة النوم، ويحرض على قيام الليل، ومن نظمه بذلك:

تعود سهر الليل ... فإن النوم خسران
ولا تركن إلى الذنب ... فعقبى الذنب نيران
وقم للواحد الفرد ... فللقرآن خلان
ينام الغافل الساهي ... وما في القوم وسنان
ويلهو المعرض اللاهي ... وعند القوم أحزان
هم والله فتيان ... إذا ما قيل فتيان إ.هـ

كان يأمر بمباعدة أهل الشطح والغلو، والترفع، والدعاوى العريضة، ويحذر الناس منهم ويقول: «هؤلاء قطاع الطريق فاحذروهم». وكان يكره أصحاب القول بالوحدة المطلقة، وكان يكره أصحاب الخوض بالكلام على الذات والصفات، ويقول: «هؤلاء قوم أخذتهم البدعة من سروجهم، إيّاكم ومجالستهم» إ.هـ. وكان يقول: «اتبع ولاتبتدع، فإن اتبعت بلغت النجاة، وصرت من أهل السلامة، وإن ابتدعت هلكت». إ.هـ وأخيرًا فما ذكرته عن أخلاقه هو غيضٌ من فيضِ حقيقتها[1].

وقال الشيخ عز الدين أحمد الصياد: «من فتح الله الوارد إليّ، ومن منن الله عليّ، ولطفه فيّ، أني ولدت قبل وفاته رضي الله عنه بأربع سنين، وحملني والدي إلى حضرته المباركة، فأخذني إلى حجره، ونفخ في فمي، ودعا لي بالبركة، وبشر والدي فيّ بما هو

(١) البرهان المؤيد.

معروف عند رجال هذه الطائفة المباركة، وأجازني وأنا ابن أربع سنين، إجازة عامة، وأوصى أخي السيد أبا الحسن عبد المحسن، بإكمالي وتربيتي، وأمر والدي أيضا بإجازتي فاجازني، ونلت من عوارفه ومعارفه، ما شرفني الله به بين القوم، وأكمل لي أمري. حدثتني خالتي البرة الطاهرة الشريفة فاطمة، بنت سيدا المشار إليه، والمعول عليه، أني كنت في حجرها، ودخل حجرتها سيدنا والدها، أعز الله جنابه، فقال لها: هذا أحمد؟. قالت: نعم. قال: قربيه مني. قالت: فقربتك منه، فضمك إلى صدره ونفخ في فمك وقال: اللهم يا من يحسن بلا أسباب، ويرزق من يشاء بغير حساب، أسألك بكلامك القديم، وبنبيك العظيم، أن تمنح هذا الطفل عمرا، وبركة، وفتحا، ومجدا، وتجردا لك عن غيرك، بحولك وقوتك، إنك على كل شيء قدير. إ.هـ وكان أشياخ بيتنا يقولون، كل ما حصل لأحمد فهو من بركة دعاء جده رضي الله عنه إ.هـ

وحدثتني جدتي الطاهرة العارفة المعمرة ولية الله السيدة رابعة الأنصارية الحسينية، أنها قالت لجدي وسيدي ومولاي، السيد أحمد الكبير رضي الله عنه: أي سيدي، اجعل نظرك على أحمد، فإن أسباطك رأوك، وانتفعوا بك، وأحمد صغير. فقال: لأحمد من القلب مكان؛ كل أولاد زينب وفاطمة أولادي، وأحمد ولدي، وحبيبي، وعليّ الضمان على كرم الله وفضله، أن لا يغلب، ولا يخذل، ولا يكبو به جواد الطريق»[1]. إ.هـ

تحفة: توفي سيدنا ومولانا السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، بأم عبيدة، ودفن في قبة جده لأمه الشيخ يحيى الكبير النجاري الأنصاري رضي الله تعالى عنهما، وله من العمر ست وستون سنة وستة أشهر وأيام، وكان ءاخر كلامه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

ثم توفي بعده، الشيخ الكبير، العالم العارف، ممهد الدولة، سيدي علي بن عثمان قدس الله تعالى روحه، يوم الأربعاء قبل أذان الظهر، لإحدى عشرة خلَوْن من شهر

(١) عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، ص٣٩.

صفر، سنة أربع وثمانين وخمسمائة، وحُمل إلى أمّ عَبيدة، سلام الله على ساكنيها، وغسله الشيخ تقي الدين المكيّ الفقيه، الذي غسل خاله، سيدي أحمد الرفاعي قدس الله سره العزيز، ودفن إلى جانب الشيخ يحيى، بجنب خاله سيدي السيد أحمد في حجرته الشريفة.

ثم توفي بعده، الشيخ الكبير، الشهيد سيدي مهذب الدين والدولة، عبد الرحيم بن عثمان قدس الله روحه، صبيحة يوم الأربعاء، أول يوم من شوال، سنة أربع وستمائة، وغسله الشيخ عبد الجبار المؤذن، بحضور الشيخ أبي شجاع بن المعز، من أهل قرية عبد الله، ودفن بزاوية الرواق الخيلان عند أخيه عبد السلام، وولده أبي العلم، رضوان الله عليهم أجمعين.

ثم توفي بعده السيد السعيد، الشهيد العالم العارف، مفتي الفقهاء، سيدي شمس الدين، محمد بن عبد الرحيم بن عثمان قدس الله روحه، ظهر يوم الأربعاء، مستهل شهر رجب المبارك، سنة تسع عشرة وستمائة؛ وغسله محمد بن سليمان، نقيب الفقراء بالجامع، ودفن قِبلة المشهد الشريف، مع جده رحمهم الله تعالى.

ثم توفي بعده، السيد السعيد، الشهيد عز الدين، عبد الرحمن ابن سيدي عبد الرحيم قدس الله أرواحهم، يوم الجمعة، ثامن عشر ربيع الأول، سنة إحدى وعشرين وستمائة، وكانت وفاته في الوجهة، محاذي القرن بالشط، بالسوق في السفر، وأخذوه إلى أم عَبيدة، فوصل ليلًا، وغسلوه الفجر الأول، يوم السبت، وصلّوا عليه قبل الصبح، ودفن في مشهد جده عند القبلة.

ثم توفي بعده، الشيخ العالم، العارف الكبير، قطب الدين، أبو الحسن عليّ بن عبد الرحيم قدس الله تعالى روحه، ظهر يوم الخميس، الرابع عشر من جمادى الأولى، سنة ست وثلاثين وستمائة، وغسله الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن كراز المقرئ، ودفن بعد الظهر، بالمشهد الشريف، إلى جانب أخيه عبد الرحمن.

ثم توفي بعده، الشيخ الكبير، العالم العارف، قدوة الطوائف، صاحب الفتوة والإشارات، والكرامات الظاهرات، العابد القانت، رداد الفائت، نجم الدين أبو العباس سيدي أحمد بن علي قدس الله روحه، ونور ضريحه، يوم الأحد، سابع عشر

شعبان، سنة خمس وأربعين وستمائة، ودفن في مشهدهم أمام الجامع برواق تقي الدين، رضوان الله عليه وعلى ذريته.

ثم توفي بعده، السيد السعيد، الرشيد العالم، سيف الدين، عليّ بن سيدي نجم الدين أحمد قدس الله روحه، بواسط سنة إحدى وخمسين وستمائة، وحمل إلى الخزائن، ثم أخذوه في الورحية، فوصل إلى السويداء، فوجدهم سيدي محيي الدين أبو بكر بن أبي الحسن قدس الله روحه، فسألهم عنه، فعرّفوه أنه قد توفي، فأخذوه إلى أم عَبيدة، ودفن في مشهد جده.

ثم توفي بعده، أخوه لأبيه، الشيخ الكبير، العالم العامل، الزاهد العابد، سيدي محيي الدين، إبراهيم ابن سيدي نجم الدين أحمد قدس الله تعالى روحه، ودفن بمشهدهم سنة ستين وستمائة.

ثم توفي بعده الشيخ الكبير، العالم العارف، طاهر الطرفين، زاكي الخالين، وحيد العصرين، عز الدين، سيدي السيد أحمد الصياد، بمتكين قرية بديار الشام، تَقْرب من معرة أبي العلاء، سنة سبعين وستمائة، وله مشهد مبارك.

ثم توفي بعده سيدي الإمام الأوحد، السيد شمس الدين، أحمد ابن سيدي شمس الدين محمد قدس الله تعالى روحه، يوم الخميس، سادس شهر رجب، سنة إحدى وسبعين وستمائة، وغسله شرف الدين، قاضي أم عَبيدة، وأفاض عليه الماء الشيخ أحمد بن مصدق، ودفن بمشهدهم مع ءابائه الطاهرين، رحمة الله عليهم أجمعين.

ثم توفي بعده الشيخ الكبير، المؤيد الفاضل، العالم العارف، رضي الدين، سيدي عبد الله بن أحمد قدس الله روحه، يوم الأربعاء، عاشر ربيع الأول، سنة ست وسبعين وستمائة، ودفن إلى جانب أبيه نجم الدين قدس الله روحه بمشهدهم، سلام الله على ساكنيها[1].

(١) الإمام علي أبو الحسن الحدادي، ربيع العاشقين.

أوصافه رضي الله عنه

قال الإمام العيدروس: «كان السيد أحمد الرفاعيّ عالمًا، حكيمًا، متورعًا، متواضعًا، قانعًا، قاطعًا عمره في الرياضة يريد رياضة النفس وقهرها على الإستقامة، أسمر اللون، متوسط القد، نيّر الوجه، شعره أسود، في صدره شعر أسود، كريم الخلق، صاحب أسرار خارقة»[1].

وقال السيد عز الدين أحمد الصياد: «كان السيد أحمد رضي الله عنه ربعة من القوم، أسمر، أزهر، خفيف العارضين، وسيع الجبهة، أسود العينين، مدور الوجه، حسن المبسم، إذا تكلم سلب القلوب، وإذا سكت أهابها. كان يلبس قميصا أبيض، ورداء أبيض، وخفه من صوف أبيض، ويتعمم بعمامة سوداء دسماء، وفي بعض الأحيان يتعمم بالبياض، وكان رفيع القوام، نحيف الوجود، كثير التبسم، قليل الضحك، مكينًا في طوره، ذا هيبة عظيمة، لا يتمكن جليسه من إباحة النظر إليه، هذا مع رفقه وظرافة طبعه وخلقه، ورقة شيمه»[2] إ.هـ

قال صاحب الترياق في كتابه: كان السيد أحمد الرفاعي. كاتمًا للسر بائحًا للذكر صحيح العقد حافظًا للعهـ

تواضعه رضي الله عنه

ولقد كان رضي الله عنه حمالًا للأذى، في تسامح كريم، ولم يتغير خاطره من مخلوق قط، مهما تطاول عليه الأذى، أو لجّ في العناد، والإنكار. ولقد روى الإمام الشعراني، أن الشيخ إبراهيم البستي، أرسل إلى سيدي أحمد كتابًا يحط عليه فيه. فقال سيدي أحمد للرسول: «اقرأه». فقرأه، فإذا فيه «أي أعور، أي دجال، أي مبتدع، يا من جمع بين

(١) محمد أبو الهدى الصيادي، تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار، ص٦.

(٢) عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، ص٣.

الرجال والنساء، حتى ذكر الكلب ابن الكلب»، وذكر أشياء تغيظ. فلما فرغ الرسول من قراءة الكتاب، أخذه سيدي أحمد رضي الله عنه وقرأه، وقال: «صدق فيما قال، جزاه الله عني خيرًا» ثم أنشد:

ولست أبالي من رماني بريبة ... إذا كنت عند الله غير مريب

ثم قال للرسول اكتب إليه الجواب: «من هذا اللاش حميد إلى سيدي الشيخ إبراهيم البستي رضي الله عنه، أما قولك الذي ذكرته، فإن الله تعالى خلقني كما يشاء، وأسكن في ما يشاء، وإني أريد من صدقاتك أن تدعوا لي ولا تخليني من حلك وحلمك». فلما وصل الكتاب إلى البستي هام على وجهه، فما عرفوا إلى أين ذهب[1] إ.هـ

وكان يخدم نفسه، ويخصف نعله، ويجمع الحطب، ويشده بحبلٍ مُدخرٍ له عند بعض خدامه، فيحمله إلى بيوت الأرامل والمساكين والمرضى، وأصحاب الحاجات، ويقدم للعميان نعالهم، ويقودهم اذا لقي منهم أناسًا، إلى محل مطلوبهم؛ ويكرم الشيوخ، ويوصي بإكرامهم، ويقول: قال النبي ﷺ: «**من أكرم ذا شيبة [يعني مسلمًا] سخر الله له من يكرمه عند شيبته**»[2].

وكان يمشي إلى المجذومين، والزمنى، ويغسل ثيابهم ويحمل لهم الطعام، ويأكل معهم، ويجالسهم، ويسألهم الدعاء. وإذا سمع بمريض في قرية، ولو على بعد، يمضي إليه ويعوده. وكان يداوي الكلاب، ويقول: «الشفقة على خلق الله مما يقرب العبد إلى الله» إ.هـ وكان يرأف باليتيمّ ويبكي لحال الفقراء ويفرح لفرحهم، ويتواضع لهم كل التواضع، ويعد نفسه منهم، ويقول في المحافل: «إن عدت أصحاب الحرف، وذهبت كل حرفه زمرة زمرة، فأنا فقير في زمرة الفقراء» إ.هـ

مر يومًا على صبيان يتخاصمون، فخلص بينهم، وقال لأحدهم: «ابن من أنت»؟

---

(١) أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى المسماة لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، بيروت: دار الفكر، ج١، ص١٢٣.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود في الأدب والترمذي في المناقب وغيرهم.

فقال له: «وأيش فضولك»؟ فصار يرددها ويقول: «أدبتني ياولدي جزاك الله خيرا» إ.هـ

قال مشايخ أهل عصره: «كل ما حصل لابن الرفاعيّ من المقامات، إنما هو من كثرة شفقته على الخلق، وذل نفسه رضي الله عنه» إ.هـ . وكان يعظم العلماء، والفقهاء، ويحترمهم، ويأمر بتعظيمهم واحترامهمّ ويقول: «هولاء أركان الأمة وقادتها»[1] إ.هـ

خصائصه رضي الله عنه وشمائله

وكان السيد أحمد رضي الله عنه، قد انتهت إليه الرياسة في علوم الطريق، وشرح أحوال القوم، وكشف مشكلات منازلاتهم، وبه عرف الأمر بتربية المريدين، وطريق السالكين، وتخرج بصحبته الجمع الكثير، وتلمذ له الجمّ الغفير، وأثنى عليه العارفون، وقدمه السالكون، وهو أحد من قهر أحواله، وملك أسراره.

وكان رضي الله عنه لا يتكلم إلا يسيرا، ويقول: «أمرت بالسكوت» إ.هـ ولم يتصدر في مجلس قط، ولا جلس على سجادة ولا وسادة، بل خالف مألوفه، وخالف سهاده، وتذكر عهد ألست بربكم، فحنّ، وتفكر في حاله فأنّ، ولسان حاله يقول:

سرى نسيم الصبا من حاجر فصبـــا ... وبات يشكو إلى أنفاسه الوصبـــا

ذو صبوة لم يشـــم برق الشـــآم ولا ... دعا ابن ورقاء إلا صاح واحربـــا

ما يبرح البـــــارق النجدي يذكره ... نجدا ويطربه وجدا إذا التهبـــــا

يود لو أن أيـــــام الحمى رجـــعت ... وكيف يرجع عيش بعد ما ذهبـــا

كان من شوامخ أعلام الأئمة الواصلين، وصدور أعيان الأولياء المحققين، قطب أقطاب العارفين، ومركز دائرة الصديقين، غوث الثقلين، أبو العلمين، سيدي أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه وعنا به في الدارين.

---

(١) السيد أحمد الرفاعي الكبير، البرهان المؤيد، بين درجة أحاديثه العالم الفاضل المحدث الكبير الشيخ عبدالله الهرري الحبشي نزيل دمشق. حققه وأسند آياته إلي سورها وذكر موجزا لترجمة حياة المؤلف حسين ناظم الحلواني الرفاعي، ص٨.

إمام ترقى في معاريج الحقائق، حتى انتهت دونه مقامات الأولياء، وقطب جمع بين الشريعة والحقيقة علمًا، وحالًا، وذوقا، ومقالًا؛ فتصدر للقيادة الروحية، والتربية الصوفية، على منبر الخصوصية والتمكين، وأروى قلوبًا عطاشًا، طالما برح بها الشوق إلى النور، وحنين إلى الطهر والصفاء، فشعت قبسات هديه المحمدي، لتنير الدرب، وتثبت الأقدام، وتشعل جذوة الشوق إلى الله في قلوب عباد خلقوا للتفرد في محاريب العبودية والاختصاص، فرفع الإمام الرفاعي علم الصوفية على صرح مدرسة جديدة، تحمل اسمه وطريقته، وتنشىء رجالًا يخلفون السلف الصالح في إقبالهم على الله، وتجردهم لإحياء معالم الطريق المحمدي، برائع سمته وجليل عظمته وشامخ مجده.

وشهد القرن السادس الهجري تألق هذا المجد وبزوغه، رأي العين، وملء السمع والبصر، ولعل أول ما يؤكد سريان المدد المحمدي، إلى مولانا القطب الرفاعي رضي الله عنه، أنه ينتمي نسبه إلى العترة المحمدية الطاهرة. فقد أجمع الرواة والمؤرخون، على أنه ينتهي نسبه من جهة أبيه إلى مولانا الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه وعنا به في الدارين، فهو الإمام السيد أحمد محيي الدين أبو العباس الرفاعي بن السيد أبي الحسن علي دفين بغداد بن السيد يحيى بن السيد أبي حازم الثابت، بن السيد علي الحازم ابن السيد أحمد المرتضى بن السيد علي بن السيد الحسن الملقب برفاعة ابن السيد المهدي ابن السيد أبي القاسم محمد بن السيد الحسن بن السيد الحسين بن السيد موسى الثاني ابن السيد إبراهيم المرتضى ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين علي بن سيدنا الإمام أبي عبد الله الحسين ابن سيدنا علي، وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ، فأنعم به من نسب زكى. وفي ذلك يقول الخطيب الإدفوي:

لنسبة أحمد المولى الرفاعي ... لطه وصلة عظمت مقاما

سرى برهانها شرقا وغربا ... وسار معطرا يمنا وشاما

ولقد كانت نظرة واحدة إلى وجه الإمام الرفاعيّ وهو لا يزال رضيعًا في مهد

طفولته تعطي للمتوسم كل دلالات التفرد والولاية، بل إن الأحداث نفسها كانت كثيرًا ما تأخذ طابع الكرامات والخوارق.

وقد كان لسيدي أحمد مرضعةً صالحةً، عفيفة النفس، فأعطته يومًا ثديها، فما قبله، وأعرض عنها؛ فنظروا في الأمر وفحصوا فوجدوا هذه المرضعة بلا وضوء. فلما توضأت، شرب من لبنها رضي الله عنه[1].

وإلى جانب هذا السند الظاهري الذي سلك به القطب الرفاعي الطريق، فإن سيدي أحمد كان يستمد سنده الباطني من سيد الوجود ﷺ مباشرة. بل إن رسول الله ﷺ هو الذي سماه بالرّفاعيّ. فلقد روى الشيخ أبو بكر العيدروس، أنّ الشيخ عمادًا الزنجي سأل السيد الكبير أحمد فقال له: «أي سيدي، ما سبب اشتهاركم بالرفاعية»؟ فقال السيد الكبير: «يا زنجي هو أني كنت يومًا جالسًا في عرفات، فإذا جماعة من الأولياء، وأهل الطريق الأبدال، في ذلك المجلس، فالتفتّ في جانبي، فرأيت سيد المرسلين، فقال: يا رفاعيّ، قد ارتفعت درجتك في الدنيا والآخرة، بشارة لك، فصار اسمي من ذلك اليوم مشهورًا بالرفاعي بين أهل الحضرة، لأنهم سمعوه من نفس النبي ﷺ».

ذلك أمر التسمية الباطنية، وأما تسميته الظاهرية بالرفاعيّ، فنسبة إلى جده رفاعة، الحسن أبي المكارم المكيّ. وأما كنيته بأبي العلمين، فلاتصال نسبه من جهة أبيه بسيدنا ومولانا الإمام الحسين، ومن جهة أمه بسيدنا ومولانا الإمام الحسن رضي الله عنهما وعنا بهما في الدارين. وذكر بعض العارفين أنّ كنيته بأبي العلمين للإشارة إلى علمي الشريعة والحقيقة، فهو حامل لواء الظاهر والباطن، وإمام العلم الشرعي والحقيقي.

وعن شيخنا العبدري بالإسناد إلى الإمام عبد الكريم الرافعيّ قال: «سألت الشيخ العارف بالله ركن الدين بن نبهان الشيباني، عن سبب اشتهار السيد أحمد الرفاعي بأبي

(١) فخر الدين أبو بكر، النجم الساعي في مناقب الرفاعي، طبع وتوزيع محمد السنوسي، ص١٣.

العلمين. فقال: لأنّ عَلَمَ الغوثية العظمى، والقطبية الكبرى، رُفع له مرتين في الأكوان؛ وهو أن الغوث أحمد بن خلف البلخي الحسيني، نزيل بغداد، لما مات، رفع لواء الغوثية للسيد أحمد الكبير، فوقف في باب الله، وتذلل وتململ على عتبة جده رسول الله ﷺ، وقال: العفو العفو. فقبل الحق منه مقاله، فتمكن في مقام غوثيته بالترقي، فرُفع لواء الغوثية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، وهو في صحراء العراق، وله من العمر خمس وثمانون سنة، فأقام ببغداد، وظهر أمره، وتصدر على بساط الغوثية العظمى، ثمان سنين على الصحيح، وقيل ستًا، وتوفي ببغداد، سنة إحدى وستين وخمسمائة، فرفع علم الغوثية مرةً ثانيةً للسيد أحمد، فلزم الباب ممتثلا، وامتدت مدة غوثيته الثانية ستة عشر سنة وأشهرًا على الصحيح، فلهذا اشتُهر بين أولياء الله بأبي العلمين»[1].

والمتصفح للجانب السلوكي عند مولانا القطب الرفاعي يرى أقباسًا من الضياء تتوهج، وصفحات من النور تزخر بطاعة هذا العارف لربه، وشغله به وتفانيه في عبادته. وقد كان السيد أحمد في ليله ونهاره يختم القرءان الكريم، وكان ورده وذكره قراءة القرءان، فإنه أفضل الذكر[2].

مر بالإمام الرفاعي جماعة من فقراء الصوفية في صغره، فوقفوا ينظرونه، فقال أحدهم: «لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله»، ظهرت هذه الشجرة المباركة. فقال الثاني: «تتفرع لها فروع». فقال الثالث: «عن قليل يشتمل ظلها». فقال الرابع: «عن قليل يكثر ثمرها ويشرق قمرها». فقال الخامس: «عن قليل ترى الناس منها العجب، ويكثر نحوها الطلب». فقال السادس: «عن قليل يعلو شأنها ويظهر برهانها». فقال السابع: «كم يغلق لها باب وكم يظهر لها أصحاب»[3]. إ.هـ

وعندما دنت وفاة سيدي منصور البطائحيّ، شيخ أقطاب عصره، أراد بعض

---

(١) الإمام عبد الكريم الرافعي، سواد العينين، ص٦٧. سمير بن سامي القاضي، البراهين على صدق حادثة مد اليمين، بيروت: دار المشاريع، ١٤٣٣هـ، ص١٨٥-١٨٦.

(٢) فخر الدين أبو بكر، النجم الساعي في مناقب الرفاعي.

(٣) النبهاني، جامع كرامات الأولياء (فيه ما يحذر)، الطبعة الثانية، الحلبي، ج١، ص٤٩٠.

أهله وأصحابه ومريديه، أن يجعل الخلافة في الطريق، لابنه من بعده، بَيد أنّ سيدي منصور، كان يرى أنّ لا أحقية لأحدٍ في المشيخة من بعده إلا لسيدي أحمد الرفاعيّ. فقالت له وزجته: «أوص لولدك». فقال: «بل لابن أختي». فكررت عليه القول، فأراد أن يحسم الموقف بالدليل، فقال لابنه ولابن أخته: «ائتياني بنجيلٍ من أرض كذا». فأتاه ابنه بنجيلٍ كثير، ولم يأته ابن أخته بشيء. فقال له: «يا أحمد لم لم تأت بنجيل»؟ فقال: «وجدته كله يسبح الله عزّ وجلّ فلم أستطع أن أقلع منه شيئا»[1]. إ.هـ

وهكذا، برهن سيدي منصور، على أحقيّة سيدي أحمد بالخلافة، ولمست زوجته وأهله وأصحابه، شواهد الاستحقاق والتحقيق، من عارف يشهر في الموجودات بأسرها سر قوله تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[2].

وكان يلبس قميصًا أبيض، ورداءً أبيض، وخُفًا من صوفٍ أبيض، ويتعمّمُ بعمامةٍ سوداء دسماء، وفي بعض الأحيان يتعمّم بالبياض، وكان رفيع القوام، نحيف الوجود، كثير التبسم، قليل الضحك، مكينًا في طوره، ذا هيبةٍ عظيمة، لا يتمكن جليسه من إباحة النظر إليه، هذا مع رفقه وظرافة طبعه، وخُلُقه، ورقة شيمه، وذلك لما اشتمل عليه من العلم، والعقل، والعبادة، والكمال، والفضائل، والمجد، وعلو النسب، والكرم، والخوارق الغر، والحكمة البارعة، والسنن المحمدية، ورفعة القدر، وبُعد الصيت والشهرة، والشأن الوحيد في عصره، نفعنا الله به والمسلمين ءامين[3].

---

(١) العارف بالله أبي الهدى الصيادي، قلادة الجواهر، ص٤١. الإمام الشعراني، الطبقات الكبرى، ج١، ص١١٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٣) الإمام علي الواسطي، خلاصة الإكسير في نسب سيدنا الغوث الرفاعي الكبير، ضبط واعتناء الشيخ د. عاصم الكيالي، بيرت: كتاب ناشرون، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣ر، ص٧٣.

سنده رضي الله عنه في الخرقة

أخذ سيدنا أحمد الكبير الرفاعيّ رضي الله عنه العهد والطريقة، وتسَلَّم لواء الولاية، خلفًا لسيدي منصور رضي الله عنه، وأما سند سيدنا أحمد رضي الله عنه في الطريق، فهو قد تلقى خرقة التصوف، من خاله سيدي منصور البطائحيّ، وهو لبسها من خاله، سيدنا الشيخ أبي منصور الطيّب، وهو لبسها من ابن عمه الشيخ أبي سعيد يحيى البخاريّ الأنصاريّ، وهو لبسها من الشيخ أبي القرمذيّ، وهو لبسها من الشيخ أبي القاسم السندوسيّ الكبير، وهو لبسها من الشيخ أبي محمد دويم البغداديّ، وهو لبسها من الشيخ الإمام تاج العارفين أبي القاسم الجنيد البغداديّ، وهو لبسها من خاله الشيخ سريّ السقطيّ، وهو لبسها من الشيخ معروف الكرخيّ، وهو لبسها من إمام الزمان، وحجة أهل العرفان، الإمام ابن الإمام عليّ الرضى، وهو لبسها من أبيه، نور حديقة الولاية والكرامة، ملجأ الأولياء الأعاظم، أبي الحسن موسى الكاظم، وهو لبسها من أبيه صاحب القدم السابق، الإمام جعفر الصّادق، وهو لبسها من أبيه صاحب السرّ الطّاهر الإمام محمد الباقر، وهو لبسها من أبيه، كهف المحتاجين، وإمام الأفراد، أبي محمد الإمام زين العابدين عليّ السجاد، وهو لبسها من أبيه، أحد سبطي رسول الله، شهيد كربلاء، الحسين أبي عبد الله، وهو لبسها من أبيه، صاحب القدر العظيم، والشرف الجليّ، أمير المؤمنين، الإمام أبي الحسن عليّ رضي الله عنه، وهو لبسها من سيد المرسلين وأكرم المخلوقين وحبيب ربّ العالمين ﷺ[1].

وهناك سند ءاخر، لخاله الشيخ السيد منصور البطائحيّ في الخرقة، وهو أنه لبسها عن شيخه سيدي محمد الشنبكيّ، إمام التصوف بالبطائح في عصره، وهو قد أخذ عن سيدي أبي بكر بن هوار البطائحيّ، الذي تلقى الخرقة عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو أول من ألبسه أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخرقة ثوبًا وطاقيةً في النوم،

(١) أبو الهدى الصيادي، قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، ص٢٧٥.

فاستيقظ فوجدهما عليه[1][2].

ومن طريق ءاخر، أخذ العهد والطريقة، ولبس التاج والخرقة، من شيخه عليّ الواسطيّ القارئ، وهو لبسها من الشيخ أبي الفضل بن كامخ، وهو لبسها من الشيخ غلام بن تركان، وهو لبسها من الشيخ أبي عليّ الروزباريّ، وهو لبسها من الشيخ عليّ العجميّ، وهو لبسها من أبو بكر الشبليّ، وهو لبسها من الشيخ الإمام، أبو القاسم الجنيد البغداديّ، وهو لبسها من خاله السريّ السقطيّ، وهو لبسها من الشيخ معروف الكرخيّ، وهو لبسها من الشيخ داود الطائيّ، وهو لبسها من الشيخ حبيب العجميّ، وهو لبسها من الشيخ أبي سعيد السيد حسن البصريّ، وهو لبسها من زوج البتول، وابن عم الرسول، إمام المشارق والمغارب، سيدنا عليّ بن أبي طالب، وهو لبسها من السيد الأعظم والرسول المكرم، محمد ﷺ[3].

قال الإمام الشعراني في كتابه [مشارق الأنوار القدسية][4]: «أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ، أن لا نغتر بحفظ العلم الذي يطلب منا العمل به من غير عمل كما عليه غالب الناس اليوم، وما كان هكذا السلف الصالح». ثم قال رضي الله عنه: «ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ليرقيه إلى درجات المراقبة لله تعالى، والخوف من عذابه، كما كان عليه العلماء العاملون»[5]. إ.هـ

---

(١) الإمام الشعراني، الطبقات الكبرى، ج١، ص١١٣.

(٢) أورد الإمام ابن الملقن في طبقات الأولياء، ص٩٤، إلى جانب هذا السند الصديقي للإمام الرفاعي، السند الطريقي الحسيني له فقال: «وطريقه في الصحبة: صحب خاله الشيخ منصور، وهو صحب بها الشيخ عليّا القاري الواسطي، وهو صحب بها الشيخ أبا الفضل بن كامخ، وهو صحب بها الشيخ عليّا الروزباري، وهو صحب بها الشيخ عليّا العجمي، وهو صحب بها الشيخ أبا بكر الشبلي، وهو صحب بها الشيخ أبا القاسم الجنيد، وهو صحب بها السرى، وبقية السند معروف».

(٣) عبد الحي البطحاوي، الدرر المرضية، ص٩-١٠. أبو الهدى الصيادي، قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، ص٢٧٤. وكذا في كتابه طي السجل ص ٢٦٤.

(٤) عبد الوهاب الشعراني، مشارق الأنوار القدسية في العهود المحمدية،

(٥) أبو الهدى الصيادي، قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، ص٢٧٦-٢٧٧.

وقد قال سيدنا الإمام الرفاعي رضي الله عنه، حين سئل عن لبس الخرقة: «للبسها أحكام وهي:

ستر عورة الكذب بلسان الصدق، وستر سوءة الخيانة بثوب الأمانة، وسوءة الغدر بخرقة الوفاء، وسوءة الرّياء بخرقة الإخلاص، وسوءة المذام بخرقة المحامد، وكل خلق دنيء بخلق سَنِيّ، والتوكل على الأكوان بالتوكل[1] على الله تعالى، وكفر النعمة بشكر[2] المنعم.

ثم يتزين بملابس الأخلاق المحمودة مثل: الصمت عما لا يعنيه، وغضّ البصر عما لا يحل إليه النّظر، وتفقد الجوارح بالورع، وترك سوء الظن بالنّاس، ويصلح عمل ما مضت به الأيام، والقناعة بيسير الرزق، وتفقد أخلاق النفس، وتعاهد الاستغفار، وقراءة القرءان، والوقوف مع الآداب النبوية، وتعرف أخلاق الصالحين، والمنافسة في الدين، وصلة الرحم، وتعاهد الجيران بالرفق، وبذل الغرض.

وسخاء النفس، وهو أن يبذلها في قضاء حوائج الخلق، واصطناع المعروف إلى الصديق والعدو، والتواضع، ولين الكلام، واحتمال الأذى، والتغافل عن زلل الإخوان، وترك مجالسة الغافلين، إلا أن تذكرهم، أو تَذْكر الله فيهم، والكف عن الخوض في الأعراض، وفي ءايات الله تعالى، وترك الطعن على المذنبين من أمة سيدنا محمد ﷺ.

وترك الغضب إلا في انتهاك محارم الله تعالى، وترك الحقد والغل من الصدور، والصفح عن المسيء، وهو أن لا تغضب لنفسك؛ وإقالة عثرات أهل المروءة ذوي الهيئات، وتعظيم العلماء وأهل الدين، وإكرام ذي الشيبة، وإكرام كريم القوم من المسلمين كل على الحد المشروع مما يجوز أن يكرم به ذلك الشخص»[3]. إ.هـ

---

(١) الأخذ بالأسباب فالله هو الخالق والرازق وهو الذي ينفعنا بها.

(٢) أي لا تنشغل بالنعمة عن شكر المنعم.

(٣) الشيخ أحمد فريد المزيدي، أبو العلمين القطب الكبير السيد أحمد الرفاعي وأصول الطريقة الرفاعية، بيروت: كتاب ناشرون، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣ر، ص٢٠٨ - ٢١٦.

وقال السيد أحمد رضي الله عنه من رغب لإظهار الكرامات، وخوارق الأحوال، وإفشاء براهين الأولياء، قاصدا بذلك التفاخر، وجلبا لحسن الظن به، وسلما لصيد الدراهم، فأنا بريء منه في الآخرة، هو عدوي، وأنا عدوه، وأصل الرخصة في عمل هذه الأشياء في طريقتنا، يكون في وقت إنكار أحد الكافرين على أصل هذا الدين، أو كان طالبًا من براهين هذا الدين، دليلًا بشرط بعد مشاهدته لهذا البرهان المحمديّ، أن يصير مندرجًا في سلك أمته ﷺ، فلا بأس هنالك في إظهار هذه الأحوال، خفيها وجليها، كليها وجزئيها، وإلا فلا رخصة في عمل شيء منها قطعًا إ.هـ

قال بعض السادات: لا بأس بذلك في حضور المنكرين للطريقة العلية، بنية تخليصهم مما هم فيه من البلبلة؛ حمانا الله، فالمقصود هذه الطريقة المباركة بنيت على الكتاب والسنة بالأصول والفروع أسرارها عجيبة، وأحوالها غريبة. وهم رجالها تتدكدك منها الجبال، فإذا أراد الصوفي الداخل فيها، أن يكون مطلوق العنان، فليحافظ على أمور الدين على الحقيقة والشريعة، لقول من قال: من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق. ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق. والمطلوب من السالك. أن يعلم الأوامر والنواهي، وأن يلازم حقائق أمر الشرع الشريف كما هي[1] إ.هـ

زهده وعبادته رضي الله عنه

وأما عن جانب الزهد والعبادة عند سيدي أحمد رضي الله عنه، فقد كان لا يجمع بين قميصين شتاء وصيفا، ولا يأكل إلا بعد يومين أو ثلاثة أكلة واحدة، ويصلي كل يوم أربعمائة ركعة بألف ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[2]، ويستغفر كل يوم ألفين، يقول: «**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**»[3].

---

(١) أبو الهدى الصيادي، قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، ص٢٨٠-٢٨١.

(٢) الإخلاص: ١.

(٣) الإمام المناوي، الكواكب الدرية، ج١، ص٦٥٧. أبو الهدى الصيادي، قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، ص٦٦.

وكان رضي الله عنه إذا شرع في الصلاة، يصفر لونه الشريف، وإذا فرغ من صلاة الصبح، يستمر في مكانه جالسًا بالذلة والمسكنة يقرأ الأوراد إلى ضحوة النهار العالية، وإذا فرغ من ذلك صلى صلاة الإشراق[1]، وصلاة الضحى، ثم يتوجه إلى أم عَبيدة، ويجاهد نفسه الغيورة الكريمة على العبادة، وكان يقول: «إذا كنت في الخلوة يحصل عندي التأسف والتحسر كثيرا». وكان دائما يرى في الخلوة واقفًا على قدميه، ويجاهد نفسه وينشد هذا البيت ويقول:

والله لو علمت روحي بمن علقت قامت على رأسها فضلا عن القدم[2]

وكان طعام سيدي أحمد الرفاعيّ الكبير خبز الأَرُز، وما يفضل من اللباب والكسر، وفضلات موائد الواردين والضيفان؛ وما أكل الخبز الساخن في عمره قط، وكان إذا أفطر من الصوم، لا يفطر إلا على لباب المائدة الفاضل منها. وكان حين يستعمله يبلونه له بالماء ويفطر، فسأله الفقراء عن ذلك وقالوا له: «يا سيدي إنّ الإفطار على التمر من سنّة الرسول عليه الصلاة والسلام كما تعرفونه وتقيدونه». فقال لهم السيد الكبير: «نعم سنة فكلوا منه وأفطروا عليه» إ.هـ

ثم إنهم قدموا له شيئًا من التمر، فتناول السيد منه تمرةً واحدةً وقال: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فأكلها وقال: «أكلتها لأجل خاطركم» إ.هـ وكان الذي جاء بالتمر للأستاذ، هو الشيخ مجرد الأكبر، فعند ذلك عرف السيد الكبير أنّ الشهوة تميل إلى اللذائذ، فتركه وما أكله من ذلك اليوم أبدًا.

وروي عن سيدي يحيى أنه قال: «إنّ سيدي أحمد الرفاعيّ ما أكل الخبز السمين في عمره أبدًا، وما نام أبدًا في الليل، وما ضحك أبدًا في زمن الطفولية، وما لعب مع الأولاد قط.

---

(١) صلاة الإشراق هما أول ركعتين من الضحى سميتا بذلك لأنه بعد أن صلى الصبح جلس للأوراد حتى دخل وقت الضحى فبدأ بهما.

(٢) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص٩٦.

وكان وهو طفلٌ، من عوائده الحسنة أن يجمع الخبز ويعطيه لهم، ويتقيد بخدمتهم، وكان من عوائده أن يزور المهجور من المساجد، ويزور المقابر. ومن حين كان طفلًا، كل من صاحبه أو حادثه لا يتصاحب معه إلا بالنصيحة والفوائد. وكان الناس يتمنى الواحد منهم أن يصاحبه لحظةً لشدة محبتهم له؛ وكل من ينصحه من هؤلاء المصاحبين لا يروح إلا وهو من الفائزين من تلك النصيحة رضي الله عنه» إ.هـ

وحكى أنّ السيد عليّ بن السيد أحمد الصيّاد، ابن السيد عبد الرحيم، صاحب الشباك قال: «إنّ مولانا السيد الكبير ولد في أوائل رجب، فأراد سيدي منصور الرباني أن يسميه بشيبة الحمد، فسمع هاتفًا يقول له أنّ اسمه أحمد الرفاعيّ، وهذا الذي تسميه به، وكان يشرب اللبن كل يوم من حين ولدته أمّه إلى رمضان، فتقيد بعدم شربه اللبن فيه، وحين جاء العيد شربه في أول يومه وأفطر مع الناس فيه.

والحاصل أنه كان غالب أيام السنة صائمًا، من حين برز إلى الوجود، إلى وقت خروجه من الدنيا، وكان يقوم الليل كله. فرحمه الله ونفعنا ببركاته، وبركات خلواته، وصلواته ونفحاته، وأسراره في الدنيا والآخرة»[1] إ.هـ

وكان متجردًا من الدنيا، وما ادخر شيئًا قط؛ وكان لا يجمع بين لبس قميصين، لا في صيفٍ ولا في شتاء، مع أنّ ريع أملاكه، وحباس رواقه الشريف، أكثر من ريع أملاك الأمراء والكبراء. وكل مايحصل منها ينفق في سبيل الله تعالى، على فقراء الرواق، وورادیه من المسلمين، ويبقي أولاده لا يملكون شيئًا من عرض الدنيا، بل هم كآحاد فقراء الرواق.

قال الشيخ عبد الصمد الحربوني، أحد وكلاء الرواق الأحمديّ العامر: في سنة ٥٦٧ هجرية، بلغ ريع أملاك السيد أحمد، وأوقافه المحبوسة على رواقه هذه السنة، تسعمائة ألف درهم فضه ديواني، وعشرين ألف قطعة ذهب. وجاء في هذه السنة باسم جنابه الشريف، من الأقاليم ثمانون ألف رداء، وخمسون ألف تمشكة، وعشرون ألف مسح

(١) فخر الدين أبو بكر، النجم الساعي، ص٤٩-٥٠.

عجمي، واثنتان وثلاثون ألف عمامة كتان، وإحدى عشرة ألف قطعة ذهب دوانيقية، وألف وسبعمائة كساء هندي، وها هو اليوم غسل ثوبه بشاطئ نهر الرواق، واستتر بفوطته، وأخذ ثوبه على عصا ينشفه ليلبسه، ولم يكن في خزانة رواقه ولا درهم واحد؛ وكل الذي ذكرته لك تصدق به على الضعفاء، ووهبه للمستحقين، والسائلين، والفقراء والمساكين إ.هـ

وكان يقول: «الزهد أساس الأحوال المرضية والمراتب السنية وهو أول القاصدين إلى الله عزّ وجلّ، والمنقطعين إلى الله، والراضين عن الله، والمتوكلين على الله» إ.هـ وكان يقول: «كم طيرت طقطقة النعال حول الرجال من رأس، وكم أذهبت من دين» إ.هـ وكان إذا رأى على فقير جبة صوف، يقول له: ياولدي انظر بزي من تزييت، وإلى من قد انتسبت لبست لبسة الأنبياء، وتحليت بحلية الأتقياء، هذا زي العارفين، فاسلك فيه مسالك المقربين وإلا فانزع وكان لا يجازي قط السيئة بالسيئة، وكان يقول: لا يحصل للعبد صفاء الصدر حتى لا يبقى فيه شيء من الخبث لا للعدو ولا لصديق ولا لأحد من خلق الله عزّ وجلّ وكان يقول: «طريقي دين بلا بدعة، وعمل بلا كسل، ونية بلا فساد، وصدق بلا كذب، وحال بلا رياء»[1] إ.هـ

لقاؤه رضي الله عنه مع سيدنا الخضر عليه السلام

نقل عن سيدنا الشيخ أحمد الرفاعيّ الكبير أنه قال: «كنت في يوم من الأيام، وهو يوم الخميس، جالسًا، وإذا بالخضر عليه السلام قد جاء إليّ على سبيل الزيارة، فجرت بيننا مصاحبات، وكلمات كثيرة، في أثناء الكلام، فسألته عن نسبه فقال: يا أبا الصفا، أنا ابن أخنوخ وهو إدريس النبيّ عليه الصلاة والسلام»[2] إ.هـ

---

(١) أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى المسماة لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، بيروت: دار الفكر، ج١، ص١٤١.

(٢) فخر الدين أبو بكر، النجم الساعي، ص٣٣. عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، ص٨٥.

لقاؤه مع القطب الجيلاني رضي الله عنهما

نقل أنّ الشيخ عبد القادر الجيلانيّ قال: «توجهت يومًا حال سياحتي إلى زيارة السيد أحمد الرفاعيّ رضي الله عنه، فبينما نحن جلوسٌ معه نتصاحب ونتحادث إذ وقع في خاطري سؤالٌ في أثناء المصاحبة، فسألته وقلت: يا سيدي أنتم من ولد رسول الله ﷺ، ونسبكم هاشميّ، فلأي شيء وصفتم بالرفاعيّ». فقال السيد الكبير رضي الله عنه: «هي نسبة إلى جدي عليّ بن رفاعة من بني الإمام عليّ، فالحمد لله أنا جدي الإمام عليّ كرم الله وجهه، وتربيت في بيت أبي الفوارس». فلما سمع الشيخ عبد القادر الجيلانيّ ذلك من السيد الكبير رضي الله عنه حين سأله قال: «سيدي أنت الرفاعيّ الفاطميّ ابن ابن عمّ النبيّ القرشيّ»[1] إ.هـ

(١) النجم الساعي، ص٣٤.

معتقد الصوفية
قولهم في التوحيد

قال الإمام أبو بكر الكلاباذي في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف: اجتمعت الصوفية على أن الله واحد لا شريك له، فرد صمد، قديم لا ابتداء لوجوده، عالم لا تخفى عليه خافية، قادر على تكوين ما سبقت به إرادته أي على خلق ماشاء وقدر في الأزل وجوده[1]، فعال لما يريد لا يعجزه عن ذلك شيء ولا تخلف لمراده وهو سبحانه مدبّر كل شيء، حي لا كحياتنا، متعال عن النقص والسوء، موصوف بكل كمال يليق به، منزّه عن كل نقص في حقه، مسمّى بكل ما سمّى به نفسه، لم يزل قديمًا بأسمائه وصفاته، غير مشبه للخلق بوجه من الوجوه، لا يشبه ذاته الذوات ولا صفاته الصفات، لا يجري عليه شيء من سمات المخلوقين الدّالة على حدثهم، لم يزل سابقًا متقدمًا للمحدثات موجودًا قبل كل شيء، لا قديم غيره ولا إله سو

ليس بجسم ولا شبح ولا صورة ولا شخص ولا جوهر ولا عرض، لا اجتماع له ولا افتراق، لا يتحرّك ولا يسكن، ولا ينقص ولا يزداد، ليس بذي أبعاض ولا أجزاء، ولا جوارح ولا أعضاء ولا بذي جهات ولا أماكن، لا تجري عليه الآفات، ولا تأخذه السّنات، ولا تداوله الأوقات، ولا تعيّنه الإشارات، لا يحويه مكان، ولا يجري عليه زمان، ولا تجوز عليه المماسّة ولا العُزلة ولا الحلول في الأماكن، ولا تحيط به الأفكار، ولا تحجبه الأستار، ولا تدركه الأبصار.

فِعلُه من غير مباشرة، وتفهيمه من غير ملاقاة، وهدايته من غير إيماء، لا تَنَازَعه الهِمَم، ولا تخالطه الأفكار، ليس لذاته تكييف، ولا لفعله تكليف.

لا تحيط به العيون، ولا تهجم عليه الظنون، ولا تتغير صفاته، ولا تتبدّل أسماؤه، لم يزل كذلك، ولا يزال كذلك، هو الأوّل الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده

---

(١) فلا يمانعه أحد ولا يوجد سابق ولا مسبوق في صفات الله عز وجل

شيء والظّاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء، موجود بلا كيف ولا مكان وهو بكل شيء عليم، علمه ليس كعلمنا، يعلم الأشياء قبل حدوثها، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ سمعه وبصره ليس كأسماع وأبصار الورى فهم يسمعون بالأذن والصماخ وتموج الهواء ويبصرون بالحدقة وانعكاس الصور في الضوء والنور والله سبحانه منزه عن ذلك كله، يسمع الأصوات بسمع أزلي أبدي ليس بسمع حادث عند حدوث الأصوات ويرى برؤية أزلية ليست حادثة عند وجود المبصرات.

وكلامه قديم أزلي لا ابتداء له كسائر صفاته لأن الذات الأزلي لا يقوم به صفة حادثة وما كان كذلك لا يكون حرفًا وصوتًا ولغة ولا يُبتَدَأُ ولا يُختَتَم، فمن تكلّم بالحروف فهو معلول ومَن كان كلامه باعتقاب فهو مضطر.

وكلام الله أمر ونهي وخبر ووعد ووعيد وقصص وأمثال، والله لم يزل ءامرًا ناهيًا مخبِرًا واعدًا موعِدًا حامدًا ذامًّا. فالقرءان والتوراة والإنجيل والزّبور وسائر الكتب السماوية إن قصد بها الكلام الذاتي فهي أزلية ليست بحرف ولا صوت، وإن قصد بها اللفظ المنزّل الذي بعضه بلغة العرب وبعضه بالعبرانية وبعضه بالسُّريانية فهو حادث مخلوق لله لكنها ليست من تصنيف ملك ولا بشر فهي عبارات عن الكلام الذاتي الذي لا يوصف بأنه عربي ولا بأنه عبراني ولا بأنه سرياني، وكلٌّ يطلق عليه كلام الله، أي أنّ صفة الكلام القائمة بذات الله أي الثابتة له سبحانه يقال لها كلام الله، واللفظ المنزّل الذي هو عبارة عنه يقال له كلام الله.

وتقريب ذلك أنّ لفظ الجلالة (الله) عبارة عن ذات أزلي قديم أبدي، فإذا قلنا (نعبد الله) فذلك الذات هو المقصود، وإذا كُتِبَ هذا اللفظ فقيل: ما هذا؟ يقال (الله) بمعنى أنّ هذه الحروف تدلُّ على ذلك الذات الأزلي الأبدي لا بمعنى أنّ هذه

الحروف هي الذات الذي نعبده، فتبيّن من ذلك كله أنّ القرءان له إطلاقان أي له معنيان:

- الأول: إطلاقه على الكلام الذاتي الذي ليس هو بحرف ولا صوت ولا لغة عربيةٍ ولا غيرها.
- والثّاني: إطلاقه على اللفظ المنزّل الذي يقرؤه المؤمنون.

قولهم في المحكم والمتشابه من الكتاب والسنّة

وأجمعوا أن القرءان فيه ءايات محكمات وفيه ءايات متشابهات، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ والمحكمات هي التي دِلالتها على المراد واضحة، والمتشابهةُ هي التي دِلالتها على المراد غيرُ واضحة، وقد ذمّ الله تعالى الذين يتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة أي الزّيغ أي ابتغاء الإيقاع في الأمر المحظور وهو التشبيه، والذين في قلوبهم زيغ هم أهل الأهواء كالمعتزلة والوهّابية وأمثالهم.

وقد سمّى الله تعالى المحكمات أمَّ الكتاب أي أمَّ القرءان لأنّها الأصل الذي تُردُّ إليها المتشابهات، مثل قوله تعالى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ أي مِثلًا أي ليس له مثيلٌ ولا شبيه وكقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴿١١﴾﴾.

ثمّ المتشابه قسمان: أحدهما ما لا يعلمه إلا الله كوجبة القيامة، والثاني يعلمه الرّاسخون في العلم كمعنى الاستواء المذكور في قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ فإنّ الراسخين فسّروه بالقهر.

وقالوا إنّ كلّ ما ورد في القرءان الكريم أو في الحديث الشريف مما ظاهره يوهم التشبيه لله تعالى بخلقه فهو قطعًا ليس على الظاهر وإنّما له معنًى يليق بالله سبحانه وتعالى ثم سلكوا في ذلك مسلكين فغلب على السلف منهم تأويل هذه الآيات والأحاديث تأويلًا إجماليًّا بالإيمان بها واعتقاد أنّ لها معانيَ تليق بجلال الله وعظمته ليست من صفات المخلوقين بلا تعيين كما في ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ وحديث النّزول الذي فيه «**ينزل ربّنا تبارك وتعالى**[1] **كلّ ليلة إلى السماء الدّنيا حين يبقى ثُلُث**

(١) وقد روى الزرقاني في شرحه على الموطأ أن الإمام مالكا قال نزول رحمة لا نزول نقلة.

الليل الآخرُ فيقول من يدعوني فأستجيبَ له ومن يسألني فأُعطيَه ومن يستغفرني فأغفرَ له» بأن يقولوا بلا كيف أو على ما يليق بالله أي من غير أن يكون بهيئة، من غير أن يكون كالجلوس والاستقرار والجوارح والطّول والعرض والعمق والمِساحة والحركة والسكون والانفعال ممّا هو صفة حادثة وهو كما قال الإمام الشّافعي رضي الله عنه: «ءامنتُ بما جاء عن الله على مُرادِ الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله» يعني رضي الله عنه لا على ما تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسيّة الجسميّة التي لا تجوز في حقّ الله تعالى.

وأما الخلف فغلب عليهم التأويل التفصيلي وذلك بتعيين معانٍ لهذه الآيات والأحاديث المتشابهة مما تقتضيه لغة العرب ويليق بجلال الله سبحانه وتعالى فقالوا في تفسير قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ قهر العرش ومعنى قهر الله للعرش الذي هو أعظم المخلوقات أنّ العرش تحت تصرّف الله، هو خلَقَه وهو يحفظه، يحفظ عليه وجوده، ولولا حفظ الله تعالى له لَهَوى إلى الأسفل فتحطّم، فالله تعالى هو أوجده ثم هو حفظه وأبقاه. وفائدة تخصيص العرش بالذّكر لأنّه أعظم مخلوقات الله تعالى حجمًا فيُعلم شمول ما دونه من باب الأولى. قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنّ الله خلق العرش إظهارًا لقدرته ولم يتّخذه مكانًا لذاته»[1].

وليعلم أنّه يجب الحذر من هؤلاء الذين يجيزون على الله القعود على العرش والاستقرار عليه مفسرين لقوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ بالجلوس أو المحاذاة من فوق وهؤلاء هم الوهّابية وقبلهم أناسٌ كانوا يعتقدون ذلك ففسّروا الآية بالجلوس مدّعين أنّه لا يعقل موجود إلا في مكان وحجتهم داحضة لأنه ليس من شرط الوجود التحيّز في المكان، أليس الله كان موجودًا قبل المكان والزمان وكلِّ ما سواه بشهادة حديث «كان الله ولم يكن شيءٌ غيره»؟! فالمكان غيرُ الله والجهات والحجم غيرُ الله فإذا صحَّ وجوده تعالى شرعًا وعقلًا قبل المكان والجهات بلا مكان ولا جهة

(١) ذكره الإمام أبو منصور البغدادي في الفرق بين الفرق.

فكيف يستحيل على زعم هؤلاء وجوده تعالى بلا مكان بعد خلق المكان والجهات؟!

ومصيبة هؤلاء أنّهم قاسوا الخالق على المخلوق، قالوا: كما لا يعقل وجود إنسان أو مَلَك أو غيرِ ذلك من الأجسام بلا مكان يستحيل وجود الله بلا مكان، فهلكوا.

ومن سخافة عقولهم أنهم قالوا: إنّ جهة فوق تليق بالله وجهة تحت نقص على الله فلذلك لا نؤول الآيات والأحاديث التي تدلّ ظواهرها على أنّه في جهة فوق بل نؤول الآيات والأحاديث التي تدلّ ظواهرها على أنّه في جهة تحت، فالجواب: أنّ جهة فوق مسكن الملائكة، وكذلك مدار النّجوم والشمس والقمر جهة فوق وليس هؤلاء أفضل من الأنبياء الذين منشؤهم في جهة تحت وحياتهم في جهة تحت إلى أن يموتوا فيدفنوا فيها، والأنبياء أفضل من الملائكة لأنّ الله أمر الملائكة بالسجود لآدم تحيّةً فسجدوا له والمسجود له أفضل من السّاجد فبطل قولهم: إنّ جهة فوق كمال لله وجهة التحت نقص على الله، لأنّ الله لا يتشرّف بشيء من خلقه، فلا يتشرّف بالعرش، ولا بالسّماء ولا بالجهات، ومن زعم ذلك جعل الله محتاجًا لغيره والاحتياج مستحيل على الله بل التحيّز في جهة فوق أو غيرها نقص على الله لأنّه يلزم من التحيّز أن يكون له حدٌّ ومقدار والمقدار للمخلوق قال الله تعالى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [سورة الرعد] العرش له مقدار والذرّة لها مقدار وكذلك ما بينهما من الأحجام والأجسام المختلفة.

ثمّ إنّ الملِك والسلطان قد يكونان يسكنان في بطن الوادي وحرّاسهما يكونون في الأعالي، فهذا القياس الذي تعتبره الوهابية هو قياس فاسد لا يلتفت إليه إلا من هو ضعيف العقل فاسد الفهم، فعقيدة الصوفية هي كما قال السيد أحمد الرفاعي الكبير قدّس الله سرّه: «غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان». وقال رضي الله عنه: «إيّاكم والتمسّك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنّة فإنّ ذلك من أصول الكفر».

والفوقيّة بمعنى القهر دون المكان والجهة جاءت في نحو قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ

عِبَادِهِۦ ﴿١٨﴾ [سورة الأنعام] وقوله عزّ وجلّ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة النحل].

وأما حديث النّزول السّابق الذكر فأحسن ما يقال في ذلك هو نزول المَلَكِ بأمر الله، فينادي مبلّغًا عن الله تلك الكلمات: «**مَن ذا الذي يدعوني فأستجيبَ له مَن ذا الذي يستغفرني فأغفر له مَن ذا الذي يسألني فأُعطِيَه**» فيمكثُ المَلَكُ في السّماء الدّنيا من الثُّلُثِ الأخير من الليل إلى الفجر.

وقالوا في تأويل قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴿١٠﴾﴾ [سورة فاطر] إنّ الكلم الطيب كلا إله إلا الله والعمل الصالح كل ذلك يصعد إلى محل كرامته وهو السّماء والمعنى أنّ الله تعالى يتقبّله، فالسّماء محلّ كرامة الله أي المكان الذي هو مشرّف عند الله لأنّها مسكن الملائكة وقِبلة دعاء الداعين كما أنّ الكعبة قبلة المصلّين.

وقالوا في تأويل قوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الملك] المراد بمن في السّماء الملائكة فإنّ الله يسلطهم على الكفّار إذا أراد أن يُحِلَّ عليهم عقوبته في الدّنيا، ومثل ذلك حديث: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السّ**» فإن المراد به الملائكة كما ذكر الحافظ العراقي.

وقالوا في تفسير قوله عزّ وجلّ ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة فصلت] وقوله سبحانه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [سورة النساء] إنّ الله أحاط بكل شيء علمًا، محيط علمًا بالكائنات التي تحدث إلى ما لا نهاية له، حتى ما يحدث في الدّار الآخرة التي لا انقطاع لها، يعلم ذلك جملةً وتفصيلًا. وعلى معنى الإحاطة بالعلم فسّرت المعيّة الواردة في قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [سورة الحديد] أي عالم بنا أينما كنّا.

وعلى معنى العلم أيضا يحمل حديث: «**أيّها النّاس إنّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا إنّما تدعون سميعًا قريبًا والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم**». وقوله تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة ق]

ومعنى قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة قصص] إلا ملكه أي إلا سلطانه[1] فملك الله أزلي أبدي لا يفنى وملك غيره يفنى، مُلك الملوك الكفار كنمرود وفرعون الذين أعطاهم الله تبارك وتعالى هذا الملك الذي هو غير أبدي يفنى وملك أحباب الله كسليمان وذي القرنين يفنى، أما ملك الله فهو صفة من صفاته.

وقال بعضهم ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [سورة قصص: ٨٨] إلا ما أريد به وجهه، أي الأعمال الصالحة تبقى قال الله تعالى ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [سورة مريم:٧٦].

ويأتي الوجه بمعنى الذات كما في قوله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن:٢٦] فالعالم وما فيه يفنى والله باق لا يفنى ولا يَبيد.

كما يأتي بمعنى الطاعة كحديث: «**أقربُ ما تكون المرأة إلى وجه الله إذا كانت في قعر بيتها**»[2] أي أقرب ما تكون المرأة من طاعة الله إذا لزمت بيتها ولم تخرج منه لغير ضرورة.

وأمّا قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴿١١٥﴾﴾ [سورة البقرة] فمعناه فأينما توجهوا وجوهكم في صلاة النفل في السفر فثَمَّ قِبلة الله، أي فتلك الوِجهة التي توجهتم إليها هي قِبلة لكم.

وقالوا في تفسير قوله تعالى في سفينة نوح عليه السّلام ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [سورة هود:٣٧] ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [سورة القمر:١٤] وفي حقّ سيدنا موسى عليه السّلام ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [سورة طه:٣٩] معناه الحفظ والرعاية.

وقالوا في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ﴾ [سورة الذاريات:٤٧] اليد تأتي بمعنى القدرة والقدرة هي القوة وتأتي بمعنى العهد كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) كما ذكر البخاري في صحيحه في تفسير سورة القصص.

(٢) رواه الترمذي ١١٧٣ وابن حبان ٥٥٩٨وابن خزيمة ١٦٨٥.

﴿يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح: ١٠] أي عهد الله فوق عهودهم أي ثبت عليهم عهد الله لأنّ معاهدتهم للرسول تحت شجرة الرضوان في الحديبية على أن لا يفرّوا معاهدة لله تبارك وتعالى لأنّ الله تعالى هو الذي أمر نبيّه بهذه المبايعة.

وقالوا في قوله تعالى في حقّ سيّدنا ءادم عليه السّلام ﴿مِن رُّوحِى﴾ [سورة الحجر: ٢٩] وفي حقّ سيدنا عيسى عليه السّلام ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ [سورة الأنبياء: ٩١] إنّ الله خالق الرّوح والجسد فليس روحًا ولا جسدًا ومع ذلك أضاف الله تعالى روح ءادم وعيسى عليهما السّلام إلى نفسه على معنى المِلك والتّشريف لا للجُزئية والتبعيض وذلك للدّلالة على شرفهما عند الله تعالى، وعلى معنى التشريف يحمل أيضًا قوله تعالى عن الكعبة ﴿بَيْتِيَ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة البقرة] وعن ناقة سيّدنا صالح عليه السلام ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الأعراف].

وأوّلوا النّور الوارد في قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النور] بنور الهداية ومعناه أنّ الله تعالى هادي أهل السماوات وهم الملائكة والمؤمنين من أهل الأرض من إنس وجنّ إلى نور الإيمان والذي في ءاخر الآية ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [سورة النور] يفسّر ما في أوّل ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٣٥﴾﴾، فالله تعالى ليس نورًا بمعنى الضوء بل هو الذي خلق النّور قال تعالى ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [سورة الأنعام] أي خلق الظلمات والنّور فكيف يمكن أن يكون نورًا كخلقه تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى: ١١].

قولهم في الرّؤية

وأجمعوا على أنّ الله تعالى يُرى بالأبصار في الآخرة يراه أهل الجنّة وهم في الجنّة بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة أي أنّه تعالى لا يكون في جهة ولا مكان إنّما هم في مكانهم في الجنّة. وأنّه يراه المؤمنون دون الكافرين لأنّ ذلك كرامةٌ من الله تعالى لقوله

﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾ [سورة يونس: ٢٦] وجوّزوا الرّؤية بالعقل وأوجبوها بالسّمع وإنّما جاز في العقل لأنّه موجود وكلّ موجود فجائز رؤيته إذا وضع الله تعالى فينا الرّؤية له، ولو لم تكن الرّؤية جائزة عليه لكان سؤال موسى عليه السّلام ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [سورة الأعراف:١٤٣] جهلًا وكُفرًا، ولـمّا علّق الله الرّؤية باستقرار الجبل بقوله ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ ﴾ [سورة الأعراف:١٤٣] وكان ممكنًا في العقل استقراره لو أقرّه الله وجب أن تكون الرّؤية المعلّقة به جائزةً في العقل ممكنةً. فإذا ثبت جوازه في العقل، ثمّ جاء السّمع بوجوبه بقوله تعالى ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ [سورة القيامة: ٢٢-٢٣] وقال النّبيّ ﷺ: «**إنّكم سترون ربّكم**» والأخبار في هذا مشهورة متواترة، وجب القول به والإيمان والتصديق له.

قولهم في الأنبياء والرّسل

وأجمعوا على أنّ الله أرسل أنبياء ورسلًا أوّلهم ءادم عليه السّلام أبو البشر وخاتمهم محمّد ﷺ من لا نبي بعده، دينهم واحد هو الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة ءال عمران: ١٩] وشرائعهم مختلفة، جمّلهم الله بأحسن الصّفات ومن تلك الصفات:

الصدق فلا يكذبون وأمّا الحديث الذي فيه «كذب إبراهيم ثلاث كذبات» فقالوا فيه إنّ إبراهيم عليه السّلام قال ما صوّرته صورة الكذب لكنّه صدقٌ من حيث الحقيقة فقوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [سورة الصافات: ٨٩] ليس فيه كذب بل معناه إني سقيم من عبادتكم لما لا يستحقّ العبادة، وقوله عن زوجته سارة «**إنها أختي**» ليخلصها من كيد الملك الظالم الجبّار صدق في الحقيقة أي أختي في الإسلام ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٠]، وأسند فعل تكسير الأصنام الصغار إلى الصّنم الكبير لأنه السبب الكبير في كفرهم وطغيانهم فقال ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٣].

والأمانة فلا يخونون، فما ينسب إلى سيدنا داوود عليه السّلام في بعض الروايات المكذوبة من أنّه عشق امرأة قائد جيشه فأرسله إلى معركة خاسرة ليموت هناك ويأخذ امرأته فهذا لا يقبله أيّ مسلم.

والفطانة أي شدّة الذكاء فليس فيهم غبي بليد الذهن.

والشجاعة فليس فيهم جبان فرسول الله ﷺ لم يهاجر من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة هربًا من المشركين بل تنفيذًا لأمر الله تعالى وتأسيسًا لدولة الإسلام، وموسى عليه السّلام لم يهرب جبنا من فرعون.

وعصمهم من الكفر أي هم محفوظون من الكفر قبل أن يوحى إليهم بالنّبوّة وبعد ذلك أيضًا، وأمّا قول إبراهيم عليه السّلام عن الكوكب حين رءاه ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [سورة الأنعام: ٧٧] فهو على تقدير الاستفهام الإنكاري فكأنّه قال: أهذا ربّي كما تزعمون، ثمّ

لـمّا غاب ﴿ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴾ [سورة الأنعام: ٧٧] أي لا يصلح أن يكون هذا ربًّا فكيف تعتقدون ذلك، وكذلك فعل حين رأى القمر والشمس، وليس كما قال بعض أدعياء العلم في كتاب له كسيد قطب المصري (إنّ إبراهيم كان تائهًا لا يعرف ربًّا له) سبحانك اللهمّ هذا بهتانٌ عظيم.

والكبائر فيوسف عليه السّلام لم يَهُمّ بالزّنا من امرأة العزيز، حاشاه أن يفعل ذلك، وإنما معنى ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ ﴾ [سورة يوسف: ٢٤] أنّ امرأة العزيز همّت بالفاحشة ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ [سورة يوسف: ٢٤] أنّ يوسف عليه السّلام همّ بضربها وبدفعها.

وصغائر الخسّة أي إنّ الله عصمهم من التلبّس بالذنوب الصغيرة التي فيها خِسّة ودناءة كسرقة حبّة عنب فإنّ هذه صغيرة لكنّها تدلّ على دناءة نفس.

ولا يجوز في حقّهم الأمراض التي تنفّر النّاس منهم فيجب الحذر من القصّة المكذوبة التي فيها أنّ سيّدنا أيّوب عليه السّلام صار يخرج منه الدّود ويقع على الأرض فيردّه إلى جسده ويقول (كُلي من رزقك يا مخلوقة الله).

ولا سبق اللسان في الشّرعيّات والعاديّات أي أن يقولوا كلامًا لم يقصدوا قوله لأنّه لو حصل منهم ذلك لارتفعت الثقة في صحّة ما يقولونه.

قولهم في الملائكة

وأجمعوا على وجوب الإيمان بالملائكة أي بوجودهم وأنهم عباد مكرمون وهم أجسام نورانية لطيفة ألطف من الهواء ليسوا ذكورًا ولا إناثًا لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتوالدون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وإبليس ليس منهم ولا كان طاووس الملائكة بل إن جبريل عليه السّلام هو رئيسهم وأفضلهم، وما ينسب إلى الملكين الكريمين هاروت وماروت من الأفعال الشنيعة فهو كذب وافتراء لا صحة له وهو مناقض لقوله تعالى ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [سورة التحريم: ٦].

قولهم في القَدَر

وأجمعوا أنّ الله تعالى خالق لأفعال العباد كلّها كما أنّه خالق لأعيانهم، وأنّ كلّ ما يفعلونه من خير وشرّ اضطراري واختياري فبقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته ولولا ذلك لم يكونوا عبيدًا ولا مخلوقين قال الله عزّ وجلّ ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [سورة الرعد: ١٦] فلمّا كانت أفعالهم أشياء وجب أن يكون الله خالقَها ولو كانت الأفعال غيرَ مخلوقة لكان الله عزّ وجلّ خالق بعض الأشياء دون جميعها ولكان قوله ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ كذبًا، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قولهم في الوعد والوعيد

وأجمعوا أنّ الوعيد المطلق في الكفّار والمنافقين، والوعد المطلق في المؤمنين والمحسنين.

وقالوا إنّ الله يغفر الكبائر والصّغائر لمن شاء من عباده المؤمنين المتجنّبين للكفر بنوعَيه الإشراكِ بالله تعالى الذي هو عبادة غيره والكفر الذي ليس فيه إشراكٌ كتكذيب الرّسول والاستخفاف بالله تعالى أو برسوله مع توحيد الله تعالى وتنزيهه. ومما يدلّ على ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨] فالكفر بجميع أنواعه هو الذّنب الذي لا يغفره الله لمن استمرّ عليه إلى الموت وهو أقسام ثلاثة:

كفر اعتقادي ومكانه القلب كنفي صفة من صفات الله الواجبة له إجماعًا كنفي وجوده سبحانه أو تشبيهه بشيء من خلقه كوصفه بالجسم والجلوس والتحيز كما قال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «ومن وصَف الله بمعنًى من معاني البشر فقد كفر».

وكفر فعلي كإلقاء المصحف في القاذورات أو أوراق العلوم الشّرعيّة، أو ورقة عليها اسم من أسماء الله تعالى مع العلم بوجود الاسم فيها استخفافًا.

وكفر قولي كمن يشتم الله تعالى أو أنبياءه أو ملائكته، وكرمي المسلم بالكفر بلا سبب شرعي فقد قال رسول الله ﷺ: «**إذا قال الرّجل لأخيه يا كافرُ فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»[1] فقد حذّرنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث من أن نقول لمسلمٍ: يا كافرُ أو يا عدوَّ الله وأنّ من قال له ذلك بلا سبب شرعي فإنّه يعود عليه وبال هذه الكلمة[2] إ.هـ

عقيدة الإمام القطب الرفاعي
هي عقيدة أهل السنة والجماعة

وقال رضي الله عنه على كرسيه في أم عَبيدة يوم الجمعة سنة سبعين وخمسمائة وقد أحدق به أصحابه وأئمة العصر رضوان الله عليهم أجمعين: «طريقي عقيدة طاهرة، وسريرة عامرة، والإقبال على الله لوجه الله، بترك مطامع الدنيا والآخرة». فلما أتم مجلسه المبارك، قال له الشيخ يعقوب بن كراز: «سيدي لو كتبت لنا كتابا في العقيدة، نعول عليه، ويعول عليه أيضا مريدوك بعدك». فأجابه، وأمر بالدواة والقرطاس، وقال اكتبوا:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، ذي العرش المجيد، والبطش الشديد، الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد، والمسلك السديد، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد، بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد، السائق لهم إلى اتباع رسوله المصطفى ﷺ، واقتفاء صحبه الأكرمين، بالتأييد والتسديد، المتجلي[3] لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٦١٠٣.

(٢) من كتابنا حقيقة التصوف الإسلامي (ص٢٤-٤٣).

(٣) أي الذي ألهمهم معاني أسمائه، وصفاته، حتى عرفوه على ما يليق به، مع التعالي عن الحدوث والتحول من حال إلى حال، وعن مشابهة المخلوقين، لأنه تبارك وتعالى ظاهر بدلائل وجوده، وبقدرته، وحكمته، وعلمه كما قال القائل:

وفي كل شيء له ءاية تدل على أنه واحد

السمع وهو شهيد، المعرف إياهم أنه واحد لا شريك له، فرد لا مثيل له، صمد لا ضد له، متفرد لا ند له.

وأنه قديم لا أوّل له، أزليّ لا بداية له، مستمر الوجود لا ءاخر له، أبدي لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له، لم يزل موصوفا بنعوت الجلال، لا يُقضى عليه بالانقضاء، وتصرم الآمال، وانقراض الآجال، بل هو الأول والآخر، والظاهر والباطن.

وأنه ليس بجسم مصور، ولا جوهر محدود مقدر، وأنه لا يماثل الأجسام، لا في التقدير ولا في قبول الانقسام، وأنه ليس بجوهر، ولا تَحُلُّه الجواهر، ولا بعرض، ولا تَحُلّه الأعراض؛ لا يماثل موجودا، ولا يماثله موجود، ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء.

وأنه لا يحده المقدار، ولا تحويه الأقطار، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه السماوات، وأنه مستو على العرش، على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزها عن المماسة والاستقرار، والتمكن والتحول والانتقال، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته[1]، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود[2]، وهو أقرب إلى العبيد من حبل الوريد، فهو على كل شيء شهيد، إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام، كما لا يماثل ذاته ذات الأجسام.

وأنه لا يحل في شيء، ولا يحل فيه شيء، تعالى عن أن يحويه مكان، كما تقدس عن أن يحده زمان، بل كان قبل خلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان. وأنه بائن بصفاته عن خلقه، ليس في ذاته سواه، ولا في سواه ذاته[3].

---

(١) أي في تصرفه والله لا يوصف بالجارحة.

(٢) أي القرب المعنوي وليس الحسي لأن القرب الحسي محالٌ في حق الله.

(٣) أي أن ذاته ليس مؤلفا من أجزاء، كسائر الأجرام، فإن العرش وما دونه ذو أجزاء، والجزء الذي لا يتجزأ من نهاية القلة، هو أصل المخلوقات، المسمى عند الفلاسفة بالهيولى، فإنها تقول: الهيولى موجود لا كمية له، ولا كيفية. وقد كذبوا، وكما قال صاحب القاموس: إنهم وصفوا الهيولى بصفة

وأنه مقدس عن التغير والانتقال، لا تحله الحوادث، ولا تعتريه العوارض، بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال، وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال.

وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول، مرئي الذات بالأبصار، نعمة منه ولطفا بالأبرار، في دار القرار، وإتماما للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم.

وأنه حيٌّ قادر، جبار قاهر، لا يعتريه قصور ولا عجز، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعارضه فناء ولا موت.

وأنه ذو الملك والملكوت، والعزة والجبروت، له السلطان والقهر، والخلق والأمر، والسماوات مطويات بيمينه، والخلائق مقهورون في قبضته

البارئ، الله تعالى هو الذي لا كمية له ولا كيفية، ولا يكون أحد سواه كذلك، فيجب تنزيهه= = تعالى عن الاتصال والانفصال، لأن كلا من الاتصال والانفصال يوجب المماثلة لغيره، لأن الجرم لا يخلو أن يكون متصلا بغيره، أو منفصلا عنه، فوجب تنزيه الرب سبحانه وتعالى عن ذلك عملا بقوله تعالى (ليس كمثله شيء)، وقد ظن بعض لشدة غباوة عقولهم أن هذا تعطيل، ونفي لوجود الله، فيقال لهم: أليس كان الله موجودا قبل وجود العالم، وهل كان يوصف قبل وجود العالم باتصال بالعالم أو بانفصال عنه؟، فكما صح وجوده من غير اتصال بسواه، أو انفصال، قبل وجود العالم، يصح وجوده بعد وجود العالم، من غير اتصال أو انفصال عن العالم، وقد نص على ذلك جماعة من أهل المذاهب الأربعة كالإمام الكبير أحد أصحاب الوجوه في مذهب الإمام الشافعي المتولي، ثم تبعه النووي، وابن حجر الهيتمي؛ ومن المالكية الإمام العالم سيدي أبو عبد الله بن جلال، وبسط العبارة في ذلك بسطا شافيا، والعالم المشهور محمد بن أحمد بن محمد بن ميارة؛ والإمام الكبير أبو المعين النسفي، لسان الحنفية في علم العقيدة ومقدمهم، والقونوي الحنفي، شارح العقيدة الطحاوية؛ والإمام الحافظ عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي. وهذه العبارة هي معنى قول الإمام ذي النون المصري: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك». وفي طي هذه العبارة نفي الكمية عن الله، لأن بال الإنسان لا يتصور إلا ما له كمية، إن كانت لطيفة كالنور والظلام والريح؛ وإن كانت كثيفة كالجمادات والإنسان. والذي أهلك المشبهة المجسمة، هو قياسهم للخالق بالمخلوق، وحصرهم للوجود بما له كمية، فعندهم لا يصح الوجود إلا بالكمية، وذلك لأن الكمية توهم الحدوث، لأن تخصص الشيء مهما صغر، ومهما كبر بكمية لا بد من مخصص له بتلك الكمية، فبذلك عرفنا أن الشمس مع عظم نفعها لا تصلح للألوهية، لأن لها كمية، فتحتاج إلى من خصصها بهذه الكمية. وكذلك غيرها من الأجرام، قال تعالى (وكل شيء عنده بمقدار)، الرعد: ٨.

وأنه المتفرد بالخلق والاختراع، المتوحد بالإيجاد والإبداع، خلق الخلق وأعمالهم، وقدر أرزاقهم وءاجالهم، لا يشذ عنه مقدور، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل يعلم دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء. ويدرك حركة الذر في جو الهواء، ويعلم السر وأخفى، ويطلع على هواجس الضمائر، وخفيات السرائر، بعلم قديم أزلي، لم يزل موصوفا به في أزل الآزال، لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال.

وأنه مريد للكائنات، مدبر للحادثات، فلا يجري في الملك والملكوت قليل ولا كثير، صغير أو كبير، خير أو شر، نفع أو ضر، إيمان أو كفر، عرفانٌ أو نُكرٌ، فوز أو خسرٌ، زيادة أو نقصان، طاعة أو عصيان؛ إلا بقضائه وقدره، وحكمه ومشيئته، لفتة ناظر، لا فلتة خاطر؛ بل هو المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، لا راد لحكمه، ولا معقب لقضائه، ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته، ولا قوة له على طاعة إلا بمحبته وإرادته، ولو اجتمع الإنس والجن، والملائكة والشياطين، على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها، دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك.

وأن إرادته قائمة بذاته[1]، في جملة صفاته، لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في أزله، لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها، فوجدت في أوقاتها كما أراد في أزله، من غير تقدم ولا تأخر. بل وقعت على وفق علمه وإرادته، من غير تبدل ولا تغير، دبر الأمور لا بترتيب الأفكار، وتربص زمان، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن.

وأنه سميع بصير، يسمع ويرى، لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق، ولا يحجب سمعه بعد، ولا يدفع عن رؤيته ظلام، يرى من غير حدقة وأجفان، ويسمع من غير أصمخة وءاذان، كما يعلم بغير قلب، ويبطش بغير جارحة، ويخلق بغير ءالة، إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق، كما لا يشبه ذاته

---

(١) أي ثابتة له.

ذوات الخلق.

وأنه متكلم، ءامر ناه، واعد متوعد، بكلام أزلي قديم قائم بذاته، لا يشبه كلام الخلق، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء، واصطكاك أجرام، ولا بحرف يتقطع بإطباق شفة، أو تحريك لسان.

وأن القرءان والتوراة والإنجيل والزبور، كتبه المنزلة على رسله، وأن القرءان مقروء بالألسن، مكتوب في المصاحف، محفوظ في القلوب، وأن موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف، كما يرى الأبرار ذات الله من غير جوهر ولا عرض.

وإذا كانت له هذه الصفات، كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات.

وأنه لا موجود سواه إلا هو حادث بفعله، وفائض من عدله، على أحسن الوجوه وأكملها، وأتمها وأعدلها.

وأنه حكيم في أفعاله، عادل في أقضيته، لا يقاس عدله بعدل العباد، إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره، ولا يتصور الظلم من الله تعالى، فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما. فكل ما سواه من إنس وجن وشيطان وملك وسماء وأرض وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرَك ومحسوس وحادث، اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا، وأنشأه إنشاء، بعد أن لم يكن شيئا، إذ كان في الأزل موجودا وحده، ولم يكن معه غيره، فأحدث الخلق بعده، إظهارا للقدرة، وتحقيقا لما سبق من إرادته، ولما حق في الأزل من كلمته، لا لافتقاره إليه وحاجته.

وأنه متفضل بالخلق، والاختراع، والتكليف، لا عن وجوب، ومتطول بالإنعام والإصلاح، لا عن لزوم؛ فله الفضل والإحسان، والنعمة والامتنان، إذ كان قادرا أن يصب على عباده أنواع العذاب، ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب، ولو فعل ذلك لكان عدلا منه، ولم يكن قبحا ولا ظلما.

وأنه يثيب عباده على الطاعة بحكم الكرم والوعد، لا بحكم الاستحقاق واللزوم، إذ لا يجب عليه فعل، ولا يتصور منه ظلم، ولا يجب لأحد عليه حق.

وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على لسان أنبيائه، لا بمجرد العقل، ولكنه بعث الرسل، وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة، فبلغوا أمره ونهيه، ووعده ووعيده، فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به.

وأنه بعث النبيّ الأميّ القرشيّ محمدًا ﷺ، برسالته إلى كافة العرب والعجم، والجنّ والإنس، فنسخ شرعه الشرائع، إلا ما قدّره، وفضله على سائر الأنبياء، وجعله سيد البشر، ومنَعَ كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهي قول: لا إله إلا الله، ما لم تقرن بها شهادة الرسول، وهي محمدٌ رسول الله، وألزم الخلق بتصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمر الدنيا والآخرة.

وأنه لا يقبل إيمانُ عبد حتى يؤمن بما أخبر عن حصوله بعد الموت[1]، وأوله سؤال الملكين منكر ونكير، وهما شخصان مهيبان يقعدان العبد في قبره سويًا ذا روح وجسد، فيسألانه عن التوحيد والرسالة، ويقولان: من ربك وما دينك ومن نبيك؟، وهما فتاني القبر، وسؤالهما أول فتنة بعد الموت.

وأن يؤمن بعذاب القبر، وأنه حق، وحكمة وعدل، على الجسم والروح، كما يشاء.

وأن يؤمن بالميزان ذي الكفتين، واللسان، وصفته في العظم أنه مثل طباق السماوات والأرض، توزن فيه الأعمال بقدرة الله، وتتضح يومئذ مثاقيل الذر والخردل، تحقيقا لإتمام العدل، وتطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة، في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عنده بفضل الله، وتطرح صحائف السيئات في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى.

وأن يؤمن بأن الصراط حق، وهو جسر ممدود على متن جهنم، أحد من السيف،

---

(١) أي يؤمن بصدق النبي عليه الصلاة والسلام.

وأدق من الشعر، تزل عنه أقدام الكافرين بحكم الله، فتهوي بهم إلى النار؛ ويثبت عليه أقدام المؤمنين فيساقوا إلى دار القرار.

وأن يؤمن بالحوض المورود، حوض سيدنا محمد ﷺ، يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة، وبعد جواز الصراط، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا، عرضه مسيرة شهر، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، حوله أباريق عددها عدد نجوم السماء، فيه ميزابان يصبان من الكوثر.

ويؤمن بالحساب، وتفاوت الخلق فيه، إلى مناقَش في الحساب، وإلى مسامح فيه. وإلى من يدخل الجنة بغير حساب، وهم المقربون، فيسأل من يشاء من الأنبياء[1]، عن تبليغ الرسالة، ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين، ويسأل المبتدعة[2] عن السنة، ويسأل المسلمين عن الأعمال.

ويؤمن بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام، حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى.

ويؤمن بشفاعة الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الشهداء، ثم سائر المؤمنين، كل على حسب جاهه، ومنزلته عند الله. ومن بقي من المؤمنين، ولم يكن له شفيع، أخرج بفضل الله تعالى، فلا يُخَلّد في النار مؤمن، بل يخرج منها من كان في قلبه ذرة من إيمان.

وأن يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم، وأن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين. وأن يحسن الظن بجميع الصحابة[3]، ويثني عليهم، كما أثنى الله تعالى ورسوله عليهم.

---

(١) قوله «فيسأل من يشاء من الأنبياء»، فيه إيهام أنه لا يسأل جميعهم، قال الله تعالى ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٦]، فالآية فيها تعميم، أي أن كل نبي يسأل، هذا ظاهر القرءان، وهذا السؤال لإظهار شرف الأنبياء.

(٢) المراد بالمبتدعة، المبتدعة في الاعتقاد، وهم أصحاب الأهواء الذين تركوا عقيدة أهل السنة من الصحابة ومن اتبعهم، وأخذوا عقائد مخالفة لهم كعقيدة الخوارج والمعتزلة.

(٣) مراده بذلك أن كل واحد منهم فيه خير، وليس مراده أنهم كلهم أتقياء صالحون، بمرتبة واحدة،=

فكل ذلك ما رودت به الأخبار، وشهدت به الآثار. فمن اعتقد جميع ذلك موقنًا به، كان من أهل الحق، وعصابة السنة؛ وفارق رهط الضلال، وحزب البدعة، فنسأل الله تعالى كمال اليقين، والثبات في الدين، لنا ولكافة المسلمين، إنه أرحم الراحمين»[1] اهـ

قال رحمه الله: «أي أخي أما تنظر الطفل إذا ولد يبرز إلى الدنيا قابضًا كفه، حريصًا عليها، وإذا خرج يخرج باسطًا كفيه، معترفًا بفراغ يده من الأمر العارض الذي حرص عليه. كفى بالموت واعظًا، كفى بالموت واعظًا

أبكي ومثلي من يبكي إذا سبقت قوافـــل القوم أهل العلم والعمل

بكـــاء قوم للقيـــا الواهيـن به وإنني الخائف البـــاكي من الزلل إ.هـ

= وأنه لا يقع أحد منهم في ذنب، فقد صح في الحديث الذي رواه أحمد وابن حبان وغيرهما، أن رجلا من الصحابة لما مات وجدوا في شملته دينارين، فقال رسول الله ﷺ: «كيتان». وروى البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال في رجل غل شملة ثم أصابه سهم فقتله: «هي في النار». وقد ثبت أن منهم من شرب الخمر ثم أقيم عليه الحد. ومنهم من أقيم عليه حد الزنى. وروى البخاري أن النبي ﷺ قال: «**أنا فَرَطُكُم على الحوض ليرفعن إليّ رجال منكم حتى إذا أهويتُ لأناولهم اختلجوا دوني فأقول: أي رب أصحابي، يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك**». وكذلك الذين قاتلوا عليا رضي الله عنه، وخرجوا عن طاعته، فإنهم يدخلون تحت الحديث الذي رواه مسلم أن النبيّ ﷺ قال: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية**». وهذا ينطبق على معاوية ومن معه، قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ما نصه: «قوله، أي الرافعي، ثبت أن أهل الجمل وصفين والنهروان بغاة، هو كما قال، ويدل عليه حديث علي: «أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين» إ.هـ وروى الحافظ البيهقي في كتاب الاعتقاد بالإسناد المتصل إلى محمد بن إسحاق، يعني ابن خزيمة قال: «وكل من نازع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في إمارته فهو باغ، على هذا عهدت مشايخنا، وبه قال ابن إدريس – يعني الشافعي – رحمه الله». اهـ ويدل على ما ذكرنا الحديث الذي رواه البخاري «**ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**». فعمار رضي الله عنه كان مع علي داعيا إلى الجنة، والمقاتلون لعلي دعاة إلى النار. وروى البيهقي وابن أبي شيبة، أن عمار بن ياسر قال: «لا تقولوا كفر أهل الشام ولكن قولوا فسقوا أوظلموا». وقد ثبت أن معاوية قتل حجْرَ بن عدي، وهو من فضلاء وأولياء الصحابة، لأنه حصب الخطيب بالحصى، لأنه أطال في الخطبة، رواه الحاكم في المستدرك. وثبت أيضا أن معاوية كان يأمر بسب عليّ، رواه مسلم.

(١) الشيخ أحمد بن محمد بن خميس الحضرمي الرفاعيّ، الدرة السامية في معرفة فضائل سلوك الطريقة الرفاعية، ص٢٥-٣٥.

ونقل الثقات من أصحابه، أنه كان يقول: «التوحيد وجدان عظيم في القلب يمنع من التعطيل والتشبيه[1]»اهـ

ومما صح سنده، عن سيدنا ومفزعنا السيد أحمد رضي الله عنه، من مقام إعظام شأنه ﷺ، والتنبيه على علو منبر حكمته، ورفعة درجة إرشاده، وإلزام المرشدين باتباعه، رضوان الله عليهم أنه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد خلق الله محمد رسول الله وعلى الآل والأصحاب والأتباع والأحباب أجمعين. أما بعد، فإن أشرف ما تنعطف إليه الهمم، قرب القلب من الله تعالى، وذلك بدوام الذكر، وهو المعبر عنه بالحضور، وهذا سلم الولاية، والولاية أجلّ المعاريج، وأعظم المقامات، بعد النبوة؛ إذ لا سبيل للأولياء والصديقين، على مراتب الأنبياء والمرسلين، لأنها لا تحصل بالعمل قطعا، ومنزلة الولاية، منزلة الوهب، وتحصل بالعمل. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [سورة العنكبوت: ٦٩] والنبيّ الأعظم ﷺ قال: «**من عمل بما يعلم، ورثه الله علم ما لم يعلم**»[2]. ولا يصل العبد إلى مقام الولاية الكاملة إلا إذا كمل عقله، وعلت همته، وصح صدقه، وتم اتباعه في الأقوال والأفعال للنبيّ ﷺ، لأنّ مرتبة الولاية، ينوب صاحبها عن النبي في الأمة، ولا يعد الرجل عند أهل الكمال كاملا، إلا إذا بلغ عقله الإحاطة بجميع شبه الزنادقة، والملحدين، مع فهم غاية خبطها، وتمكن إيمانه من إهمالها ومحوها، وقدر على دفعها بسلطان الحجة الشرعية، وبرهان الحكمة المحمدية.

---

(١) أي أن الاعتقاد الصحيح في توحيد الله تعالى هو معرفة الله على ما يجب من غير تشبيه الله تعالى بالمخلوقات ومن غير تشبيه صفاته تعالى بصفات المخلوقات وفي الوقت نفسه من غير نفي صفات الله تعالى فالتوحيد هو اعتقاد أن الله سبحانه موجود لا يشبه الموجودات متصف بصفات الكمال اللائقة به من الحياة والعلم والقدرة والمشيئة وغيرها وأن كل صفة من صفاته سبحانه لا تشبه صفات الخلق بأي وجه من الوجوه أي لا كما فعل المشبهة الذين زعموا أن الله جسم مستقر على العرش أو فوق العرش والعياذ بالله تعالى ولا كما فعل المعتزلة الذين زعموا أن الله حي من غير حياة وعالم من غير علم وقادر من غير قدرة والعياذ بالله.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ج١٠ ص ١٤-١٥.

ولا يكمل حتى يبلغ الإحاطة بشؤونات اللصوص والسكارى والظلمة وقطاع الطريق وأهل الغدر والخدعة والدهاء والحيلة ومصادر حيلتهم ومنتهاها في مفازات أطوارهم من كل شكل ونوع مع التيقظ والمحاسبة للنفس مع كل نفس فلا يندلس فيها وصف من تلك الأوصاف الذميمة، وتكون له القدرة على تطهير تلك النفوس الأمارة المشوبة بهاتيك المصائب القاطعة لينوب عن نبيه في مقام الإرشاد المحض، فإنه ﷺ ما ترك خصلة ذميمة إلا وحذر الأمة منها، ولا ترك خصلة كريمة إلا وأمر الأمة باقتنائها.

ولا يكمل الرجل حتى يبلغ عقله الإحاطة بحكم المعائب كلها لينبه عنها، وبالمحاسن كلها ليقرب منها، بالحكمة السليمة، والموعظة الحسنة، عملا بقول الله تعالى لسيد خلقه عليه صلاة الله وسلامه ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ولا يكمل حتى يبلغ عقله الإحاطة بمذاهب أهل الدنيا، عاقبتهم وحكامهم، وتجارهم، والطبقة السفلى منهم، مع الزهد فهم في دنياهم، فلو صرّت له الدنيا بيضة، وجعلت ملكه، ثم سقطت منه فانكسرت، وذهبت وكأنها لم تكن، لا يعبأ بها، ولا يجزع لها، استغناء بالله، وإيمانا به، ويكون له الباع الرحب بالتخلص من ربقة الدنيا وأهلها؛ والحكمة الخالصة بتقريب المبعودين، ورد الشاردين، وإيقاظ الغافلين.

ولا يكمل حتى يبلغ عقله الإحاطة بالعوارض التي ترد على الناس، على اختلاف طبقاتهم، فيكون بما يُحْدِثه الغنى من الطغيان والتعزز، أدرى من أغنى الناس، وبما يُحْدِثه الفقر من الذل والمسكنة أدرى من أفقر الناس. وبما يحدثه المرض من ضيق الصدر وطالعة العجز أدرى من أكثر الناس مرضًا. وبما تحدثة العافية من العجب ودعوى القدرة أدرى من أزيد الناس عافية. وبكل عارض ونتيجته أدرى من خاصة أهله. هذا مع التجرد من عوارض الأكوان والأزمان لله تعالى، على الطريقة المحمدية الشرعية، فلا ينقض للشرع عهدا، ولا يتجاوز له حدا، ويكون له الهمة الصالحة، واللسان المؤيد،

فيجمع صنوف هذه الطبقات المذكورة على طريق الله، ويدل الجميع بحكمته على الله.

ولا يكمل حتى يبلغ عقله الإحاطة بمقادير الأشياء، جزئيها وكليها، من طريق الإجمال، فيعرف قدر الشيء عند راغبيه وطالبيه كمعرفته بقدره عند الراغبين عنه. والزاهدين به، لينظم حكمة الإرشاد بالموافقة مع حكمة الأمزجة. وعليه في كل ذلك أن لا ينحرف عن منهاج الشرع ذرة، لا في أقواله ولا أفعاله. فإذا استجمع الرجل هذه الأوصاف صار معدودا عندنا من أهل الكمال، وإلا فهو ناقص، وله من مائدة الولاية بقدر إحاطة عقله وبلوغ همته وتمكن قدمه من هذه الخصال المحمدية الشريفة.

وهذه الخصال جمع شتاتها سيد المخلوقين، أرواحنا لجنابه العظيم الفداء، بقوله بعثت بالمداراة، وأمرنا بمثلها، فقال ﷺ: «**كلموا الناس على قدر عقولهم**»[1]. وهذه الحكمة التي وعد عباده معها الخير، فقال تعالت قدرته: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وصاحب هذه المرتبة الرفيعة كالغيث أين وقع نفع. وتفاوت مراتب الواصلين والعارفين يدرك بهذا الميزان، وفي كل الأمور، الأمر لله ولا حول ولا قوة إلا بالله»[2]. إ.هـ

وروى الشيخ الفقيه الكبير شمس الدين محمد، مدرس المستنصرية ببغداد، عن أبيه الشيخ أبي الفرج، أنه سأل سيدنا ومولانا السيد أحمد الكبير رضي الله عنه، عن أهل البدع من الباطنية والملحدين والقدرية، والذين يقذفون أم المؤمنين سيدتنا عائشة الصديقة، ويشتمون الصحابة رضوان الله عليهم، فقال: «أي سادة، انفروا عنهم، ولا تجالسوهم، ولا ترافقوهم، ولا تصاحبوهم، ولا تعاشروهم، ولا تؤاكلوهم؛ فإنهم يهود هذه الأمة، كفروا بالله، وأظهروا الإسلام على ألسنتهم، وكذبوا بالقرءان، وسبوا أهل الإيمان. فلا تزوجوهم، ولا تصاهروهم، من زوج ابنته بمبتدع، فكأنما أخرجها لغير طاعة الله تعالى، وتغشاه اللعنة. ومن قربهم أو قرب أحدا منهم، فهو مأخوذ مع

---

(١) رواه الديلمي بسند ضعيف بلفظ أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم.

(٢) عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، ص١٧-١٨.

الله تعالى بفعله، فإنهم لا يحل نكاحهم، ولا عشرتهم، هؤلاء أنكروا القضاء والقدر، وجعلوا الخير والشر نصفين، نصفه بيد الله، ونصفه بيد الشيطان، فجعلوا لله شريكا، وهو إبليس، جعلوا حكمه كحكم الله سبحانه وتعالى. وقالوا: الخير من الله، والشر من الشيطان. فهؤلاء جعلوا لله شريكا من خلقه. وإياكم، ثم إياكم وصحبتهم،فإنهم يغوونكم، ويضلونكم، حتى يخرجونكم من دينكم، لكذبهم وتحيلاتهم، فاحذروهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون»[1]. إ.هـ

وكتب سيدنا أحمد رضي الله عنه، لسبطه السيد إبراهيم، تحفة فيها من شرف التوسل بالنبي ﷺ، ومن الحكم الرائقة، والإرشاد الحسن: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه اجمعين. من عبد الله الفقير إلى الله أحمد بن أبي الحسن عليّ الرفاعيّ الحسينيّ، غفر الله له ولوالديه وللمسلمين، إلى سبطه ولده أبي إسحاق إبراهيم الأعزب فتح الله له أبواب القبول والتوفيق، ءامين.

استدر لك فيض الوهب المطلق، واستمطر لك سماء الكرم الأعم المحقق، وأسأل الله تعالى لي ولك وللمسلمين حسن البداية، والخاتمة بداية المخلصين، وخاتمة الناجين، وأتحفك أي ولدي، تحفة سنية، تصلح بها إن شاء الله أمر دينك ودنياك، وتكفي بعدتها، شر من عاداك، وتندرج ببركتها في سلك الخاصة، أهل المخدع، الذين ارتفعوا عن مخالطة عامة الطائفة، سلام الله عليهم. فانتهض لحفظ هذه التحفة، واعرف قدرها، ولا تكتمها عن إخوانك، واعمل بها، تنجح وتسعد، وتربح، وتؤيد، والله الموفق المعين.

أي إبراهيم، لا تعمل بالهوى، وعليك بمتابعة النبيّ ﷺ، في الأقوال والأفعال، فإن كل طريقة خالفت الشريعة، زندقة. أي إبراهيم، الفت وجهة قلبك عن غير ربك، فإن الأغيار لا يضرون، ولا ينفعون، وقل: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [سورة الأعراف]. وحسبك من النعم الإيمان، ومن العطايا العافية، ومن

(١) عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، ص٢٩.

التحف العقل، ومن الإلهام التقوى، وفي الكل ليس لك من الأمر شيء، إن ربي على ما يشاء قدير.

لا تسقط بالتسليم جملة التكليف، ولا تنزع بالتكليف ثوب التسليم، ولا تركن إلى الذين ظلموا، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [سورة الإسراء: ٣٦]، ولا تهرع في مهمات أمورك، إلا إلى الله تعالى، وابتغ الوسيلة إليه، بعد التقوى أشرف الوسائل، حبيبه عليه أفضل الصلاة والسلام، وخذ الدعاء درعا، والاعتماد على الله حصنا، واتبع ولا تبتدع، وروح قلبك بالحسن من المباحات القولية، والفعلية؛ والزم الأدب مع الله، وخالق الناس بخلق حسن، ولا تقطع حبلك برؤية نفسك، فإن من رأى نفسه شيئا، ليس على شيء.

ولا تنحرف عن مقام العبودية، فإن بعده مقام العبدية، أجل المقامات، قال قوم: يعلو مقام المحبوبية عليه. وما عرفوه أنه هو لا غيره، وظنوا أن مقام المحبوبية، مقام أهل التدلل والقول والدعوى العريضة والترفع والتعزز، واستدلوا بهذه الوصاف. كلا، لو كان كان ذلك لا تصف بمثل تلك الأوصاف عبد الله رسولنا محمد سيد المحبوبين عليه الصلاة والسلام، أفلا أكون عبد شكورا، فعرفوا عظمة القادر العظيم، الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ووقفوا على طريق الأدب، إن أحسن إليهم شكروه، وإن امتحنهم صبروا وانقطعوا عن الأغيار إليه بخالص العبدية»[1] إ.هـ

وكان يقول: «إياكم والفرح بالشهرة وكثرة المعتقدين والمحبين، فكم طيرت طقطقة النعال حول الرجال من رأس وكم أذهبت من دين» إ.هـ

وقال رضي الله عنه: «أي سادة، تفرقت الطوائف شيعًا، وحميّد بقي مع أهل الذل والانكسار، والمسكنة والاضطرار، إياكم والكذب على الله، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام:٢١]. ينقلون عن الحلاج أنه قال: أنا الحق. أخطأ بوهمه، لوكان على الحق، ما قال: أنا الحق. يذكرون له شعرا يوهم الوحدة، كل ذلك ومثله باطل، ما

(١) عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، ص٢١.

أراه رجلا واصلا أبدا، ما أراه شرب، ما أراه حضر، ما أراه سمع، إلا رنة أو طنينا، فأخذه الوهم، من حال إلى حال، من ازداد قربا ولم يزدد خوفا، فهو ممكور. إياكم والقول بهذه الأقاويل، إن هي إلا أباطيل، درج السلف على الحدود بلا تجاوز. بالله عليكم، هل يتجاوز الحد إلا الجاهل، هل يدوس عنوة في الجب إلا الأعمى، ما هذا التطاول، وذلك المتطاول، ساقط بالعناء، أين هذا التطاول من صدمة صوت ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ ١٦﴾ [سورة غافر]، العبد متى تجاوز حده مع إخوانه، يعد في الحضرة ناقصا، التجاوز عَلَم نقص ينشر على رأس صاحبه، يشهد عليه بالدعوى، يشهد عليه بالغفلة، يشهد عليه بالزهو، يشهد عليه بالحجاب. يتحدث القوم بالنعم، لكن مع ملاحظة الحدود الشرعية، في كل قول وفعل، الولاية ليست بفرعونية، ولا بنمرودية. قال فرعون أنا ربكم الأعلى، وقال قائد الأولياء وسيد الأنبياء ﷺ (لست بملك)، نزع ثوب التعالي والأمرة، والفوقية؛ كيف يتجرأ على ذلك العارفون، والله يقول ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩﴾ [سورة يس]. وصف الافتقار إلى الله، وصف المؤمنين، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ ١٥﴾ [سورة فاطر]. هذا الذي أقوله، فإن جذبات الرحمن[1] في هذا الزمان قلت، اصرفوا الشكوى إلى الله في كل أمر، العاقل لا يشكو لا إلى ملك، ولا إلى سلطان، العاقل كل أعماله لله»[2] إ.هـ

وكتب رضي الله عنه كتابًا[3] إلى الشيخ الأجلّ عبد السميع الهاشميّ الواسطيّ قدس سره يوصيه به، قال فيه: «من صمّ أسماعه عن أصوات الأغيار سمع نداء ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ ١٦﴾[4]، فنزل عن فرس كذبه وعجبه وأنانيته وحوله وقوته

---

(١) معناه الذين وفقهم إلى أن انجذبت قلوبهم بمحبته ولذة الانشغال بعبادته وليس معناه أنه لا يوجد منهم من أهل تلك الطبقة إنما معناه يقل.

(٢) عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، ص١٠-١١.

(٣) وهو الكتاب المعروف بالحكم الرفاعية.

(٤) غافر: ١٦.

ووحدته، وانقهر في مقام عبوديته، إياك أن تقول بالوحدة[1] التي خاض بها بعض المتصوفة. إياك والشطح فإن الحجاب بالذنوب، أولى من الحجاب بالكفر[2] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[3]. إذا رأيت الرجل يطير في الهواء فلا تعتبره حتى تزن أقواله وأفعاله بميزان الشرع. إياك والإنكار على الطائفة في كل قول أو فعل سلم لهم أحوالهم إلا إذا ردّها الشرع فكن معه. التكلم بالحقائق قبل هجر الخلائق من شهوات النفوس. من عدل عن الحق إلى الباطل تبعا لهوى نفسه فهو من الضلال بمكان، والزهد أول القاصدين إلى الله عز وجل» إ.هـ

وقال رضي الله عنه: «أي سادة، من أحب الله علم نفسه التواضع، وقطع عنها علائق الدنيا، وءاثر الله تعالى على جميع أحواله، واشتغل بذكره، ولم يترك لنفسه رغبة فيما سوى الله تعالى، وقام بعبادته بحقائق الأسرار، وخلع المنابر والأسرة تواضعا لله، وإن كانت يده طائلة إلى مثل ذلك، وكان كمن قيل فيه:

ترك المنـــابر والسرير تواضعا ... وله منابر لو يشـــاء وسرير

ولغيـــره يجبى الخراج وإنمـــا ... يجبى إليـــــه محامد وأجور

أي سادة، العبدية حقها الانقطاع عن غير السيد بالكلية، العبدية ترك كل كلية وجزئية، العبدية رد القصد عن طلب كل مزية، العبدية عدم رؤيا العبد لنفسه على إخوانه رفعة أو فوقية، العبدية الوقوف عند ما حُدَّ للطينة الآدمية، العبدية الخشية والخضوع، لا يكون العبد عبدا كاملا حتى يصل إلى مرتبة الحرية، والتخلص من رق الأغيار بالكلية إ.هـ

---

(١) أي إياك والقول بأن الخالق والمخلوق واحد وأن العالم هو الله كما يقول بعض الملاحدة.

(٢) أي أن احتجاب الشخص عن المراتب العالية بسبب ذنوبه أخف بكثير من أن يحرم رحمة الله في الآخرة ويحرم نعيمه المقيم ليخلد في العذاب المهين بسبب موته على الكفر باعتقاده كلمة شطح قالها قائل وتعدى بها الحد ووصل إلى دركات الكفر.

(٣) النساء: ٤٨.

ومن أقواله: «أي سادة، الزهد أول قدم القاصدين الى الله عزّ وجلّ، وأساسه التقوى، وخوف الله رأس الحكمة، وجماع كل ذلك حسن متابعة إمام الأرواح والأشباح، السيد المكرم، رسول الله ﷺ وأول طريق المتابعة حسن القدوة عملا بحديث «**إنما الأعمال بالنيات**» رواه مسلم. ألا ترون أن رسول الله ﷺ كيف قال لرجل، قال له يارسول الله: رجل يريد الجهاد وهو يبتغي عرضا من الدنيا، فقال له رسول الله ﷺ «**لا أجر له**». فأعظم ذلك الناس، فقالوا للرجل: عد لرسول الله ﷺ فلعلك لم تفهمه، فقال الرجل يارسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله، وهو يبتغي من عرض الدنيا فقال: «**لا أجر له**»[1]. فمن هذا ومثله علمنا أن نتائج العمل تحسن وتقبح بالنية فعاملوا الله بحسن النيات، واتقوه في الحركات والسكنات، وصونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة، لأن ذلك من أصول الكفر قال تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۝٧﴾[2]. والواجب عليكم وعلى المكلف في المتشابه الإيمان بأنه من عند الله، أنزله على عبده سيدنا رسول الله ﷺ وما كلفنا سبحانه وتعالى تفصيل علم تأويله قال جلت عظمته ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ۝٧﴾[3].

فسبيل المتقين من السلف تنزيه الله تعالى عما دل عليه ظاهرهٌ وتفويض معناه المراد منه إلى الحق تعالى وتقدس، وبهذا سلامة الدين. سئل بعض العارفين عن الخالق تقدست أسماؤه فقال للسائل: إن سألت عن ذاته، فليس كمثله شيء، وإن سألت عن صفاته، فهو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وإن سألت عن اسمه ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢﴾[4]، وقد جمع إمامنا الشافعي رضي الله عنه جميع ما قيل في التوحيد بقوله: «من انتهض

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم وصححه.

(٢) سورة ءال عمران: الآية ٧.

(٣) سورة ءال عمران: الآية ٧.

(٤) سورة الحشر: الآية ٢٢.

لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه وإن إطمأن إلى العدم الصرف فهو معطل وإن اطمأن لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد»[1] إ.هـ.

ومن أقواله أيضًا: «أي سادة، نزّهوا الله عن سمات المحدثين، وصفات المخلوقين وطهّروا عقائدكم من تفسير معنى الاستواء في حقّه تعالى بالاستقرار، كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول، تعالى الله عن ذلك وإيّاكم والقول بالفوقية والسفلية، والمكان واليد والعين بالجارحة، والنزول بالاتيان والانتقال فإن كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يدل ظاهره على ما ذكر، فقد جاء في الكتاب والسنة مثله مما يؤيد المقصود فما بقي إلا ما قاله صلحاء السلف: وهو الإيمان بظاهر كل ذلك وردّ علم المراد إلى الله ورسوله، مع تنزيه الباري تعالى عن الكيف وسمات الحدوث وعلى ذلك درج الأئمة وكل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى ورسوله ولكم حمل المتشابه على ما يوافق أصل المحكم لأنه اصل الكتاب والمتشابه لا يعارض المحكم. سأل رجل الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه عن قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[2]، فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعًا، وأمر به أن يخرج (وهذه الرواية التي ثبتت كما رواها البيهقي). وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه لما سئل عن ذلك: آمنت بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك. وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: من قال لا أعرف الله أفي السماء هو أم في الأرض؟ فقد كفر لأن هذا القول يوهم أنّ للحق مكانًا، ومن توهم أنّ للحقّ مكانًا فهو مشبه. (وهنا نحذر وننبه من الدس والتحريف والتدليس والتلبيس الذي وقعت فيه المجسمة المشبهة وكذبت وافترت على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، إذ نقل العلماء عنه تكفيره لمن نسب

(١) البرهان المؤيد، ص١٨.

(٢) سورة طه: الآية ٥.

لله المكان، أما المجسمة فحرفوا وغيروا المعنى وزعموا أن مراد الإمام أبي حنيفة على حسب أهوائهم التي هي إثبات المكان لله وتكفيرهم لمن ينزه الله عن المكان، في حين أنهم ألفوا كتابًا سمّوه «السنة» المنسوب كذبًا إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل، فيه يكفرون الإمام أبا حنيفة، فكيف يكفرونه هنا بينما يحرفون كلامه داسين عليه ومزورين ومستشهدين بتزويرهم وكذبهم على أبي حنيفة زورًا وبهتانًا؟!

قال الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الحنفي السمرقندي (٣٣٣هـ) في كتابه «شرح الفقه الأكبر»[١] للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه: «قال أبو حنيفة: (من قال لا أعرف الله أفي السماء أم في الأرض فقد كفر) لأنه بهذا القول يوهم أن يكون له مكان فكان مشركًا. قال الله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ فإن قال (أقول بهذه الآية ولكن لا أدري أين العرش في السماء أم في الأرض) فقد كفر أيضًا، وهذا يرجع إلى المعنى الأول في الحقيقة لأنه إذا قال (لا أدري أن العرش في السماء أم في الأرض) فكأنه قال (لا أدري أن الله تعالى في السماء أم في الأرض) (أي جوز على الله أن يكون في جهة من الجهات وهو كفر)اهـ. وكلام أبي الليث هذا، موجود في المخطوطة ص ٨١ في المكتبة السليمانية – اسطنبول – تركيا.

وقال الشيخ العز بن عبد السلام الشافعي (٦٦٠هـ) في كتابه «حل الرموز»[٢]، في بيان مراد أبي حنيفة ما نصه: «وقال أبو حنيفة: (من قال لا أعرف الله أفي السماء هو أم في الأرض هو، فقد كفر)، لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانًا، ومن توهم أن للحق مكانًا فهو مشبه» إ.هـ ، وأيد ملا علي القاري كلام ابن عبد السلام كما في «غوث العباد ببيان الرشاد»[٣] للشيخ مصطفى أبو السيف الحمامي خطيب المسجد الزينبي سابقًا في القاهرة، بقوله: «ولا شك أن ابن عبد السلام من أجل العلماء وأوثقهم،

---

(١) شرح الفقه الأكبر لأبي الليث السمرقندي طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر، ص٢٥.

(٢) حل الرموز للعز بن عبد السلم المكتبة الأزهرية للتراث ص٧٥.

(٣) غوث العباد ببيان الرشاد للشيخ مصطفي الحمامي طبع شركة بوغكول إنداة ص٩٩-١٠٠

فيجب الاعتماد على نقله لا على ما نقله الشارح شارح عقيدة الطحاوي (أي المجسم الذي تبع ابن تيمية وهو ابن أبي العز الحنفي الذي تستشهد المجسمة بكلامه) «مع أن أبا مطيع رجل وضاع عند أهل الحديث كما صرح به غير واحد- هذا كلام العلامة ملا علي القاري. ومنه يعلم أمور: الأمر الأول: أن تلك المقالة ليست في الفقه الأكبر، وإنما نقلها عن أبي حنيفة ناقل، فيكون إسنادها إلى الفقه الأكبر كذبًا يراد به ترويج البدعة. الأمر الثاني: أن هذا الناقل مطعون فيه بأنه وضاع لا يحل الاعتماد عليه في نقل يبنى عليه حكم فرعي فضلا عن أصلي فالاعتماد عليه وحاله ماذكر خيانة يريد الرجل بها أن يروج بدعته.

الأمر الثالث: أن هذا النقل[1] صرح به إمام ثقة هو ابن عبد السلام بما يكذبه[2] عن أبي حنيفة بالنقل الذي نقله عن هذا الإمام الأعظم رضي الله عنه، فاعتماد الكذاب وإغفال الثقة خيانة يراد به تأييد بدعته وهي جرائم تكفي واحدة منها فقط لأن تسقط الرجل من عداد العدول العاديين لا أقول من عداد العلماء أو أكابر العلماء أو الأئمة المجتهدين، ويعظم الأمر إذا علمنا أن الخيانات الثلاث في نقل واحد وهو مما يرغم الناظر في كلام هذا الرجل على أن لا يثق بنقل واحد ينقله فإنه لا فرق بين نقل ونقل، فإذا ثبت خيانته في هذا جاز أن تثبت في غيره وغيره» إ.هـ

وقال المحدث محمد زاهد الكوثري في تعليقه على الفقه الأبسط لأبي حنيفة[3]: «لم يذكر في المتن وجه كفره فبينه الشارح أبو الليث السمرقندي بقوله (لأنه بهذا القول يوهم أن يكون له تعالى مكان فكان مشركًا). ويدل على ذلك ما سيجيء في المتن: قلت: أرأيت لو قيل أين الله، يقال له: كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء يعني لا تتصور

---

(١) وهو قول بن عبد السلام.

(٢) يكذب قول أبي مطيع الكذاب.

(٣) الفقه الأبسط بتحقيق الكوثري دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ص٦٠٧.

الأينية إلا في الحادث. ومما يدل على ذلك أيضاً قول الطحاوي في كتابه بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله»: «ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه، فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية، تعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات». وهذا جلي واضح مستغن عن الإيضاح». ثم قال ص٦٠٨: «قال أبو حنيفة: من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر، لأن الله تعالى قال (الرحمن على العرش استوى)، فإن قال أنه على العرش استوى، ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض، قال هو كافر لأنه أنكر كون العرش في السماء لأن العرش في أعلى عليين) ولا وجود لهذين التعليلين في رواية أبي الليث وغيرهما من أصحابنا كما سبق، على أنه ليس فيهما إثبات مكان له تعالى وإنما فيهما إثبات استوائه تعالى على العرش استواء يليق بجلاله كما هو معتقد أهل الحق، وأنى ذلك من إثبات الاستقرار المكاني له تعالى على العرش؟! وذلك القائل جوّز إثبات المكان له تعالى فأخذ يتحرى مكانًا له في السماء والأرض. وهذا جهل بالله وكفر به عند أبي حنيفة» إ.هـ

وأما المجسمة فقد قالوا في دسِّهم وتحريفهم وكذبهم على الإمام أبي حنيفة، ما ذكره حبيبهم المجسم علي بن أبي العز الدمشقي الحنفي (٧٩٢هـ) في كتابه «شرح العقيدة الطحاوية» وعلى زعمهم بتحقيق عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط[١]، بعد إيراده لقول الإمام أبي حنيفة، وما ذكره أيضًا شيخهم المجسم الألباني في كتابه «شرح العقيدة الطحاوية»[٢]، حيث قالا: «وعرشه فوق سبع سماوات». ثم قالا: «لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء، فقد كفر. وزاد غيره: لأن الله في أعلى عليين، وهو يُدعى من أعلى لا من أسفل. ولا يُلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب

---

(١) مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ص٢٧٩.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية بتحقيق عبد الله التركي وشعيب الأرناؤط دار الفكر العربي ص٢٦٢-٢٦٣

أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف من المعتزلة وغيرهم، مخالفون له في كثير من اعتقاداته» إ.هـ

فانظر أخي المسلم، كيف أن المجسمة بقولهم «ولا يُلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة فقد انتسب إليه طوائف من المعتزلة»، كيف أنهم يُكفِّرون السمرقندي والعز بن عبد السلام وملا علي القاري لمخالفتهم المجسمة ولقولهم بقول أهل الحق الذي هو تكفيرمن يثبت الجهة للّٰه أو يصفه بالجسمية.

واللّٰه تعالى فضح المجسمة المشبهة وبيّن دسَّهم وتدليسَهم وكذبَهم على الإمام أبي حنيفة من كتبهم وبأيديهم، فقد طبعت الوهابية كتاب «وصية الإمام أبي حنيفة النعمان»[1]، فيه وضعوا نسخة من المخطوطة (أ) ص١٧ للإمام أبي حنيفة رضي اللّٰه عنه، حيث يقول الحق: «ونقر بأن اللّٰه تعالى استوى على العرش من غير أن يكون له حاجة واستقرار عليه» إ.هـ بينما في نفس الكتاب وبطباعتهم المنسوبة إلى المخطوطة، ص٣٩ يقولون: «واستقرَّ عليه»!!!

فيا لفضيحتهم، لاحظ تحريف المجسمة بأيديهم ومن كتبهم، على الإمام أبي حنيفة رضي اللّٰه عنه.

وقد نقل ملا علي القاري الحنفي في كتابه «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»[2] الإجماع على تكفير من نسب للّٰه المكان، بعد ذكر مذهب السلف والخلف، ما نصه: «يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك مما يُفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يُحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره». ثم قال ص١٣٧: «بل قال جمع معهم – أي مع السلف –

(١) وصية الإمام أبي حنيفة دار ابن حزم، تحقيق وتعليق أبي معاذ محمد بن عبد الحي عوينة.

(٢) المرقاة شرح المشكاة طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت، الجزء الثاني ص١٣٦

ومن الخلف أن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي وقال إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني» إ.هـ

فيتبين مما تقدم أن عقيدة السلف والخلف من الصحابة ومن بعدهم كالأئمة الأربعة أن الله تعالى موجود بلا جهة ولا مكان ليس جسما ولا يتصف بصفات الجسم وأن من خالف في ذلك فهو كافر بالإجماع كما نقله ملا علي القاري وقد مرَّ آنفًا ويتبين أيضًا أنّ ما عليه الفقيه الشافعي العز بن عبد السلام تكفير من يثبت الجهة والمكان لله كما مرَّ من كتابه «حلُّ الرموز» فيما نقله عن أبي حنيفة وأكّده هو بقوله: «لأن من توهم أن للحق مكانًا فهو مشبه وهو موافق لقول أبي حنيفة أنه كافر ولقول السمرقندي أنه مشرك فلاحظ أيها المنصف إلى أقوالهم جميعًا في تسمية من ينسب لله المكان بالكافر والمشرك والمشبه وهذا يؤكد أن العز بن عبد السلام على ما نقله هو عن أبي حنيفة من تكفير مثبت الجهة لله تعالى ولا يجزم بما في بعض كتبه من عدم تكفير مثبت الجهة والجسمية لله فإنه مخالف لنصوص أئمة الاجتهاد الأربعة والإجماع الذي مرَّ نقله ونحن نبرئه من ذلك ونقول لعله دسّ عليه في كتبه كما دسَّ على الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتبه وعلى الشيخ محيي الدين بن عربي قبلهما.)

ثم قال إمامنا الرفاعي رضي الله عنه وسئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن الاستواء فقال: استوى كما أخبر، لا كما يخطر للبشر. وقال الإمام ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: من زعم أن الله على شيء أو في شيء، أو من شيء، فقد أشرك إذ لو كان على شيء لكان محمولًا ولو كان في شيء لكان محصورًا ولو كان من شيء لكان محدثًا»[1]. إ.هـ

(١) البرهان المؤيد، ص١٩.

الإمام الرفاعي والسادة الرفاعية
حربٌ على عقيدة الحلول والإتحاد

قال سيدنا وإمامنا ومولانا أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه في كتابه الحكم: لفظتان ثُلمتان في الدين القول بالوحدة والشطح المجاوز حد التحدث بالنعمة[1] إ.هـ.

وقال رضي الله عنه: ما ثمَّ اتصال ولا حلول، ولا انتقال، ولا حركة، ولا زوال، ولا مماسة، ولا مجاوزة، ولا محاذاة، ولا مقابلة، ولا مماثلة، ولا مجانسة، ولا ،تجسد، ولا تصور، ولا انفعال، ولا سكون، ولا تغير، وغاية الاستدلال العقلي الوصول إلى أنه موجود لا يشبه الموجودات وهذا هو النظر الصحيح أهـ من كتاب المجالس الرفاعية. إ.هـ

وقال رضي الله عنه وأرضاه: أصموا أسماعكم عن علم الوحدة وعلم الفلسفة وما شاكلهما فإن هذه العلوم مزالق الأقدام إلى النار. إ.هـ

وقال الفقيه المحدث الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي في كتابه أسرار الشريعة: من الكفر أن يعتقد أن الله يشبه شيئا من خلقه كالذين يعتقدون أن الله تعالى جسم فوق العرش أو يعتقدون أن له يدين بمعنى الجارحتين وأن له الصورة الفلانية أو على الكيفية الفلانية أو أنه نور يتصوره العقل أو أنه في السماء أو في جهة من الجهات الست أو أنه في مكان من الأماكن أو في جميع الأماكن أو أنه ملءَ السماوات والأرض أو أنه له الحلول في شيء من الأشياء أو في جميع الأشياء أو أنه متحد بشيء من الأشياء أو بجميع الأشياء أو أن الأشياء منحلة منه أو شيء منها وجميع ذلك كفر صريح والعياذ بالله وسببه الجهل بمعرفة الأمر على ما هو عليه إ.هـ ص١٩٠، وقال في ص١٩٥ كفر أصحاب الحلول والانحلال القائلين بأن الله تعالى حال في عالم الأجسام أو حال في عالم الأرواح أو شيء من ذلك حال فيه أو شيء من ذلك منحلٌ منه أو هو منحل من شيء من ذلك. إ.هـ

---

(١) الحكم ص١٣. دار الكتاب النفيس الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

وقال الحافظ السيوطي في كتابه الحاوي ص٣٠٩: يقطع بتكفير القائلين بالحلول إجماعًا. إ.هـ

قال السيوطي قال القاضي أبو الحسن الماوردي: ولا ينفع التنزيه مع القول بالإتحاد والحلول فإن دعوى التنزيه مع ذلك إلحاد وكيف يصح التوحيد مع اعتقاد أنه سبحانه حلَّ في البشر. إ.هـ

وقال السيوطي قال القاضي عياض: أجمع المسلمون على كفر أصحاب الحلول. إ.هـ

براءة الصوفية الصادقين من عقيدة أهل الوحدة والحلول المارقين وتبرئة الشيخ محيي الدين بن العربي والقطب الجيلاني من أباطيل الكاذبين

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة الأنعام]. ويقول النبي ﷺ: «**إن كذبا عليَّ ليس ككذب على أحد**». رواه البخاري. اعلم ثبتك الله على الحق أن الغلو في الدين ممنوع، والغلو مجاوزة الحد، ومن الغلو ما هو كفر وخروج عن الملة المحمدية كادعاء بعضهم أنه لا يحصل شيء في العالم إلا بتصرف الشيخ نعوذ بالله من الكفر. واعلم أن الانحراف عن الإسلام بدعوى التصوف غير مقبول، وقد رفضه أشياخ هذه الطائفة الكريمة، فقد حذروا مرارا وتكرارا من المنحرفين القائلين بوحدة الوجود والقائلين بالحلول والمغالين في المشايخ إلى حد مخالفة الشرع الحنيف. وقد ابتليت طوائف من الناس بعقائد فاسدة مضلة ليست من الإسلام في شيء، ودخلت باسم الدين ليهون على أصحابها المارقين التلبيس على الأمة في عقائدها، ومن أخطر هذه الفئات القبيحة بكفر طائفة استفحل شرها تدَّعي أنها صوفية وتسمي نفسها بطائفة التصوف الإسلامي وما أبعدها عن التصوف، وما أبعدها عن الإسلام وهم أهل الحلول والوحدة المطلقة.

وذلك لأن عقيدة السادة الصوفية الحقيقيين الصادقين غير المدعين المارقين هي التمسك بعقيدة المسلمين والأمر بالواجبات واجتناب المحرمات والتزام نهج الصالحين وعدم التعلق بالدنيا والإقبال بهمة على الآخرة واتباع مسلك الزاهدين. وإنه يحزّ في أنفسنا ما نرى وما نسمع من أدعياء التصوف الذين شوهوا سمعة الطرق الصوفية، وادعائهم الولاية والمقامات والأحوال ودرجة القطبية والإرشاد، وافترائهم على المشايخ الأجلاء، بكلام جُلُّه افتراء، كافترائهم على الشيخ محيي الدين ابن عربي والشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ أبي يزيد البسطامي وغيرهم من أئمة الدين وأعلام المسلمين وسادة الصوفية الصادقين، والكثير من هؤلاء الأدعياء ارتدوا عن الدين لزندقتهم وانغماسهم في مستنقع القول بالحلول والزندقة ووحدة الوجود المطلقة التي حاربها السادة الصوفية وأعلنوا براءتهم ممن يقول بها وفي هذا يقول السيد الشريف أحمد الرفاعي الكبير: «كل طريقة خالفت الشريعة فهي زندقة» إ.هـ فلا يغرنك كل مدَّع للتصوف والطريقة وهو يقول بالحلول والوحدة المطلقة فهو زنديق على الحقيقة لما في فعله من ضرر على نفسه وعلى الخليقة. واعلم أن كثيرا من الناس يذمون طرق الصوفية جهلا وتعنتا فلا أولئك نجوا[1] ولا هؤلاء أنفوا[2] إنما يذم من حاد عن الشريعة واتخذ الباطل وهواه سبلا. وإننا نذكر في هذا الموضع ما ورد نسبته إلى بعض الأكابر من الافتراءات مما لا يليق بهم ولا بأمثالهم مع بيان فساد معتقد مدعي التصوف القائلين بالحلول والوحدة المطلقة. كذلك التنبيه والتحذير من بعض ما افتراه هؤلاء على أهل التصوف من أقوال وأفعال مخالفة لمنهج القوم الموافق لطريق السنة المخالف للبدعة. وقال الشيخ أحمد الرفاعي: «لفظتان ثلمتان في الدين القول بالوحدة، والشطح المجاوز لحدّ التحدث بالنعمة» إ.هـ

(١) أي جهلة المتصوفة.

(٢) أي لم يتركوا الطعن بالتصوف الحقيقي.

افتراؤهم على الشيخ عبد القادر الجيلاني

فمما افتروه على الشيخ الكبير والعالم النحرير والقطب الشهير الباز الأشهب سيدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ما يلي: ما ورد في قصيدة عبد الكريم الجيلي التي رويّها «العين المضمومة» ومن جملتها: قطعت الورى من نفس ذاتك قطعة ... وما أنت مقطوع ولا أنت قاطع فانه لفظ لا يجوز إطلاقه على الله تعالى مطلقا بل هو كفر وضلال. وما يجب التحذير منه كتاب «الإنسان الكامل» المنسوب لعبد الكريم الجيلي، ومنظومة تسمى «العينية» تقع في ثمانمائة بيت فيها كلام صريح بالكفر كهذه الأبيات: وما الكون في التمثال إلا كثلجة ... وأنت لها الماء الذي فيه نابع وما الكون في التحقيق غيرا لمائه ... وغيران في حكم دعته الشرائع ففي البيت الأول حلول أي أن الله بزعمه حال في العالم حلول ماء الثلج في الثلج، وفي الثاني أن العالم والله شيء واحد أي ليس الله غيرا للعالم بل هو عين العالم فيما يزعم والعياذ بالله تعالى، وهاتان العقيدتان عقيدة الوحدة المطلقة وعقيدة الحلول أي حلول الله في الخلق وعقيدة الطبائعيين الذين يقولون لا إله والعالم مادة. أشد الكفر والعياذ بالله. وكذلك ما نسبوه افتراء إلى الشيخ عبد القادر ما ورد في كتاب «الفيوضات الربانية في مآثر الطريقة القادرية» فإنّ فيه كلاما مفترى على الشيخ عبد القادر الجيلاني، ويوجد فيه من الكلمات الشاذة التي لا تليق بالشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ما لايوجد في كتب الشيخ عبد القادر الصحيحة النسبة اليه، فإنّ للشيخ عبد القادر كتابا مشهورا اسمه «الغنية» في الفقه الحنبلي لأنه حنبلي المذهب، وهذا الكتاب ثابت أنه من تأليفه لكن مجسمة الحنابلة الذين يعتقدون أن الله جسم ساكن جهة فوق أدخلوا عليه مسائل افتروا عليه فيها أنه يقول: «أن الله ساكن في جهة فوق»، وافتروا عليه بأنه يقول: «بأنّ حروف المعجم قديمة» أي ليس لوجودها ابتداء وهذا خلاف عقيدة أهل السنة، فإنّ عقيدة أهل السنة أنّه لا موجود أزلي قديم ليس لوجوده ابتداء إلا الله، والحروف مخلوقة حادثة، والأصوات حادثة. وهو رضي الله عنه لا يخالف في العقيدة شيئا مما عليه أهل السنة السلف والخلف من أن الله تعالى متكلم بكلام لا يشبه كلام الخلق، ومعلوم أن كلام

الخلق حرف وصوت حادثان يوجدان شيئا بعد شيء وهذه صفة البشر، والله تعالى متعال منزه عن كل ما هو من صفات البشر إنّما هو متكلم بكلام ليس حرفا ولا صوتا.

وليس القرءان شيئا قرأه الله بحرف وصوت على جبريل إنّما القرءان كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ بأن أمر القلم الأعلى فجرى وكتب القرآن وغيره من الكتب السماوية. وأمر جبريل بأن يأخذه ويقرأه على سيدنا محمد ﷺ بالحرف والصوت بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠﴾ [سورة الحاقة] والضمير في: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠﴾ يعود لجبريل باتفاق المفسرين، ومعنى الآية أن القرءان شيء قرأه جبريل. والذي نعتقده أن الجيلاني بريء من مثل هذه الأقوال. وما نُسب للشيخ لا يقول به أقل المسلمين في الدين فكيف بالشيخ عبد القادر الذي هو من أكبر الأقطاب، كيف يقول بأن الله ساكن السماء والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٣١﴾ [سورة النجم] أي كلّ متحيز في السمٰوات والأرض فهو ملك لله مخلوق لله حادث وُجدَ بعد أن لم يكن موجودا. فكيف يخفى هذا الحق على القطب الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، إنّما مشبهة الحنابلة دسوا عليه في كتابه هذه المقالات ليوهموا الناس أن الشيخ عبد القادر على عقيدتهم عقيدة التشبيه. ومن المعلوم أن الصوفية المحققين هم من أكثر الناس تأدبا مع الله تعالى لا يطلقون على الله عبارة شنيعة.

ومما في هذا الكتاب أيضا من الافتراءات إيهام أن الله تعالى أوصى إلى الشيخ عبد القادر وخاطبه بكلمات عديدة يقولون لها الغوثية بهذه الصيغة: «يا غوث الأعظم الأمر كذا وكذا»، ومما فيه: «يا غوث الأعظم أكل الفقراء أكلي وشربهم شربي» وهذا من أشنع الكفر، وهذا اللفظ متكرر فيه «يا غوث الأعظم». قال الشيخ أبو الهدى الصيادي في كتابه الطريقة الرفاعية ما نصه: فقد عزوا للقطب الجليل الفرد الأصيل خزانة الكمالات والمعاني أبي صالح محيي الدين السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه الكثير من الكلمات التي لم تصدر منه ولم تنقل بسند صحيح عنه مثل الكلمات المكذوبة التي

سمّوها فهو عطّر الله مرقده بعيد عنها وبرىء منها. هذا الكتاب المسمى «الفيوضات الربانية» ألفه إسماعيل القادري الكيلاني من أهل القرن الثالث عشر، ومؤلفه ليس من العلماء فقد نسب إلى الشيخ عبد القادر قصيدتين إحداهما ميمية والأخرى نونية. ففي القصيدة الميمية يوجد هذا البيت: كل قطب يطوف بالبيت سبعا ... وأنا البيت طائف بخيامي. فهذا الكلام أي أن الكعبة تترك مكة وتذهب إلى العراق لتطوف بخيام الشيخ عبد القادر لا يقوله إلا كذاب وقح لأن الكعبة الله وضعها في مكة ليطوف بها المؤمنون بالليل والنهار في مكانها. وقولهم هذا فيه أن صلوات المسلمين لمّا تنتقل الكعبة لتطوف بالجيلاني غير صحيحة لأنهم يكونون قد اتجهوا إلى غير الكعبة وفي ذلك القول بأن المسلمين بإجماعهم جهّال وصلواتهم فاسدة ولا يقول بذلك عاقل. إ.هـ ومثل هذا الكلام مذكور في كتاب «روض الرياحين» ونص عبارته: «وقد سمعنا سماعا محققا أن جماعة شوهدت الكعبة تطوف بهم طوافا محققا. إ.هـ هو دس على مؤلفه. تنبيه: ويقال لهم أو ليس كان رسول الله ﷺ يذهب الى الكعبة ويطوف بها ولم ينقل ولم يحصل أن الكعبة طافت به. وأما النونية ففيها هذا البيت: ولو أنني ألقيت سري على لظى ... لأطفئت النيران من عُظم برهاني وهذا ردّ للنصوص لا يقوله مؤمن عرف أن الله خلق الجنة والنار للبقاء فلا تفنيان أبد الآباد، وأن نار جهنم لا يلحقها انطفاء أبدا، هذه عقيدة كل مسلم، فكيف تجرأ هذا المفتري على نسبة هذا الكلام إلى الشيخ عبد القادر رضي الله عنه. ومن الكتب التي فيها دس كثير على الشيخ عبد القادر كتاب «بهجة الأسرار ومعدن الأنوار» لعليّ الشطنوفي المصري، وهذا المؤلف يركب أسانيد باطلة ليروج ما ينسبه إلى الشيخ عبد القادر وليوهم الناس أن هذا الكلام الذي ينسبه إليه صحيح مسند. وقد نص الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره في الدرر الكامنة وطبقات القراء أن الشطنوفي مؤلف «بهجة الأسرار» ذكر في كتابه هذا ما لا يصح إسناده للشيخ الجيلاني رضي الله عنه. ومن جملة ما فيه من الكذب عليه قوله: أن الشيخ عبد القادر قال: «قدمي هذه على رقبة كل ولي» وقد بين أن هذه الكلمة مدسوسة على الشيخ عبد القادر الإمام

الجليل سراج الدين المخزومي في كتابه «صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار» وذكر فيه من كذب هذا الرجل في نسبة هذا الكلام إلى الشيخ عبد القادر. وقد ورد هذا القول المكذوب «قدمي هذه على رقبة كل ولي» في كتاب «الفتاوى الحديثية» لابن حجر الهيتمي، فقد أطال المؤلف النفس في إثبات نسبة ذلك إلى الشيخ عبدالقادر ولا صحة لها، والعجب كيف صحح ابن حجر نسبتها إليه، وهي كلمة التعالي والترفع، والأولياء من أكثر الناس أدبا مع الله، وهم من أكثر الناس تواضعا، وهذه ليست من باب التحدث بنعمة الله، وحاشا أن يقول ذلك الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه. ومن المعلوم أن الصوفية الكاملين من أشد الناس تواضعا وهذا القول بعيد من التواضع، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن التواضع أفضل العبادة**» ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الأمالي المصرية. أي أن التواضع من أفضل العبادات. قال الشيخ أبو الهدى الصيادي في كتاب الطريقة الرفاعية ما نصه: «وأما ما جاء في الكتاب المسمى «بهجة الأسرار» مؤلفه الشطنوفي في مناقب الشيخ عبد القادر قدس سره الطاهر من الحكايات والكلمات والروايات الموضوعة ففيها للأكابر كلام، منهم من اتهم الشطنوفي في ذاته بالكذب والغرض، ومن القائلين بذلك الحافظ ابن رجب الحنبلي طاب ثراه وقد ذكر ذلك في طبقات الحنابلة في ترجمة القطب الجيلي نفعنا الله بمدده وعلومه، ومنهم من قال إنه راج على الشطنوفي حكايات كثيرة مكذوبة وكأنهم نسبوه إلى البَـلَهِ وقبول ما يصح وما لا يصح» ا.هـ، وذكر منهم الحافظ الذهبي والبدر العيني وابن كثير وغيرهم. ثم قال الصيادي بعد ذلك ما نصه: «وأما هذه الكلمة التي بنى الشطنوفي عليها كتابه البهجة وهي إسناد قول: «قدمي هذه على رقبة كل ولي» أن الحافظ ابن رجب الحنبلي والإمام العز الفاروثي الشافعي والذهبي والتقي الواسطي وابن كثير والكثير من الأكابر قد أنكروها وبرءوا الشيخ عبد القادر وقالوا إنها من موضوعات الشطنوفي وإنها لم تنقل بسند صحيح يعتمد عليه» إ.هـ ومما يشبه هذا الكلام الفاسد الذي يؤدي بقائله إلى الكفر والعياذ بالله تعالى ما اشتهر عن جماعة الشيخ قطب الصومالي المشهور من

كلمات يرددونها في مجالسهم وعندما يخرجون الى مكان وهي إن لشيخي تسعة وتسعين اسما ... كَسُمى ذي الجلال في استجاب الدعا يعني قائل هذه الكلمتين الشيخ عبد القادر فيصفه بأن له تسعة وتسعين اسما كأسماء الله تعالى تسعة وتسعين في استجابة الدعاء، وهذا الكلام فيه تشبيه للشيخ بالله تعالى، وهذه فرية جديدة على الشيخ الجيلاني الجليل، ومقام الشيخ عبدالقادر بعيد من هذا كل البعد، لأن هذا الكلام من باب تشبيه العبد بالخالق، وتشبيه العبد بالخالق كفر. وكذلك من الافتراءات على الشيخ عبد القادر عبارة وردت في كتاب اسمه «الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة» لعبد الرازق الكيلاني فإن مؤلفه يقول فيه ما نصه: «يقول الشيخ عبد القادر عن صفة الشيخ المرشد: لا يجوز للشيخ أن يجلس على سجادة النهاية ويقلد بسيف العناية حتى يكمل فيه اثنتا عشر خصلة اثنتان من صفات الله تعالى وهما: أن يكون الشيخ ستارا غفارا». ومما لا شك فيه ولا ريب أن الشيخ الجليل عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه برىء من مثل هذه الألفاظ، كيف لا وقد اتفق أهل السنة على أن صفات الله أزلية أبدية لا تنتقل الى غيره، فمن ادعى ذلك كفر وذلك لأن الله تعالى موجود أزلي لم يسبقه عدم، أبدي لا يلحقه فناء، وصفاته كذلك، فيستحيل أن يتصف العبد بصفة الرب، ومن المعروف أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني من كبار أئمة أهل السنة. ومما يجب إنكاره ما اعتاده بعض أصحاب الطرق لا سيما بعض المنتسبين للطريقة القادرية من قولهم عند قراءتهم الورد بين المغرب والعشاء وبعد صلاة الصبح جماعة «اللهم أجرنا وأجر والدينا وجميع المسلمين من النار». هذا الكلام فيه رد للنصوص القرءانية والحديثية، وقد جزم ابن عبد السلام في الأمالي والغزالي بتحريم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات بمغفرة جميع الذنوب وبعدم دخول النار لأنا نقطع بخبر الله تعالى وخبر رسول الله ﷺ أن فيهم من يدخل النار. وقد نقل قول ابن عبد السلام والغزالي الرمليّ في شرح المنهاج والشوبري في تجريده حاشية الرملي الكبير.

افتراؤهم على الشيخ محيي الدين بن عربي

ومما يلزم التحذير منه افتراؤهم على الشيخ المشهور سيدنا محي الدين بن عربي رضي الله عنه. ومن الكلام الرائج عند بعض مدعي التصوف والطريقة والذكر وغيرهم هذه الكلمة «ما الكون إلا القيوم الحي»، وأما نسبتها إلى الشيخ عبد الغني النابلسي في ديوانه وكذا في ديوان الشيخ محي الدين بن عربي فهو محض افتراء ودس وهما بريئان منها ومن مثلها لأنهما من أكابر الموحدين ويذكر الشيخ الشعراني أن الشيخ محي الدين بن عربي يقول:

«من قال بالحلول فدينه معلول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد» ولا يخفى على كل ذي عقل ثاقب أن الكلام الذي فيه أنهما يقولان «ما الكون إلا القيوم الحي» مدسوس على الشيخ محي الدين رضي الله عنه وعلى الشيخ عبد الغني النابلسي الذي قال في بيان كفرالتشبيه وأنه يكفر من اعتقد واحدة منها ما نصه: «أو أنه له الحلول في شيء من الأشياء أو بجميع الأشياء أو أنه متحد بشيء من الأشياء أو بجميع الأشياء، أو أن الأشياء منحلة منه أو شيء منه، وجميع ذلك كفر صريح والعياذ بالله، وسببه الجهل بمعرفة الأمر على ما هو عليه» اهـ. وكيف ينسب اليه أي إلى الشيخ النابلسي هذا وهو القائل في منظومته في التوحيد: معرفة الله عليك تفترض ... بأنه لا جوهر ولا عَرَضْ

ومما افتري على الشيخ محي الدين بن عربي ما ورد في كتاب منسوب إلى الشيخ محمود أبي الشامات الدمشقي أنه من تأليفه يسمى «الإلهامات الإلهية على الوظيفة اليشرطية» ونص عبارته: قال: «قال سيدي الشيخ محي الدين العربي في كتابه «شرح الوصايا اليوسفية»:

يجب على المريد أن يعتقد في شيخه أنه المتحكم في موته وحياته وأن الله تجلى في صورته»، ثم قال: «فمن مات تحت حكم شيخ كامل فإن الله لا يتجلى له في القيامة إلا في صورة ذلك الشيخ» إ.هـ، فهذا الكلام ليس من دين الله وهو مناف للتوحيد الذي هو أصل الدين وأصل التصوف الإسلامي، فما هذا الكلام إلا زندقة وهو كفر صريح

لا تأويل له، وهو دس على الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه ولا يتفوه الشيخ رضي الله عنه بمثل هذا الكلام المنافي للتوحيد ولعقيدة المسلمين.

وأما قوله في نفس الكتاب: «وقد ألف السادة الصوفية نفعنا الله بهم الكتب والرسائل في إثبات وحدة الوجود وأقاموا الأدلة النقلية والعقلية على إثباتها» إ.هـ فما هو إلا محض افتراء على السادة الصوفية، ومردود لأن الصوفية الصادقين كالإمام الجنيد البغدادي والإمام أحمد الرفاعي والإمام عبدالقادر الجيلاني والإمام محيي الدين بن عربي رضي الله عنهم وأمثالهم قد حذروا من مثل هذه الكلمات ومن هذه العقيدة الفاسدة كالقول والاعتقاد بالوحدة المطلقة والحلول والشطح المجاوز لدين الله تعالى ولهم نصوص مشهورة في التحذير من مثل هذه المنكرات. والحاصل أن كل ما أورده هذا المؤلف محمود أبو الشامات الدمشقي وأمثاله في مؤلفاتهم تلبيس وتمويه لا يروج إلا على من لم يعرف التوحيد الذي هو أصل الدين. ومما يجب التحذير منه قول بعض جهلة المتصوفة إذا نوقشوا بمسئلة شرعية غلطوا فيها «هذا صح كشفا» ونحو ذلك كما في كتاب «الفتح الرباني والفيض الرحماني» والمسمى أيضا «بأسرار الشريعة» المنسوب للشيخ عبد الغني النابلسي ونصه: «أما ما ذهب إليه الشيخ محيي الدين بن عربي في كتابه الفتوحات المكية وغيره من أن عذاب الكفار في النار ينقلب عذوبة فيتلذذون به بعد انقضاء مدة الآلام فهو أمر مبني على الكشف عن أسرار الحقائق الأخروية، وقيل: ليس في هذا مخالفة كما ذكرناه من مذهب الجمهور أن عذاب الكفار في النار دائم أبدي، وفيه: إن الله يتجلى لأهل النار بصفة الجلال اهـ، وهذا الكلام باطل فإن إلهام الولي ليس من أسباب العلم القطعي فهو ليس بحجة كما ذكر ذلك النسفي، والمنام أقل شأنا، قال الإمام الجنيد سيد الطائفة الصوفية رضي الله عنه: «ربما تخطر لي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل من الكتاب والسنة» والنكتة: هي الوارد أي الإلهام.وهذ الكلام المنسوب كذبا وافتراء على الشيخ محيي الدين بن عربي باطل وهو يخالف صريح القرءان والسنة الصحيحة وإجماع المسلمين. أما مخالفته للآيات القرءانية الدالة على بقاء الجنة والنار واستمرار عذاب الكفار بلا

انقطاع إلى ما لا نهاية كثيرة جدا منها قوله تعالى:﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [سورة البقرة]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة فاطر].

وأما مخالفته للحديث الصحيح الثابت: «يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة خلود لا موت، ولأهل النار: يا أهل النار خلود لا موت» رواه البخاري. وأما الإجماع فهو منعقد على بقاء النار ودوام عذاب الكفار فيها، نقله الحافظ المجتهد تقي الدين السبكي في رسالته «الاعتبار ببقاء الجنة والنار» وذكر أن من رد ذلك فهو كافر. ومثل هذا الاعتقاد مركوز في فطرة المسلمين معلوم من الدين بالضرورة فلا يليق بالشيخ محي الدين بن عربي ولا بالشيخ عبد الغني النابلسي فهو مما دُس عليهما رحمهما الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحديد]

قال المفسر القاضي أبو محمد بن عطية الأندلسي في كتابه «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ما نصه[(٦٨٥)]: «وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾ معناه بقدرته وعلمه وإحاطته. وهذه آية أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها، وأنها مخرجة عن معنى لفظها المعهود، ودخل في الإجماع من يقول بأن المشتبه كله ينبغي أن يمر ويؤمن به ولا يفسر فقد أجمعوا على تأويل هذه لبيان وجوب إخراجها عن ظاهرها. قال سفيان الثوري: معناه علمه معكم، وتأولهم هذه حجة عليهم في غيرها» إ.هـ

وقال المفسر فخر الدين الرازي في «التفسير الكبير»[(٦٨٦)]: «المسألة الثانية: قال المتكلمون هذه المعية إما بالعلم وإما بالحفظ، وعلى التقديرين فقد انعقد الإجماع على أنه سبحانه ليس معنا بالمكان والجهة والحيز، فإذًا قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾ لا بد فيه من التأويل. وإذا جوَّزنا التأويل في موضع وجب تجويزه في سائر المواضع» إ.هـ

أما سيد قطب فقد قال في كتابه المسمى في ظلال القرءان في تفسير سورة الحديد ما نصه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾، كلمة على الحقيقة لا على الكناية والمجاز

والله تعالى مع كل شيء ومع كل واحد في كل وقت وفي كل مكان»[1] إ.هـ

وقال خالد الجندي في شريط له سماه «الرزق وإنفاقه» باللغة العامة المصرية: «هو ما فيش حاجة في حياتك إلا وربنا فيها لأنه قال وهو معكم أينما كنتم». ثم قال: «كل واحد فينا في كل لحظة من حياته الله في داخله في قلبه».

الرد:

ليُعلم أن سيد قطب بعقيدته هذه يخالف جميع علماء الإسلام من السلف والخلف لأنه جعل الله منتشرًا في العالم وهذا كفر، وقوله «في كل مكان» هذا لم يقله أحد من السلف إنما قاله جهم بن صفوان الذي قُتل على الزندقة في أواخر أيام الأمويين ثم تبعه بعض جهلة المتصوفة من غير فهم للمعنى الذي كان يريده جهم. أما جهم فكان يقول هذه العبارة ويريد معناها الحقيقي وهو الانتشار، وجهلة المتصوفة يريدون منها السيطرة على كل مكان، وقد نسب هذا القول إلى جهلة المتصوفة إسماعيل حقي النازلي في تفسيره «روح البيان» وهو من الصوفية، فليعلم هؤلاء في أي وادٍ يتيهون.

ثم إن كل علماء الإسلام اتفقوا على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحديد] إحاطة علمه تعالى بكل الخلق، وأما سيد قطب فينطبق عليه ما قاله الرسول ﷺ: «**من شذّ شذّ في النار**» رواه الترمذي، فبان واتضح لكل منصف أن سيد قطب وخالد الجندي مارقان خارجان من الدين والإسلام.

فانظر أخي المؤمن إلى هذا التجرؤ على الله تعالى حيث ينسب الحلول بكلمات واضحة وفاضحة تكشف عما في نفسه، ألم يقرأ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة النحل] ؟ ألم يبلغه نقل الحافظ السيوطي في كتابه «الحاوي للفتاوى» إجماع المسلمين على تكفير من قال

---

(١) وهذا باطل بالإجماع.

بالحلول أو الاتحاد؟ حيث قال ما نصه: «وقال القاضي عياض في الشفا ما معناه: أجمع المسلمون على كفر أصحاب الحلول ومن ادَّعى حلول الباري سبحانه في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة. وقال في موضع آخر: ما عرف الله من شبهه وجسمه. ثم قال بعد كلام: بل يُقطَع بتكفير القائلين بالحلول إجماعًا. ثم قال بعد ذلك: فإذًا أصل الاتحاد باطل محال مردود شرعًا وعقلا وعُرفًا بإجماع الأنبياء والأولياء ومشايخ الصوفية وسائر العلماء والمسلمين وليس هذا مذهب الصوفية وإنما قاله طائفة غلاة لقلة علمهم وسوء حفظهم من الله تعالى فشابهوا بهذا القول النصارى» إ.هـ

ألم يسمع خالد الجندي وسيد قطب وناظم قبرصلي وشيخه الداغستاني وكل الحلولية والاتحادية قول الإمام الأكبر الشيخ محيي الدين بن عربي: من قال بالحلول فدينه معلول، نقله الإمام عبد الوهاب الشعراني في كتابه «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر»، وقول الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله في «الفيض الرباني»: «من قال إن الله انحل منه شيء أو انحل في شيء فقد كفر» إ.هـ

حتى إن إمام المشبهة والمجسمة ابن تيمية الحراني يقول في كتابه المسمى «مجموع الفتاوى» ناقلا ومؤيدًا لقول الطلمنكي: «أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ مَعْنَى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴿٤﴾﴾ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ القُرءانِ: أَنَّ ذَلِكَ عِلْمُهُ» إ.هـ

فيا لفضيحة الوهابية الذين يقولون بأن التأويل تعطيل، هل سيقولون عن شيخهم المجسم ابن تيمية بأنه معطل في هذه المسألة؟ هل سينسلخون منه أم سيقولون عنه بعد ذلك «شيخ الإسلام»، خوفًا من أن ينقطع عنهم الدينار والدرهم؟

ولو كان هؤلاء الحلولية شموا رائحة العلم الشرعي لعلموا أن من وصف الله بالحلول فقد نسب الكيفية لله وهي منفية عنه تعالى وعن صفاته، وأن ذلك تجسيم وكفر كما نقل الحافظ السيوطي في كتابه «الأشباه والنظائر» عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: «المجسم كافر»، بل جاء ذلك عن أئمة المذاهب الأربعة رضي الله عنهم كما في

كتاب المنهاج القويم شرح ابن حجر الهيتمي على المقدمة الحضرمية فإنه يقول فيه ما نصه: «واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم وهم حقيقون بذلك» إ.هـ

ويكفي في إثبات جهل سيد قطب ما ذكره في تفسيره في الجزء السابع عشر في تفسير سورة الأنبياء، حيث قال: «ولا بقاء لشيء يطارده الله» إ.هـ

وقال في تفسير سورة الأعراف: «ولكننا نملك بالسر اللطيف المستمد من روح الله الذي في كياننا أن نستروح وأن نستشرف هذا الأفق الساحق الوضيء» إ.هـ

ثم قول خالد الجندي «كل لحظة من حياته الله في داخله في قلبه» فإننا نعوذ بالله من هذا الكفر فقد جعل الله تعالى يحل في القلوب، جعل الله جسما حادثا وكذّب قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [سورة الإخلاص]. في هذه الآية نفي للمادية والانحلال. وقد وقع خالد الجندي في كفر أهل الاتحاد والحلول وهو أشد أنواع الكفر وكذب قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ وكذب قول ذي النون المصري «**مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك**» أي لا يشبه ذلك، رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق.

ما عرف الله من اعتقد أن الله يحل في الأشياء في القلوب أو الهواء أو الإنسان أو الشجر. فتأمل في هذا الكلام وانتبه يا خالد كيف تتكلم وتطلق العبارات لأنك ستحاسب يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ وقال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤﴾. وقد قال سيدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «لفظتان ثلمتان في الدين القول بالوحدة والشطح المجاوز حدّ التحدث بالنعمة».

ومعنى قول الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [سورة ق] أي أن الله تعالى أعلم بالعبد من نفسه، هو أعلم بنا من أنفسنا، الله تعالى تعظيما لنفسه يقول: «ونحن أقرب إليه» أي إلى العبد «من حبل الوريد» والوريد عرقان في الإنسان من جانبي الرقبة ينزلان من الرأس ويتصلان بعرق القلب. وقد قال النازلي صاحب التفسير

المعروف: «لا يجوز أن نقول إنه تعالى بكل مكان وهذا قول جهلة المتصوفة»، وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه: «قال عليّ الخواص – شيخه في التصوف –: لا يجوز أن يقول إنه تعالى بكل مكان، وأول من قال بهذا جهم بن صفوان». فقول خالد الجندي «الله في داخله في قلبه» يفيد الحلول، ومن قال بالحلول فدينه معلول وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد كما قال الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله. ثم أمَا قرأ خالد أيضا نقل جلال الدين السيوطي الإجماع في كتابه «الحاوي للفتاوي» على تكفير من قال بالحلول أو الاتحاد. وهذا تجرؤ على الله بهذه الكلمات كأنه لم يقرأ كلام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته الشهيرة: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر»، وكأنه ما قرأ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾﴾ أي لا تشبهوا الله بخلقه، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ أي لله الوصف الذي لا يشبه وصف غيره.

وقال عمرو خالد المصري على قناة المحور في تفسير هذه الآية ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴿٢٩﴾﴾ عن سيدنا آدم، قال باللهجة المصرية: «إحنا نحن فينا حتّة جزء من ربنا»، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

كفرهم السفيه بعدم اكتراثهم بحقائق التنزيه

هناك أحاديث نبوية شريفة متشابهة يستشهدون بها من غير أن يعرفوا معناها وإلى أي شيء تؤدي مقاصدها بل يأخذون معناها على الظاهر تبعًا لأهوائهم الخبيثة وما يوافق طبع الحلول والاتحاد فمن هذه الأحاديث «**خلق الله ءادم على صورته**» وقد قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: «قوله: «صورته» الهاء وقعت كناية بين اسمين ظاهرين، فلم تصلح أن تصرف إلى الله عز وجل لقيام الدليل على أنه ليس بذي صورة سبحانه ليس كمثله شيء، فكان مرجعها إلى ءادم عليه السلام» انتهى، فالهاء ضمير يرجع إلى ءادم فالنبي ﷺ أراد أن يبين أن ءادم كان مخلوقًا على صورته التي كان

عليها بعد الخروج من الجنة لم تشوه صورته، ولم تغير خلقته. وذهب بعض أهل النظر إلى أن الصور كلها لله تعالى على معنى الملك والفعل، ثم ورد التخصيص في بعضها بالإضافة تشريفًا وتكرمًا كما يقال ناقة الله وبيت الله ومسجد الله، وعبر بعضهم بأنه سبحانه ابتدأ صورة ءادم لا على مثال سبق، ثم اخترع من بعده على مثاله، فخص بالإضافة والله أعلم. فكلمة بيت الله ليس معناها أن الله يحل فيه تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، إنما إضافة تشريف وتكريم.

وقد علق الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله على أحاديث الصورة في تحقيقه لكتاب الأسماء والصفات للبيهقي رحمه الله فيقول: «وبالنظر إلى ذكر الصورة في كثير من طرق هذا الحديث قالت السالمية «إن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة في صورة ءادمي محمدي، وإنه عز وجل يتجلى لسائر الخلق يوم القيامة من الإنس والجن والملائكة والحيوان أجمع لكل واحد في معناه» وفي كتاب الله تكذيبهم وهو قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى] كما ذكره الشيخ عبد القادر الجيلي في غنيته، وقد حكى كثير من المتكلمين أن مقاتل بن سليمان ونعيم بن حماد وداود الجواربي يقولون إن لله صورة وأعضاء كما في كتاب تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزي، تعالى الله عما يصفون، بل قوم من المشبهة يجيزون رؤيته في الدنيا، ولا ينكرون أن يكون بعض من يلقاهم في السكك ويجيزون مصافحته وملامسته كما في مقالات البلخي، ومنهم أخذت غلاة المتصوفة القائلون بالتجلي في الصور» إ.هـ

ومن الأناشيد التي يجب الاحتراز عن قولها التي تفهم معنى التجلي في الصور منها هذه الأنشودة التي أولها:

أنـــت نـــسـخـة الألـــوان فـــيـــك صـــــورة الـــرحمـــن

وهي مشهورة جدًّا فوجب ترك قراءتها في المجالس لأن فيها إثبات الصورة لله فالخير في تركها كما جاء عن الإمام مالك أنه كان يتجنب رواية بعض المرويات التي توهم التشبيه ولنذكر هنا قول سيدنا رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**» رواه البخاري ومسلم،

ويقول أيضًا: «**وإن الرجل ليتكلم بالكلمة في سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم القيامة**» رواه مسلم.

وهناك حديث نبوي شريف كذلك يغلطون في تفسيره يأخذون معناه على الظاهر لأجل أغراضهم الخبيثة وما يوافق زندقتهم الحلولية، ولهذا الحديث معنى يليق بجلال الله تعالى سبحانه جل شأنه، وتنزيهه عن النقص وصفات المخلوقين، وهذا الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل قال: من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه، وما يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني عبدي أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه**»، رواه البخاري في الصحيح. وقد فسَّر هذا الحديث الشريف الشيخ أبو عثمان الحيري رحمه الله أنه سئل عن معنى هذ الخبر فقال: «معناه كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع، وبصره في النظر، ويده في اللمس، ورجله في المشي»، وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: «قوله: «**وكنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها**» وهذه أمثال ضربها والمعنى والله أعلم توفيقه في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء وتيسير المحبة له فيها فيحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من إصغاء إلى اللهو يسمعه، ونظر إلى ما نهى عنه من اللهو ببصره، وبطش إلى ما لا يحل له بيده، وسعي في الباطل برجله، وقد يكون معناه سرعة إجابة الدعاء والإنجاح، وذلك أن مساعي الإنسان إنما تكون بهذه الجوارح الأربع» إ.هـ فالله سبحانه وتعالى يكرم عبده الصالح بأن يحفظ جوارحه من إتيان المعاصي الموبقة، ويكرمه بالكرامات الجليلة في هذه الجوارح لشدة طاعة هذا العبد وشغفه بحب مولاه فيعطيه سبحانه قوة في البصر فيرى الشيء البعيد وكأنه أمامه، وقوة في السمع يسمع بها الكلام البعيد وكأنه قربه، وقوة في المشي فيطوي الله له الأرض فيقطع المسافات الطويلة بدقائق وبمهلة بسيطة جدًّا، وقوة في اليد خارقة للعادة. ولذا عندما كان سيدنا عمر رضي الله عنه على المنبر يخطب في المدينة المنورة على ساكنها

أفضل الصلاة والسلام وكان جيش المسلمين في نهاوند في بلاد فارس وقد أحاط به الكفار بالمكيدة والحيلة للانقضاض عليه فكشف الله لعمر حالة المسلمين فرءاهم كأنهم أمامه فهذا يطابق قول «**كنت بصره الذي يبصر به**» فقال سيدنا عمر يا سارية الجبل الجبل فسمع قائد جيش المسلمين سيدنا سارية بن زُنَيم صوت عمر فانتبه لمكيدة الكفار فانحاز نحو الجبل وكتب الله النصر للمؤمنين وهزم الكفار بفضل الله تعالى، فإسماع الله تعالى صوت سيدنا عمر لسارية وجيش المسلمين موافق لقوله: «**كنت سمعه الذي يسمع به**».

ومن هذا القبيل ما حصل معي عندما كنت في زيارة أحد العارفين أن شخصًا ناقشني في قضية دعاء نصف شعبان الذي أوله يا ذا المن ولا يمن عليه إلى ءاخره فقلت إنه حديث موضوع لا أصل له لما فيه من قول اللهم إن كنت كتبتني شقيًّا أو محرومًا فامح اللهم شقاوتي وحرماني واجعلني في ديوان السعداء لأنه يوهم الناس أن مشيئة الله تتغير وهي لا تتغير لأنها أزلية أبدية فمن شاء الله له في الأزل أن يكون من أهل السعادة كان من أهلها فلا يتبدل شقيًّا وكذلك العكس أي من شاء الله في الأزل أن يكون شقيًّا فلا يتبدل سعيدًا. قال ابن رسلان في منظومته الشهيرة:

إن الشَّقِيَّ لشَقِيُّ الأزَلِ ... وعكسُهُ السَّعيدُ لم يُبَدَّلِ

ولذا يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه في هذا الشأن:

ما شئتَ كانَ وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تَشَأ لم يكن
خلقتَ العباد على ما علمتَ ... ففي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننتَ وهذا خذلتَ ... وهذا أعنتَ وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن إ.هـ

وفيه[1] مخالفة لما جاء في كتاب الله من قول الله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [سورة الدخان]. يعني ليلة القدر. إ.هـ

(١) أي قول فامح اللهم شقاوتي.

وقد قال الله ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة ق]. ولا ينافي ذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الرعد]. إذ ينسخ الله الآيات فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ يبدل الله ما يشاء من القرءان فينسخه ويثبت ما يشاء ولا يبدله ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ يقول جملة ذلك عنده في أم الكتاب الناسخ والمنسوخ وما يبدل وما يثبت كل ذلك في كتاب» إ.هـ

فهذه الآية لا تعني أن الذي كتب له أن يكون من أهل الشقاوة الأبدية يرجع ويدخله الجنة، حاشا لرب العالمين أن تتغير مشيئته ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة السجدة] .

وظلت المناقشة بيني وبين هذا الشخص ولم يقتنع مني، فتركته وذهبت متأثرًا من عنده وتوجهت إلى الرجل الصالح وكان جالسًا لقضاء حاجات المريدين والزوار، فاقتربت منه وسلمت عليه فأمرني بالجلوس في مواجهته وكان يتكلم في علم التوحيد لتعليم المريدين العقيدة فسمعت منه قوله بالفارسي «خودا مؤثر» يعني الله هو المؤثر على الحقيقة إلى أن وصل بكلامه إلى ما دار بيني وبين ذلك الشخص من المناقشة ولم أخبره بذلك فقال: السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه فهذا يطابق «**كنت سمعه الذي يسمع**»، وقصة وزير سيدنا سليمان عليه السلام عندما جاء بعرش بلقيس في لمحة البصر فهذا يطابق قول «**ورجله التي يمشي بها**» أي انطواء الأرض له، وكقصة خالد بن الوليد عندما قطع المسافة بين المدينة المنورة إلى دمشق في يومين ونصف مع جيشه.

وقال الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى في رده على أهل الحلول والاتحاد: «ومن أوقح التخريف سعي بعض غلاة الاتحادية ممن شذ عن الجماعة أصلًا وفرعًا في القرن المنصرم في ترويج ثبوت القعود والحركة والمصافحة والمعانقة والتردد وغيرها

له عز وجل بطريق التجلي في المظاهر والصور المصطلح عليه عند غلاة الاتحادية، وكذلك استساغته حلول الحوادث بذاته سبحانه متظاهرًا بأن ذلك مقتضى ظاهر كتاب الله وسنة رسوله وحقائق النصوص. وأين التجليات التي اصطلح عليها فيما بعد التنزيل بدهور استعمالا لها في حقائقها؟ ومن زعم ذلك فقد زاغ عن منهج الكتاب والسنة وتنكب سبيل السلف الصالح ومسلك أئمة أصول الدين، ونابذ لغة التخاطب، وهجر طريقة أهل النقد في الجرح والتعديل، والتقويم والتعليل، وجانب أصفياء الصوفية القائلين بالتوحيد الشهودي بل حاد عن فرق هذه الأمة جمعاء، غير الحلولية من طوائف المشبهة، فعقبات هذا الحائد عقبات دون الوصول إلى الحقائق وهكذا تكون ويلات الشذوذ عن الجماعة»[1] إ.هـ

فائدة مهمة:

من يقول: الله روح الأرواح يكفر لأن الروح من الأسماء الجامدة ليست من الأوصاف، ولا يجوز تسمية الله بالروح وهذا خلاف قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف]، وأهل السنة أجمعوا على أنه لا يجوز تسمية الله إلا بما ورد في القرءان أو في حديث رسول الله ﷺ[2]، فإذا كان الإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه منع من تسمية الله مستطيعًا وفقيهًا فكيف بمن يسميه روحًا، وقد كفّر ركن الإسلام علي السُغدي يكفر من سمى الله تعالى سببًا أو علة «كمن يقول الله هو السبب الأكبر»[3].

وبعضهم يقول الروح ليست مخلوقة وهذا كفر لأن فيه تكذيبًا لقول الله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الرعد] وبعضهم يفسر اسم الله القيوم بأنه قائم في الأجساد وهذا من أكبر الكفر. يجب تنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد

---

(١) ذكره في كتابه مقدمات الكوثري دار الثريا.

(٢) أي الحديث الصحيح أو أجمعت عليه الأمة.

(٣) من كتاب المسامرة شرح المسايرة لابن الهمام المكتبة الأزهرية للتراث.

يقول الحافظ السيوطي رحمه الله في بيان تكفير أهل الحلول والوحدة المطلقة في كتابه «الحاوي للفتاوى»:

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. القول بالحلول والاتحاد الذي هو أخو الحلول أول من قال به النصارى إلا أنهم خصوه بعيسى عليه السلام أو به وبمريم أمه ولم يعدوه إلى أحد وخصوه باتحاد الكلمة دون الذات بحيث إن علماء المسلمين سلكوا في الرد عليهم طريق إلزامهم بأن يقولوا بمثل ذلك في موسى عليه السلام وفي الذات أيضًا وهم لا يقولون بالأمرين، وإذا سلموا بطلان ذلك لزم إبطال ما قالوه، وأما المتوسمون بسمة الإسلام فلم يبتدع أحد منهم هذه البدعة وحاشاهم من ذلك لأنهم أذكى فطرة وأصح لبًا من أن يمشي عليهم هذا المحال غير أن طائفة من غلاة المتصوفة نقل عنهم أنهم قالوا بمثل هذه المقالة وزادوا على النصارى في تعدية ذلك والنصارى اقتصروه على واحد فإن صح ذلك عنهم فقد زادوا الكفر على النصارى، وأحسن ما اعتذر عمن صدرت منه هذه الكلمة الدالة على ذلك وهي قوله أنا الحق بأنه قال ذلك في حال سكر واستغراق غيبوبة عقل وقد رفع الله التكليف عمن غاب عقله وألغى أقواله فلا تعد مقالته هذه شيئًا ولا يلتفت إليها فضلًا عن أن تعد مذهبًا ينقل. وما زالت العلماء ومحققو الصوفية يبينون بطلان القول بالحلول والاتحاد وينبهون على فساده ويحذرون من ضلاله. إ.هـ

وقال الإمام فخر الدين الرازي في كتاب المحصول في أصول الدين: مسألة: البارئ تعالى لا يتَّحد بغيره لأنه حال الاتحاد إن بقيا موجودين فهما اثنان لا واحد، وإن صارا معدومين فلم يتحدا حدث ثالث، وإن عدم أحدهما وبقي الآخر فلم يتحدا لأن المعدوم لا يتحد بالموجود». اهـ

وقال القاضي عياض في الشفا ما معناه: «أجمع المسلمون على كفر أصحاب الحلول ومن ادعى حلول البارئ سبحانه في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة». اهـ

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في قواعده الكبرى: «ومن زعم أن الإلٰه يحل في شيء من أجساد الناس أو غيرهم فهو كافر». اهـ

وقال صاحب كتاب «نهج الرشاد في الرد على أهل الوحدة والحلول والاتحاد»: حدثني الشيخ كمال الدين المراغي عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد أنه قال له مرة: الكفار إنما انتشروا في بلادكم لانتشار الفلسفة هناك وقلة اعتنائهم بالشريعة والكتاب والسنة قال: فقلت له: في بلادكم ما هو شر من هذا وهو قول الاتحادية، فقال: هذا لا يقوله عاقل فإن قول هؤلاء كل أحد يعرف فساده، قال وحدثني الشيخ كمال الدين المذكور قال: اجتمعت بالشيخ أبي العباس المرسي تلميذ الشيخ الكبير أبي الحسن الشاذلي وفاوضته في هؤلاء الاتحادية فوجدته شديد الإنكار عليهم والنهي عن طريقهم وقال: أتكون الصنعة هي الصانع؟ اهـ

في ذكر بعض حكمه رضي الله عنه

١ - كان رضي الله عنه له كلام على لسان أهل الحقائق، دال عليه قوله، وقد سئل عن الرجل المتمكن الصادق فقال: الرجل المتمكن، إذا نصب له سنان على أعلى جبل شاهق في الأرض، وهبت عليه رياح الليالي الثِّمان، ما غيرت منه شعرة واحدة» إ.هـ

وكان رضي الله عنه يقول: «الفقراء[1] أشرف الناس، لأنّ الفقر لباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين، وغنيمة العارفين، ومنة المريدين، ورضا رب العالمين، وكرامة لأهل ولايته الأكياس». وكان رضي الله عنه يقول: «الأنس بالله[2] لا يكون إلا لعبد قد كملت طهارة قلبه، وصفا ذهنه، واستوحش من

(١) أي الصوفية.

(٢) أي الأنس بذكر الله وطاعته.

كل ما يشغله عن الله تعالى، فعند ذلك يأنس بربه»[١] إ.هـ.

٢- وقال رضي الله عنه: «قرب قلبك من مجالسة الذاكرين لعله يتنبه من غفلته». وقال: «أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات». وقال: «المحبة أغصان تزرع في القلب فتثمر على قدر العقول». وقال: «من لم يحسن رعاية نفسه أسرع به هواه إلى الهلاك، والخاسر الشقي المطرود المحروم من أبدى للناس أحسن أعماله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد»[٢] إ.هـ.

٣- وقال على كرسي وعظه في أم عبيدة: «قد ءان أوان زوال هذه المجالس ألا فليخبر الحاضر الغائب، من ابتدع في الطريق، وأحدث في الدين، وقال بالوحدة، وكذب متعاليًا على الخلق، وشطح متكلفًا، وتفكه فيما نقل من القول من الكلمات المجهولة لدينا، وطاب كاذبًا، وخلا بامرأة أجنبية، بلا حجة شرعية، وطمح نظره لأعراض المسلمين، وأموالهم، وفرق بين الأولياء، وبغض مسلمًا بلا وجهٍ شرعيٍ، وأعان ظالمًا، وخذل مظلومًا، وكذب صادقًا، وصدق كاذبًا، وعمل بأعمال السفهاء، وقال بأقوالهم، فليس مني، أنا بريءٌ منه في الدنيا والآخرة، وسيدي الشيخ منصور بريءٌ منه، والنبيّ عليه أفضل صلوات الله بريءٌ منه، والله بريءٌ منه، والله على ما نقول وكيل»[٣] اهـ

٤- وقال: «لا تزن الخلق بميزانك وزن نفسك بميزان المؤمنين لتعلم فضلهم وإفلاسك». وقال: «أف لأشغال الدنيا إذا أقبلت، وأف لخسرانها إذا أدبرت، والعاقل لا يركن لشيء أذا أقبل كان شغلا، وإذا أدبر كان حسرة». وقال: «من ألزم نفسه ما لا يحتاج إليه، ضيع من أحواله ما يحتاج إليه»[٤] إ.هـ.

---

(١) أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى المسماة لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، بيروت: دار الفكر، ج١، ص١٤١.

(٢) زين الدين المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ج٢، ص٢٢١-٢٢٢.

(٣) المصدر السابق، ص٢٣٤-٢٣٥.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٢-٢٢٣.

٥- وكان رضي الله عنه يقول: «الشفقة على الإخوان تقرب العبد إلى الرحمن» إ.هـ.

٦- وكان رضي الله عنه يقول: «إذا جئتم ولم تجدوا عندي ما يأكله ذو كبد، فاسألوني الدعاء أدع لكم، فإني حينئذ لي أسوة برسول الله ﷺ» إ.هـ.

٧- وكان رضي الله عنه يقول: «أخوك الذي يحل لك أكل ماله بغير إذنه لأنك عرفت رضاه يقينًا بل هو يفرح بذلك. هو الذي تسكن نفسك إليه، ويستريح قلبك فيه ولا يقطعك[١] عن ربك»[٢] إ.هـ.

٨- وكان رضي الله عنه إذا رأى على فقير جبة صوف يقول له: «يا ولدي انظر بزي من تزينت به، وإلى من قد انتسبت؛ قد لبست لباس الأنبياء، وتحليت بحلية الأصفياء، هذا زي العارفين، فاسلك مسالك المقربين وإلا فانزعه» إ.هـ.

٩- وكان رضي الله عنه يقول: «إذا تعلم أحدكم شيئا فليعلمه الناس، يتم له الخير» إ.هـ.

١٠- وكان رضي الله عنه يقول: «طريقنا مبنية على ثلاثة أشياء: لا نسأل، ولا نرد، ولا ندخر» إ.هـ.

١١- وكان رضي الله عنه يقول: «ما لي خيرة إلا الوحدة، فيا ليتني لم أعرف أحدا ولم يعرفني» إ.هـ.

١٢- وكان رضي الله عنه يقول: «من شرط الفقير أن لا يكون له نظر في عيوب الناس» إ.هـ.

١٣- وقال: «من طلب الطريق بنفسه تاه في أول قدم، ومن أريد به الخير دل على الطريق، فطوبى لمن قصد[٣] ربه دون غرض من أغراض الكون» إ.هـ.

---

(١) أي يبعدك عن طاعة ربك.

(٢) الإمام الشعراني، الطبقات الكبرى لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، طبعة الشرقية، ج١، ص١٢٠.

(٣) أي من قصد رضى ربه.

١٤- وقال: «من التذّ بسماع الملاهي فقد خلا قلبه من الخوف، لأن الخوف يدفع عن القلب الغفلات والشهوات» إ.هـ.

١٥- وقال: «عناية الوليّ وكرامته رضاه بما يسخط العوام من مجاري المقدور»[١] إ.هـ.

١٦- وقال: «كل أخ لا ينفع في الدنيا لا ينفع في الآخرة» إ.هـ.

١٧- وقال: «من غضب لنفسه تعب، ومن سلم أمره إلى مولاه نصره من غير أهل ولا عشيرة» إ.هـ.

١٨- وقال: «لا يحصل لعبد مقام الصفاء حتى لا يبقى في قلبه خبث ولا بغض لمؤمن، وهناك يأنس به الطير والوحش ولا يفر منه» إ.هـ.

١٩- وقال: «سلكت كل طريق فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الذل والافتقار والانكسار لتعظيم أمر الله والشفقة على خلقه»[٢] إ.هـ.

٢٠- وكان رضي الله عنه يمشي إلى المجذومين، والزمنى، ويغسل ثيابهم، ويفلي رؤوسهم ولحاهم، ويحمل إليهم الطعام، ويأكل معهم، ويجالسهم، ويسألهم الدعاء. وكان يبدأ من لقيه بالسلام، وكان إذا سمع بمريض في قرية ولو على بعد، يمشي إليه يعوده، ويرجع بعد يوم أو يومين.

٢١- وكان رضي الله عنه يخرج إلى الطريق ينتظر العميان، حتى إذا جاؤوا يأخذ بأيديهم ويقودهم، وكان إذا رأى شيخا كبيرا يذهب إلى أهل حارته، ويوصيهم عليه. وكان رضي الله عنه لا يجازي بالسيئة، بل يعفو ويصفح.

٢٢- وكان رضي الله عنه يقول: «لا يحصل للعبد صفاء الصدر، حتى لا يبقى فيه شيء من الخبث، لا لأخ، ولا لصديق، فهناك تأنس به الوحوش في غياضها، والطيور في أوكارها، ولا تنفر منه، ويتضح له سر الحاء والميم». وعند وصوله إلى

---

(١) زين الدين المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ج٢، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٥.

الروضة الشريفة، والمواجهة المنيفة، أخذه الحال، فأنشد وقال:

في حـــالة البعد روحي كنت أرسـلها تقبـل الأرض عني وهـي نائبتـي

وهـذه دولـــة الأشـــباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي إ.هـ

فمُدت يد النبي ﷺ فقبلها، والناس ينظرون، فيا لها من يدٍ عمّت الوجود نورًا، وكسته مهابةً وحبورًا، ورفعت لطالبها رايات العزّ والتمكين، وخضعت لها قادات الكون وقالوا أتينا طائعين.

٢٤- ومن فوائد أقواله في اغتنام الخير: «إذا كان لأحدٍ داعية إلى شغل يفعله فلا يفعل إلا ما فيه الخير، ويوصله إلى طريقه ويعود نفسه على الأعمال الحسنة والإئتلاف بها، ولا يرى فعل الخير ويقصر في إتيانه وفعله، ولا يقول لنفسه غدا بعد موتك يفعل لأجلك الخيرات والحسنات، فهيهات، فإنه لا ينفع الحر إلا ما قدمت يده، ولو كان ميراث المرء لأهله مثل الجبال»[1] إ.هـ.

٢٥- وقال: «كم من مسرور سروره بلاؤه، وكم من مغموم غمومه نجاته» إ.هـ.

٢٦- وقال: «من قدر على إسقاط جاهه عند الخلق سهل عليه الإعراض عن الدنيا وأهلها» إ.هـ.

٢٧- وقال: «رأس مالك قلبك ووقتك وقد شغلت قلبك بهواجس الظنون وضيعت وقتك بما لا يعنيك فمتى يربح من خسر رأس ماله» إ.هـ.

٢٨- وقال: «الطريق إلى الله صعب إلا على من دخله بوجد صادق غالب وشوق مزعج فيهون عليه حمل الأثقال وركوب الأهوال» إ.هـ.

٢٩- وقال: «الشهوة أغلب سلطان على النفس، فلا مزيل لها إلا خوف مزعج، أو شوق مقلق» إ.هـ.

---

(١) فخر الدين أبو بكر، النجم الساعي في مناقب الرفاعي، ص٧٨-٧٩.

٣٠- وقال: «اليقين ثمرة التوحيد فمن صفا توحيده صفا يقينه» إ.هـ.

٣١- وقال: «من أسكن نفسه شيئا من محبة الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع» إ.هـ.

٣٢- وقال: «من جد وجد، وبالاعتقاد يحصل علم الحقيقة، وبالاجتهاد يتفق سلوك الطريقة»[1] إ.هـ.

٣٣- وقال رضي الله عنه في التصوف الحق قال: «الفقر والتصوف مبنيان على خصال متعددة، منها أن يتجرد العبد لله تعالى، ويعلم الله علمًا يقينًا، ويقول بالوحدانية في أفعاله وصفاته وذاته، وأنه ليس كمثله شيء سبحانه وتعالى؛ فإن من علم الحق بهذا العلم خرج من باب العلم الظنّي، ومن باب الوهم والشكوك، وخلع من عنقه ربقة التقليد. وأن يسلك طريق الإيثار، ومعنى الإيثار عندهم أنّ العبد إذا فعل حسنًا لا يشهد أن له في ذلك اختيار ولا إرادة، حتى يشهد بذلك أنه يستوجب على الله ويستحق له ثوابًا عليه؛ لأنّ العبد وفعله كله ملك مالك ومبتدع الوجود، والعبد لا يستحق له على سيده ومالكه شيء، تعالى الله عن ذلك.

وأن يكون في وقت السماع والوجد مجتهدًا فيه سابق غيره إليه، ليس بقلبه وخاطره غير ربه، ويكون قلبه في مقام الحضور والمراقبة، والشهود حتى ينكشف له باب الكشف ويرتفع عنه ظلام الحجب.

وأن يكون في أكثر أوقاته ساكنًا، وأن يترك الحيلة والاكتساب، وادّخار الذخيرة، وألا يسلك غير طريق الصدق، فلا يحمل حركاته وسكناته إلا مبنية عليه؛ وأن لا يكثر كلامه خشية أن يقع في الخطأ والكذب، وأن يجتنب أكل الحرام، وأن لا يطلب ما ليس له قدرة على أن يكون في يده، ولا يلتفت إليه؛ ويلتفت لما هو الأهم من أمور ءاخرته ومعاده، وأن لا يحرص على ما هو في يده ويملكه، بل يصرفه في استحقاقه ويبذله فإن

(١) زين الدين المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ج٢، ص٢٢٦-٢٢٧.

المدبر الحق عز وجل، وأن لا يلتجئ في أموره لأحد غير الله تعالى»[1] إ.هـ

٣٤- وقال: «شرط الفقير الصادق أنه لا يعلق نظره بشؤون الخلق وغيرها، فإنه إن علقه بذلك التبس عليه الأمر، وكلما اختلط الفقير بالخلق ظهرت عيوبه.

إن الفقير كالمرءاة فكل شيء ينظره يراه في وجود من أمور الدنيا مرتسمًا، وإذا اختلط بالخلق ونظر لما في أيديهم وملابسهم، صدئت مرءاته، فلا ينبغي له أن يخطر بباله شيء من أمور الدنيا» إ.هـ

٣٥- وقال: «العاقل هو الذي يتفكر فيما بعد الموت، وما يؤول إليه بعد الحياة ونفاذ عمره، وإذا ما تفكر العبد في غير ذلك صار شأنه الخطأ والزلل»[2] إ.هـ

٣٦- وقال: «الفقير هو الذي يكون قائمًا بطريقه، الضابط لنفسه، ولا بد للفقير من الإنصاف والتلبس بخصال، ألا يفعل إلا ما فيه منفعة من جانب معين معلوم، لكن لا يؤديه فعل غير معين إلى الهلاك؛ وأن يكون متحملا للشدائد، صبورًا عليها، وأن يقطع جانب الرجاء من الخلق ويوصله بأكرم الأكرمين، وأن يخفي أسراره ولا يشكو إلى مخلوق مثله، فإن الشكاية له شكاية من مولاه الرب المالك، مع أن مثل هذه الشكاية لا تفيد إلا جهل حتى المحسن المتفضل، فنعوذ بالله.

وأن يترك سؤال المخلوق في شيء ما خشية أن تسأمه النفوس وتستخف به وتقع فيه، وأن يظهر للخلق قدرة الاستغناء عنهم، حتى يعرفوا عنه أنه غير محتاج، وإذا عمل عملًا يحمد الله تعالى.

ومن اللازم على الفقير ألا يقضي أوقاته إلا فيما تكون عاقبته حسنة، ويحصل به مراتب للحصول على الخلق الحسن، وعليه أنه إذا فعل فعلًا حسنًا لا يراه حسنًا في

---

(١) فخر الدين أبو بكر، النجم الساعي في مناقب الرفاعي، ص٧٩-٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص٨٠-٨١.

نفسه، ولا يعجب به، ويعتمد عليه في وصول الطريق؛ بل يعتقد أن أفعاله كلها مشوبة بالتقصير، فلا يتعين منها طريقًا إلى الوصول؛ بل ولا يصلح لذلك، وإنما هو يكون عن محض فضل المنعم الفياض؛ وعلى الفقير ألا يفعل ما يجره لالتماس عذر، فقد حذر القوم من ذلك فقالوا: إياك وما يعتذر منه[1] إ.هـ

٣٧- وقال عن قيمة الزمن: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، فالعاقل من لا يضيع أوقاته النفيسة، وعلى الفقير أن لا ينظر بقلبه، ولا بعقله، إلا بالحق حتى لا يحصل فيه السوء، فلا يشتغل بغير ربه[2]، وأنه لا يشتغل بالأرزاق فإنه متكفل بها من جانب الحق تفضيلًا وإحسانًا، وأن لا يخلو عن الاتصاف بالخصال الحميدة؛ وأن لا يسلك سبيل التلوين والمقاطعة، والمخاصمة مع الخلق، وأنّ أوليائه لا يكون سلوكهم إلا على وفق ما اقتضته الحكمة، وبالجملة فلا يتم للفقير الدخول في باب الفقر حتى يطهر نفسه من دون العيوب والرذائل، ويحليها بجلابيب الفواضل إ.هـ

٣٨- وكل من عرف كرم الله تعالى وقدرته وحلمه، حسنت عقيدته، وتنورت بصيرته، ولطفت شيمته، وحمدت سيرته وسريرته، وكل من توكل على الله حق التوكل، أغناه إذا طلب شيئا، وكل من شاهد لطف الله، وقطع باله عن الخلق، فقد وصل وبلغ مراده» إ.هـ

٣٩- ومن أقواله: إذا كانت نفسُك غير ناظرة لقلبها، فأدبها بمجالسة الحكماء من أهل خاصته». وأقرب الأشياء إلى المقت، رؤية النفس وأحوالها وأعمالها، وأشد منه طلب العوض على العمل. وقرب قلبك من مجالسة الذاكرين، لعله يتنبه من غفلته. ومن توهم أن عمله يوصله إلى مأموله الأعلى، فقد ضل طريقه. ولا تلتمس تقويم من لا يتقوم، ولا تأديب من لا يتأدب إ.هـ

---

(١) فخر الدين أبو بكر، النجم الساعي في مناقب الرفاعي.

(٢) أي بغير طاعة ربه.

٤٠- وقال: «عجبت لمن له طريق إلى ربه[١]، كيف يعيش مع غيره، وهو يقول (وأنيبوا إلى ربكم)»[٢] إ.هـ

٤١- وقال: «ما من ليلة إلا وينزل فيها نثار من السماء، يفرق على قلوب المستيقظين».

٤٢- وقال: «والله ما لي خيرة إلا في الوحدة فياليتني لم أعرف» إ.هـ

٤٣- وقال: «ظلمة الطبع تمنع أنوار المشاهدة» إ.هـ

٤٤- وقال: «من أراد أن يعرف قدر معرفته بالله، فلينظر قدر هيبته عنده، وفي خدمته» إ.هـ

٤٥- وقال: «من ذل في نفسه رفع الله قدره، ومن عز فيها أذله الله في أعين عباده»[٣] إ.هـ

٤٦- وقال: «المذكور واحد، والذكر مختلف، وأحوال قلوب الذاكرين متفاوتة، وأصل الذكر إجابة الحق من حيث اللوازم، لحديث: «مَن أطاعَ اللَّهَ فقد ذَكَرَ اللَّهَ، وإن قلَّت صلاتُهُ وصيامُهُ وتلاوةُ القرآنِ، ومَن عصى اللَّهَ فقد نَسيَ اللَّهَ، وإن كثُرَتْ صلاتُهُ وصيامُهُ وتلاوةُ القرآنِ»[٤] إ.هـ

٤٧- وقال رضي الله عنه ص١٥: غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان إ.هـ

٤٨- وقال رضي الله عنه ص٢٠: الشيخ من إذا نصحك أفهمك وإذا قادك دلك، وإذا أخذك نهض بك إ.هـ

٤٩- وقال رضي الله عنه ص٢٠: الشيخ من يلزمك الكتاب والسنة، ويبعدك عن

---

(١) أي إلى مرضاة ربه.

(٢) الزمر: ٥٤.

(٣) زين الدين المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ج٢، ص٢٢٦.

(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٢، ص٢٨٥. وقال رواه الطبراني في الكبير، وفيه الهيثم بن جماز، وهو متروك. البيهقي، شعب الإيمان، ج١، ص٣٩٣، وقال حديث مرسل.

المحدثة والبدعة (أي البدع الاعتقادية المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة).

٥٠- وقال رضي الله عنه ص٢٠: الشيخ ظاهره الشرع وباطنه الشرع إ.هـ

٥١- وقال رضي الله عنه ص٢٩: ظن بعض الجهلة أن هذه الطريقة تنال بالقيل والقال، والدرهم والمال وظواهر الأعمال! لا والله، إنما نيلها بالصدق والإنكسار، والذل والإفتقار، واتباع سنة النبي المختار، وهجر الأغيار إ.هـ

٥٢- وقال رضي الله عنه ص٣٨: وإياك وإفراط الأعاجم، فإن في أعمال بعضهم الإطراء الذي نص عليه الحبيب عليه صلوات الله وسلامه إ.هـ (أي محذرا من هذا الإطراء)

٥٣- وقال رضي الله عنه ص٣٩: العلم نور والتواضع سرور إ.هـ

٥٤- وقال رضي الله عنه ص٤١: إذا أمعنت النظر في دوائر الأكوان: رأيت العجز محيطًا بها والإفتقار قائما معها، ولربك الحول والقوة، والغنى والقدرة، وحده لا شريك له إ.هـ

٥٥- وقال رضي الله عنه ص٤٢: سر بين الحائطين، حائط الشرع وحائط العمل إ.هـ (أي كن عاملًا جامعًا بين العلم والعمل)

٥٦- وقال رضي الله عنه ص٤٢: اسلك طريق الاتباع، فإن طريق الاتباع خير وطريق الابتداع شر وبين الخير والشر بَونٌ بيّن إ.هـ

٥٧- وقال رضي الله عنه ص٤٨: صحبة الأشرار، والحمقى، والظلمة وأهل الحسد ظلمة سوداء إ.هـ

٥٨- وقال رضي الله عنه ص٥١: من استقام بنفسه استقام به غيره، كيف يستقيم الظل والعود أعوج؟! إ.هـ

٥٩- وقال رضي الله عنه ص٦١: تَخَلَّق بِخُلُق نبيك، كن لين العريكة، حسن الخلق، عظيم الحلم، وفير العفو، صادق الحديث، سخي الكف، رقيق القلب، دائم

البِشرِ، كثير الإحتمال والإغضاءِ، صحيح التواضع، مراعي للخلق، راعي حق الصحبة، متواصل الأحزان، دائم الفكرة، كثير الذكر، طويل السكوت، صبورعلى المكاره، متكل على الله، منتصر بالله، محب للفقراء والضعفاء، غضوب لله إذا انتهكت محارم الله إ.هـ

٦٠- وقال رضي الله عنه ص٦٣: حَسِّن الحسن، وقبِّح القبيح ولا تجلس ولا تقم إلا على ذكر؛ وليكن مجلسك مجلس حلم وعلم، وتقوى، وحياء وأمان؛ وجليسك الفقير؛ ومؤاكلك المسكين إ.هـ

٦١- وقال رضي الله عنه ص٦٤: إذا خيرت بين أمرين فاختر أيسرهما ما لم يكن مأثم إ.هـ.

٦٢- وقال رضي الله عنه ص٧١: وقد اندرج أئمة أهل البيت _ عليهم سلام الله ورضوان_ على الرضا الخالص، مع قوة الكرامة ورفعة القدر عند الله إ.هـ

٦٣- وقال رضي الله عنه ص٧٢: إذا هرعت إلى الله، والتجأت إليه، فاجعل وسيلتك حبيبه ﷺ تسليم ؛. وأكثر من الصلاة والسلام عليه مهما أمكنك؛ وقف في باب الله بالعمل بسنته عليه الصلاة والسلام، واسأل الله سبحانه معتمدا عليه تعالى، مستعينًا به، متوكلا عليه إ.هـ

٦٤- وقال رضي الله عنه ص٧٣: التوفيق في جميع الأحوال إنما هو من الله سبحانه وتعالى. اهـ ما نقلناه من كتاب حكم السيد أحمد الرفاعي.

٦٥- وقال رضي الله عنه في ما يرويه عنه السيد الشيخ محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي في كتابه الفجر المنير في بعض أقوال الرفاعي الكبير[1] ص٩٨: قال رضي الله عنه أنا اخترت الخدمة فكيف يكون للخادم خادم إ.هـ

(١) الفجر المنير في بعض أقوال الرفاعي الكبير لأبي الهدى الصيادي الرفاعي المتوفى ١٣٢٨ هـ الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م دار الكتب العلمية بيروت

٦٦- وقال رضي الله عنه ص٩٨: قال أيشٍ أنت ومن أنا وأيشٍ قدري، أنا إن صلحت كنت ملاحا في سفينة الشيخ منصور الرباني قدس سره إ.هـ

٦٧- وقال رضي الله عنه ص١٠١: غلبكم طول الأمل فإنه يوجب تقليل العمل وتأخير التوبة إ.هـ

٦٨- وقال رضي الله عنه ص١٠٢: عليكم بالإصلاح بين الناس فقد روي عن أبي أيوب الأنصاري قال قال لي رسول الله ﷺ: **(ألا أدلك على صدقة يحب الله موضعها)** قلت بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال: **(تصلح بين الناس فإنها صدقة يحب الله موضعها)**. رواه الأصبهاني. وقال ﷺ: **ألا أخبركم بخير لكم من الصدقة والصيام قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وإياكم والبغضة فإنها الحالقة)** إ.هـ

٦٩- وقال رضي الله عنه ص١٠٢: إياكم والتحريش بين الناس والإفساد إ.هـ

٧٠- وقال رضي الله عنه ص١٠٤: لما مررت وأنا صغير بالشيخ العارف بالله تعالى عبد الملك الخرنوتي أوصاني وقال: يا أحمد احفظ ما أقول لك، فقال نعم، فقال رضي الله عنه: ملتفت لا يصل ومتسلسل لا يفلح ومن لم يعرف من نفسه النقصان فكل أوقاته نقصان. فخرجت من عنده وجعلت أكررها سنة. ثم رجعت إليه، فقلت أوصني، فقال: ما أقبح الجهل بالألباء، ولعله بالأطباء، والجفاء بالأحباء. ثم خرجت فجعلت أرددها سنة فانتفعت بموعظته إ.هـ

٧١- وقال رضي الله عنه ص١٠٤: الشفقة على الإخوان مما يقرب إلى الله تعالى إ.هـ

٧٢- وقال رضي الله عنه ص١٠٥: من شرط الفقير أن يرى كل نفس من أنفاسه أعز من الكبريت الأحمر فيودع كل نفس أعز ما يصلح فلا يضيع له نفس إ.هـ

٧٣- وقال رضي الله عنه ص١٠٥: من لم ينتفع بأفعالي لم ينتفع بأقوالي إ.هـ

٧٤- وقال رضي الله عنه ص١٠٥: الأمر أعظم مما تظنون وأصعب مما تتوهمون، وأن

كل أخ لا ينفع في الدنيا لا ينفع في الآخرة إ.هـ

٧٥- وقال رضي الله عنه ص١٠٥: إذا تعلم أحدكم شيئا من الخير فليعلمه الناس يثمر له الخير إ.هـ

٧٦- وقال رضي الله عنه ص١٠٦: من تمشيخ عليكم فتلمذوا له فإن مد يده لكم لتقبلوها فقبلوا رجله ومن تقدم عليكم فقدموه وكونوا آخر شعرة في الذنب فإن الضربة أول ما تقع في الرأس إ.هـ

٧٧- وقال رضي الله عنه ص١٠٧: لا يحصل لعبد صفاء الصدر حتى لا يبقى في قلبه شيء من الخبث والبغض لأحد من المؤمنين وهناك تأنس به الطيور والوحوش ولا تنفر منه إ.هـ

٧٨- وقال رضي الله عنه ص١٠٧: الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق وأقربها وأوضحها وأيسرها وأصحها وأرجاها وأحبها إلى الله تعالى الذل والإنكسار والحيرة والإفتقار إ.هـ

٧٩- وقال رضي الله عنه ص١٠٧: صحبة الفقراء تزيد في اليقين إ.هـ

٨٠- وقال رضي الله عنه ص١٠٧: ما سعد من سعد إلا بالاجتهاد، ولا شقي من شقي إلا بالعناد إ.هـ

٨١- وقال رضي الله عنه ص١٠٧: الصدق سلم العناية، والتقوى بيت الهداية والتسليم عين الرعاية، والإخلاص حسن الوقاية، والإنكسار لله هو الولاية إ.هـ

٨٢- وقال: «الدنيا ما دنا من القلب، وشغله عن الرب» إ.هـ

٨٣- وقال: «ما حياة القلب إلا في إماتة النفس» إ.هـ

٨٤- وقال: «الاستهانة بالأولياء من قلة المعرفة بالله» إ.هـ

٨٥- وقال: «إذا أوصلك إلى مقام، ومنعك حرمة أهله، والالتذاذ بما أوصلك إليه،

فأنت مغرور»[1] إ.هـ

٨٦- وقال رضي الله عنه في كتابه الحكم[2] ص١٢: العلم شرف في الدنيا وعز في الآخرة إ.هـ

٨٧- وقال رضي الله عنه ص١٢: الفقير إذا انتصر لنفسه تعب، وإذا سلم الأمر إلى الله تعالى نصره من غير عشيرة ولا أهل إ.هـ

٨٨- وقال رضي الله عنه ص١٠٨: القلب جوهرة مظلمة مغمورةبتراب الغفلة جلائها الفكر ونورها الذكر وصندوقها الصبر إ.هـ

٨٩- وقال رضي الله عنه ص١٠٨: الفكر نور والعقل والذكر نور القلب، والإخلاص نور السر، والتقوى نور الوجه إ.هـ

٩٠- وقال رضي الله عنه: لولده صالح الأكبر قدس سره الأزهر ص١٠٨: يا ولدي جمال القلب بالخوف وجمال العقل بالفكر وجمال الروح بالشكر وجمال اللسان بالصمت وجمال الوجه بالعبادة وجمال النية بترك الخواطر وجمال الفؤاد بترك الحسد وجمال النفس بالمخالفة وجمال السر بالصبر وجمال الحال بالإستقامة وجمال السير بالتسليم وجمال الخدمة بالأدب وجمال الكلام بالصدق وجمال الطريق بموافقة وجمال الكل بتوفيق الله إ.هـ

٩١- وقال رضي الله عنه لولده ص١٠٨: يا صالح الوصول باب والعناية مفتاح والسخاوة سلم والإخلاص قوة، فإذا أخلصت صعدت إلى السلم وإذا سرت سخيًا وصلت إلى المفتاح وفتحت الباب بإذن الفتاح. يا ولدي بني الطريق على الصدق والإخلاص و حسن الخلق والكرم، يا ولدي الغنى بالعلم والزينة بالحلم والكرامة والتقوى والعزة بمخالفة النفس، يا ولدي أكثر من الدعاء المأثور ومل

---

(١) زين الدين المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ج٢، ص٢٢٦

(٢) كتاب الحكم الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ دار الكتاب النفيس بيروت / حلب.

عن الطريق المشهور وتذلل للفقير المستور وعد نفسك من أهل القبور، يا ولدي قل اللهم أغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية. يا ولدي التاج بالإبرة حرير والتصدر بالقليل والكثير والزاوية بالدراهم والدنانير، يا ولدي أكثر الناس في بيت الغفلة فلا تكن من الغافلين يا ولدي إذا نظرت بعين البصيرة رأيت حقيقة فناء الكل فإذا تحققت فناء الكل تركت الكل. يا ولدي إياك والظهور فالظهور يقصم الظهور. يا ولدي عملك خير لك من نسبك وأدبك خير لك من أبيك وحسن خلقك خير لك من قبيلتك وتوكلك على الله خير لك من مالكَ وتفويضك إلى القدر خير لك من تدبيرك إ.هـ

٩٢- وقال رضي الله عنه لخليفته عماد الدين الزنجي قدس سرهما ص١٠٩: يا عماد الدين قف على باب الاستقامة واسكن في بيت المداومة والزم الصبر على العمل فقد قال ﷺ: **(أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ)**، يا عماد الدين من طرق الباب بالخضوع فتح له بالقبول، ومن دخل الرحاب بالانكسار جلس في بيت العزة إ.هـ

٩٣- وقال رضي الله عنه ص١٠٩: يا ولدي عليك بملازمة الشرع لأمر الظاهر والباطن وبحفظ القلب من نسيان ذكر الله وبخدمة الفقراء والغرباء وبادر دائمًا بالسرعة للعمل الصالح من غير كسل ولا ملل وقم في مرضاة الله تعالى وقف في باب الله وعود نفسك القيام في الليل وسلمها من الرياء في العمل وابك في خلواتك وجلواتك على ذنوبك الماضية إ.هـ

٩٤- وقال رضي الله عنه ص١٠٩: يا ولدي إن الدنيا خيال ما فيها زوال إ.هـ

٩٥- وقال رضي الله عنه ص١٠٩: يا ولدي همة أبناء الدنيا دنياهم وهمة أبناء الآخرة آخرتهم وإياك والدعوى الكاذبة إ.هـ

٩٦- وقال رضي الله عنه ص١٠٩-١١٠: يا ولدي ما أكلته تفنيه وما لبسته تبليه وما عملته تلاقيه والتوجه إلى الله حتم مقضي وفراق الأحبة وعد مأتي والدنيا

أولها ضعف وفتور وآخرها موت وقبور لو بقي ساكنها ما خربت مساكنها، فاربط قلبك بطاعة الله وأعرض عن غير الله (أي عن كل الأمور التي لا خير فيها) وسلم في جميع أحوالك لله واجعل سلوكك في طريق الفقراء بالتواضع واستقم بالخدمة على قدم الشريعة واحفظ نيتك من دنس الوسواس وامسك القلب عن الميل إلى الناس وكُل خبزًا يابسًا وماء مالحًا من باب الله ولا تأكل لحمًا طريا وعسلًا من باب غير الله (أي من الطريق المذموم شرعًا) وتمسك بسبب بمعيشتك بطريق الشرع من كسب حلال واترك الحيلة بالسبب وإياك من كسر خواطر الفقراء وصل الرحم وأكرم الأقارب واعف عمن ظلمك وتواضع لمن تكبر عليك ولا تتردد بأبواب الوزراء والحكام وأكثر من زيارة الفقراء وأكثر من زيارة القبور وليّن كلامك للخلق وكلمهم على قدر عقولهم وحسّن خلقك وامتزج الناس بحسن المزاج واعرض عن الجاهلين وقم بقضاء حوائج اليتامى وأكرمهم وأكثر التردد لزيارة المتروكين من الفقراء وبادر بخدمة الأرامل وارحم تُرحم وكن مع الله[1] ترى الله معك واجعل الإخلاص رفيقك في سائر الأقوال والأفعال واجتهد بهداية الخلق لطريق الحق ولا ترغب للكرامات وخوارق العادات فإن الأولياء يستترون من الكرامات كما تستتر المرأة من الحيض ولازم باب الله ووجه قلبك لرسول الله[2] واجعل الاستمداد من بابه العالي بواسطة شيخك المرشد وقم بخدمة شيخك بالإخلاص من غير طلب ولا أرب واذهب معه بمسلك الأدب واحفظ غيبته وتقيد بخدمته وأكثر الخدمة في منزله وأقلل الكلام في حضرته وانظر له بنظر التعظيم والوقار لا نظر التصغير والاحتقار وقم بنصيحة الإخوان وألف بين قلوبهم وأصلح بين الناس واجمع الناس على الله (أي على طاعة الله) بطريقتك ورغب الناس بالصدق للدخول في باب الفقر

---

(١) بملازمة طاعته واجتناب نواهيهِ ترى الله معك أي يحفظك وينصرك والله موجود بلا جهة ولا مكان.

(٢) أي لطلب المدد منه وليس لعبادته

والسلوك بطريق القوم وعمر قلبك بالذكر وجمل قلبك بالفكر ونور واستعن بالله واصبر على مصائب الله وكن راضيًا من الله وقل على كل حال الحمد لله وأكثر الصلاة على رسول الله وإن تحركت نفسك بالشهوة أو بالكبر فصم تطوعا لله واعتصم بحبل الله واجلس في بيتك ولا تكثر الخروج للأسواق ومواضع الفرح فمن ترك الفُرَج نال الفَرَجَ وأكرم ضيفك وارحم أهلك وولدك وزوجتك وخادمك واذكر الله في كل أمر وأخلص لله بالسر والجهر واعمل للآخرة عملا حسنا واجعل عملك في الدنيا عمل الآخرة وقل الله ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ سورة الانعام آية ٩١» إ.هـ

٩٧- وقال رضي الله عنه ص١١٠: هذه نصيحتي لك ولمن سلك بطريقتي ولإخواني ولجميع المسلمين والمحبين كثَّرهم الله وأستغفر الله العظيم من جميع الذنوب خفيها وجليها كبيرها وصغيرها وأتوب إليه إنه هو التواب الرحيم وقال رضي الله عنها ولدي قال سيد الأنام ﷺ (**إن الله يحب العبد التقي النقي الغني الخفي**) رواه مسلم إ.هـ

٩٨- وقال رضي الله عنه ص١١٠-١١١ ولدي إن ملكت عقلا حقيقيًا ما ملت إلى الدنيا وإن مالت لك لأنها خائنة كذابة تضحك على أهلها من مال عنها سلم منها ومن مال إليها بلي فيها هي كالحية لين لمسها قاتل سمها لذاتها سريعة الزوال وأيامها تمضي كالخيال فاشغل نفسك فيها بتقوى الله ولا تغفل عن ذكره تعالى ذرة واحدة وإن طرقك طارق الغفلة فاستغفر الله وارجع لباب الملاحظة واذكر الله واستحِ منه وراقبه[1] في الخلوات والجلوات واحمده واشكره على الفقر والغني واترك الأغيار وكن صوفياً صادقًا ولاتكن صوفيًا منافقا[2] فتهلك إ.هـ

---

(١) أي استحضر في قلبك دوما أنه سبحانه مطلع عليك عالم بأحوالك لا تخفى عليه خافية.

(٢) هو مدعي التصوف الذي يعمل بخلاف الشرع ويتظاهر بالتصوف الحقيقي أمام الناس ليعظموه ففرق بين الصوفي الصادق والمتصوف الكاذب المحتال المنافق

٩٩- وقال رضي الله عنه ص١١١: يا ولدي التصوف الإعراض عن غير الله إ.هـ وعدم شغل الفكر بذات الله والتوكل على الله وإلقاء زمام الحال في باب التفويض وانتظار فتح باب الكرم والإعتماد على فضل الله والخوف من الله في كل الأوقات وحسن الظن به في جميع الحالات إ.هـ

١٠٠- وقال رضي الله عنه ص١١١ ولدي إذا تعلمت علمًا وسمعت نقلًا حسنًا فاعمل به ولا تكن من الذين يعلمون ولا يعملون إ.هـ

١٠١- وقال رضي الله عنه ص١١١: سر الحقيقة ظاهر وعَلَمُ المعرفة منصوب وباب الوصول مفتوح حجبكم عن رؤية هذه المعاني الشريفة حب الدنيا ونسيان الموت فالعجب ممن يعلم أنه يموت كيف ينسى الموت والعجب ممن يعلم أنه مفارق الدنيا كيف ينكب عليها ويقطع أيامه بمحبتها والعجب ممن يعلم أنه راجع إلى الله كيف ينحرف عنه ويلتفت لغيره والله غفلتكم هذه خطب جسيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، بالكذب تنشرحون وفي بساتين الجهل تسرحون وبأمر الرزق تحتالون ومن العذاب تأمنون وكأنكم ما قرأتم ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ سورة المؤمنون آية ١١٥» أو كأنكم ما سمعتم ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات ٥٦» إ.هـ

١٠٢- وقال رضي الله عنه ص١١٢: إخواني إن غركم لباس الحكم والأعيان وزينتهم وسلاحهم وضاقت صدوركم بهذا فاذهبوا إلى المقابر وانظروا وآياءهم تجدون الكل في التراب والله أعلم بمن هو في النعيم وبمن هو في العذاب فأنتم كذلك مع هؤلاء تتساوون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ الشعراء الآية ٢٢٧» إ.هـ

١٠٣- وقال رضي الله عنه ص١١٢-١١٣: يا ولدي إياك من الاشتغال بما لا يعينك من الكلام والأعمال وغيرها وارجع بنفسك عن طريق الغفلة وادخل من باب اليقظة وقف بميدان الذل والانكسار واخرج من مقام العظمة والاستكبار فإنك

من مضغة ابتداؤك وجيفة انتهاؤك فقف بين الابتداء والانتهاء بما يليق لمقامها. وإياك يا ولدي من الحسد فإن الحسد أم[1] الخطايا لأن الشيطان لما حسد آدم تكبر عليه وأبى أن يسجد له وكذب عليه حين حلف له ولحواء ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ الأعراف آية ٢١»، فطرد من رحمة الله تعالى فالكذب والكبر والحسد سبب بطرد العبد من باب الرب[2] فلا تعود نفسك على هذه الخصال قطعا واقطع نفسك إلى الله واعلم بأن الرزق مقسوم فإذا تحققت بذلك ما حسدت واعلم بأنك ميت فإذا تحققت بذلك ما تكبرت واعلم بأنك محاسب فإذا تحققت بذلك ما كذبت واغضض طرفك عن النظر إلى أعراض الناس فضلا عن العمل الرديء فإنك كما تدين تدان وكما أن لك أعين فلغيرك عيون وكما أنت يولى عليك وأمسك لسانك عن مذمة الخلق فإن للخلق ألسنا نظرك فيك يكفيك وكما تقول بالناس يقولون فيك، وحاسب نفسك في كل يوم واستغفر الله كثيرا وكن طبيب نفسك ومرشدها ولا تغفل عن حساب نفسك وإياك والاشتغال بحظ النفس إ.هـ

١٠٤- وقال رضي الله عنه ص١١٣: اطلبوا من الله الإعانة على نفوسكم حتى تغلبوها ويظفركم عليها إ.هـ

١٠٥- وقال رضي الله عنه ص١١٣: يا فقراء تقيدوا بأشغالكم حتى تشتغلوا عن الخلق وأحوالهم ولكن اشتغلوا بما يكون لكم فيه الفائدة الدنيوية والأخروية إ.هـ

وقال رضي الله عنه ص١١٣: قوموا الليل وداوموا على خدمة والديكم وعظموهم وأجلوهم إ.هـ

---

(١) أي أن الحسد يوصل إلى الكفر والمهالك كما حصل لإبليس لما حسد آدم عليه السلام. وليس معناه أن الحسد أشد من الكفر بل الكفر هو أشد الذنوب على الإطلاق ولكن بشؤم الحسد وبسببه يصل الحاسد أحيانا إلى الكفر.

(٢) أي يحجبه ذلك عن الترقي في الكمالات

١٠٦- وقال رضي الله عنه ص١١٣: إن قدرتم أعطوا الصدقة فإنها تبرد النار[١] وتزيل غضب الله[٢] والإحسان للوالدين وبرهم يهون سكرات الموت إ.هـ

١٠٧- وقال رضي الله عنه ص١١٣: معاملة عباد الله بالإحسان توصل إلى الله[٣] إ.هـ

١٠٨- وقال رضي الله عنه ص١١٣: إن الصلاة عليه أي الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام تسهل المرور على الصراط وتجعل الدعاء مستجابًا إ.هـ

١٠٩- وقال رضي الله عنه ص١١٣: إن الفقير كالمرآة فكل شيء ينظره يراه في وجوده من أمور الدنيا مرتسما وإذا اختلط في الخلق ورأى ما في أيديهم وملابسهم صدأت مرآته فلا ينبغي له أن يخطر بباله شيء من أمور الدنيا وكلما حفظ الفقير نفسه من ذلك انكشفت مرآته فلا ينبغي له أن يخطر بباله شيء من أمور الدنيا وكلما حفظ الفقر نفسه من ذلك انكشفت مرآته وانجلت وظهر في المغيبات وارتسمت إ.هـ

١١٠- وقال رضي الله عنه ص١١٣: يجب على الفقير أن يقطع لسانه عن غير الحق وإذا أراد أن يتكلم بكلام فلازم عليه أن يعرف ما يترتب عليه وما يتنتجه وإذا أراد أن يسكت فلا يسكت إلَّا عن حسن سكوت وحلم وإذا سئل الفقير سؤالا فينبغي أن لا يعجل بالجواب وإذا أجاب فيكون جوابه عن تأمل وتفكر، وعلى الفقير إذا رأى من هو أعرف منه يستفيد منه ويحذر من الكلام معه في الخطأ والزلل والغلط والشيء الذي لا يعرفه لا يذكره ولا يتفوَّه به إ.هـ

١١١- وقال رضي الله عنه ص١١٤: إن لم يكن القلب منورًا بنور العبادة والطاعة وأفعال الخيرات كان مهبط الشيطان ويلقي صاحبه في ظلم الباطل ويجره إلى الشقاوة فنعوذ بالله من ذلك إ.هـ

---

(١) أي في القبر تخفف عن المؤمن المتصدق وليس المراد بذلك نار جهنم أو يخفف عن المسلم المتصدق في الآخرة من غير أن تبرد نار جهنم.

(٢) أي آثار الغضب وأما صفات الله فلا تتغير ولا تتبدل.

(٣) أي إلى رضى الله.

١١٢- وقال رضي الله عنه للشيخ يعقوب يوصيه ص١١٥: يا شيخ يعقوب لا تنظر إلى عيوب الخلق فإن نظرت إلى عيوبهم أظهر الله فيك جميع العيوب وإن كان ما فيك عيب، يا شيخ يعقوب لا تنحرف عن الطريق المستقيم ولا تراع هوى النفس وشهوتها بل راع التقوى وأنواع الطاعة وملازمة السنة والجماعة، يا شيخ يعقوب من اللازم عليك ترك الدنيا ومخالفة النفس والحذر من الهوى والهوس فإنهما أكبر أعدائك وإنما ذكرت هذه الوصية لك لأنها موصلة إلى الحق وباعثة على معرفة طريقه، يا شيخ يعقوب اعلم أن التوفيق في جميع الأحوال إنما هو من الله سبحانه وتعالى إ.هـ

١١٣- وقال رضي الله عنه لسيدي إبراهيم ص١١٥-١١٦: يا إبراهيم كل من أراد أن يكون لك شيخًا فكن أنت مريدًا له وكل من تقدم عليك فقدمه وعظمه إ.هـ

١١٤- وقال رضي الله عنه ص١١٦: يا إبراهيم اتخذ الفقراء أصحابًا وأحبابًا وعظمهم وكن مشغولًا بخدمتهم وإذا جاء لك واحد منهم فانتصب له على أقدامك وتذلل له وإذا وقعت خدمتك معهم في حيز القبول فاسألهم الدعاء الصالح لعل تعمر لك عندهم منهم مقاما في قلوبهم إ.هـ

١١٥- وقال رضي الله عنه ص١١٦: يا إبراهيم لا تنظر إلى الفقراء بعين الحقارة ولا تعبهم لأجل أفعالهم فإنهم إذا صدر منهم فعل يظنه الناس قبيحًا فإنه عند الله مقبول، يا إبراهيم جاهد نفسك لكي تكون من الفقراء وكن شبيهًا بهم وفي صورتهم، فقد ورد في الحديث الشريف، قال رسول الله ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم ومن أحب قومًا حشر معهم**» رواه أبو داود و أحمد، يا إبراهيم اجعل ردائك الفقراء من صميم قلبك واصرف مقدورك في خدمتهم واطلب رضاهم إ.هـ

١١٦- وقال رضي الله عنه ص١١٦: العاقل الكامل هو الذي إذا طلب شيئًا طلبه بإذن الله ومشيئته ومن علامة الفقير أنه إذا أعطى شيئًا أعطاه لوجه الله ومرضاته لا لشيءٍ آخر غير ذلك إ.هـ

١١٧- وقال رضي الله عنه ص١١٦: مقصودي أني لا أعرف أحدًا ولا أحد يعرفني، ومرادي أني أربط في عنقي حبل ليف وأدور به من المدينة إلى المدينة حتى ألحق نفسي بأهل السلامة إ.هـ

١١٨- وقال رضي الله عنه ص١١٦-١١٧: لا تخالط أحدًا لأجل الدنيا ولا تعامله ولا تصاحب أحدًا من أهلها كي لا يحصل لك من مجلسه وملازمته نقصان إ.هـ

١١٩- وقال رضي الله عنه ص١١٧: لا تكون أحقر وأرذل من عبد ليس بينه وبين عباداللّه إلفة و محبة بل مثل هذا لا يكون به نفع إ.هـ

١٢٠- وقال رضي الله عنه ص١١٧: لا يعجب أحد منكم بنفسه ويقول في نفسه: إن الذي أعطاه اللّه لي ما هو عند أحد ولا بلغه أحد غيره ولا يصل أحد إلى مكاشفته ولا خصائله فإن هذه دعوى منه ينكرها الشرع ومخالفة له وهي كاذبة ولا يجوز الاعتماد على ذلك فإن ذلك غرور إ.هـ

١٢١- وقال رضي الله عنه ص١١٧: إذا رأيتم شخصًا يضر الناس ويريد أن يتحملوا ضرره وأن يعتمدوا أقواله وأفعاله ويكون قدوة لهم فكونوا من مثل هذا الشخص على حذر ولا تخالطوه كي لا يحصل لكم منه الضرر إ.هـ

١٢٢- وقال رضي الله عنه ص١١٧-١١٨: أنا تجارتي خدمة النساء الأرامل واليتامى، وأحب أن أشهد نفسي في خدمتهم دائمًا، وإذا رأيت يتيما يبكي تهتز مفاصلي وترتعد أعضائي حنانة له وشفقة عليه وأخاف من بكائه إ.هـ

١٢٣- وقال رضي الله عنه ص١١٨: من اللازم على الفقير إذا نزل بمحل ينفع وينتفع إ.هـ

١٢٤- وقال رضي الله عنه ص١١٨: اعشقوا واختاروا العزلة وانظروا ما يظهر لكم ويصل من الفوائد الكثيرة إ.هـ

١٢٥- وقال رضي الله عنه ص١١٨: تعلموا العشق من الشمع فإن لونه أصفر وعينه

ملآنة بالدموع وبدنه دائماً في احتراق وانمحاق. واعلم أن العشق له ثلاثة أحوال محمودة: الأكل القليل، والنوم القليل، والكلام القليل. فنتيجة الأول النوم القليل، ونتيجة الثاني العقل والفراسة، ونتيجة الثالث الحكمة إ.هـ

١٢٦- وقال رضي الله عنه ص١٢٠: العبودية الوفاء بالوعد والحفظ للعهود والرضا بالموجود والصبر على المفقود إ.هـ

١٢٧- وقال رضي الله عنه ص١٢٣: الزهد أول قدم القاصدين إلى الله تعالى فمن لم يحكم أساسه فيه لم يصح له شيء مما بعده من المقامات إ.هـ

١٢٨- وقال رضي الله عنه ص١٢٤: لا شيء أضر بالمريد من مساحته لنفسه في ركوب الرخص وقبول التأويلات إ.هـ

١٢٩- وقال رضي الله عنه ص١٢٤: الرجاء ارتياح القلب لرؤية كرم المرجو والزهد سلو القلب عن الأسباب ونفض الأيدي من الآمال وحقيقة التبري من الدنيا وجود الراحة في الخروج منها والقناعة والإكتفاء بالبلغة وحقيقتها ترك التشوق إلى المفقود والاستغناء بالموجود إ.هـ

١٣٠- وقال رضي الله عنه ص١٢٦: عوّدوا ألسنتكم الخير إ.هـ

١٣١- وقال رضي الله عنه ص١٢٦: من صبر قدر إ.هـ

١٣٢- وقال رضي الله عنه ص١٢٦: خيانة الشريك تذهب البركة إ.هـ

١٣٣- وقال رضي الله عنه ص١٢٦: المؤمن كله رحمة أين كان إ.هـ

١٣٤- وقال رضي الله عنه ص١٢٦: خير الناس من ينفع الناس إ.هـ

١٣٥- وقال رضي الله عنه ص١٢٦: خدمة الفقير تزيد في صحة اليقين إ.هـ

١٣٦- وقال رضي الله عنه ص١٢٦: طريق الحق لا يدر إلا بالصبر إ.هـ

١٣٧- وقال رضي الله عنه ص١٢٦: ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة إ.هـ

١٣٨- وقال رضي الله عنه ص١٢٦: من اعتز بغير الله ذلّ إ.هـ

١٣٩- وقال رضي الله عنه ص١٢٦: من تزوَّج لله كُفِيَ وَوُقِيَ إ.هـ

١٤٠- وقال رضي الله عنه ص١٢٦: من حرم اليقين حرم درجة المتقين إ.هـ

١٤١- وقال رضي الله عنه ص١٢٦: أكل الجماعة بركة وتنزل فيه الرحمة إ.هـ

١٤٢- وقال رضي الله عنه ص١٢٦: الأمر أعظم مما يظنون وأصعب مما يتوهمون إ.هـ

١٤٣- وقال رضي الله عنه ص١٢٧: من أهان نفسه لله أعزه الله بالتقوى إ.هـ

١٤٤- وقال رضي الله عنه ص١٢٧: من حقر فقيرًا لفقره وفاقته حقَّره الله إ.هـ

١٤٥- وقال رضي الله عنه ص١٢٧: تدبّروا القرءان المجيد فقد دلكم على الأمر السديد إ.هـ

١٤٦- وقال رضي الله عنه ص١٢٧: العاقل لا يشكو لا إلى قاض ولا إلى سلطان إ.هـ

١٤٧- وقال رضي الله عنه ص١٢٧: إن نازعني أحد تركت منازعته ومزاحمته إ.هـ

١٤٨- وقال رضي الله عنه ص١٢٧: ليس من التصوف أحبوني ولا أكرموني ولا زوروني إ.هـ

١٤٩- وقال رضي الله عنه ص١٢٧: ما وقف على باب أحد من أهل الدنيا كامل المعرفة إ.هـ.

١٥٠- وقال رضي الله عنه ص١٢٧: ما ثبت عن فقير أخذ مال الفقراء إ.هـ

١٥١- وقال رضي الله عنه ص١٢٧: من عصى الله أطمع الله فيه خلقه إ.هـ

١٥٢- وقال رضي الله عنه ص١٢٧: الوقت سيف إن قطعته وإلا قطعك، والسعيد لا يهمل وقته إ.هـ.

١٥٣- وقال رضي الله عنه ص١٢٧: الإيمان والإسلام أن تنصف من نفسك وتؤدي الحق الذي عليك إ.هـ

١٥٤- وقال رضي الله عنه ص١٢٧: لا يعرف قدر نعمة الله إلا عبد أيد بالتوفيق إ.هـ

١٥٥- وقال رضي الله عنه ص١٢٧: لا يكون الرجل رجلًاحتى يظهر أثر بركته من بعده إ.هـ

١٥٦- وقال رضي الله عنه ص١٢٧: اقرأ القرءان بخوف ووجل ومهابة وذلّة فرب قارئ القرءان والقرءان يلعنه إ.هـ

١٥٧- وقال رضي الله عنه ص١٢٧: أقرب الطرق إلى الله تعالى التعظيم لأمرالله والشفقة على خلق الله إ.هـ

١٥٨- وقال رضي الله عنه ص١٢٨: علامة الفقير الصادق جمع الهم والطرف وحضور القلب وسكون الجوارح إ.هـ

١٥٩- وقال رضي الله عنه ص١٢٨: قلة الطعام وقلة الكلام وقلة المنام تورث الدخول إلى دار السلام إ.هـ

١٦٠- وقال رضي الله عنه ص١٢٨: من لم يرفع قضيته إلى الله عز وجل عجز وضل عن الطريق إ.هـ

١٦١- وقال رضي الله عنه ص١٢٨: هلاك الرجل نفسه وخلاصه حرف وجه عنها، فمن ملكته ذلّ ومن ملكها ساد إ.هـ

١٦٢- وقال رضي الله عنه ص١٢٨: إذا أراد الله بعبد خيرًا بغّض إليه الدنيا وأهلها وحبّب إليه الآخرة وأهلها إ.هـ

١٦٣- وقال رضي الله عنه ص١٢٨: إذا رضي ربي فقد هانت عليّ مصائبي، وإن أبعدني فقد عظمت علي نوائبي إ.هـ

١٦٤- وقال رضي الله عنه ص١٢٩: تعلموا خلال[1] التصوف تعليمًا وأكرهوا النفس

---

(١) أي صفات.

عليها فإن هداة الحق في هذا الزمان قلّت إ.هـ

١٦٥- وقال رضي الله عنه ص١٢٩: الإرادات على ثلاث: الثقة بوعد الله، والفراغ لأمر الله، ودوام قرب باب الله إ.هـ

١٦٦- وقال رضي الله عنه ص١٢٩: أمور الدنيا تنقضي بقليل وكثير أمور الآخرة ليس منها بدّ ولا عنها غنى، والاشتغال بغير أمور الآخرة عناء إ.هـ

١٦٧- وقال رضي الله عنه ص١٣٠: من اشتغل بالعلم كان له معنا سهمان، سهم العلم وسهم الفقر، ولو انقطع عن المجيء إلينا بالاشتغال فيه إ.هـ

١٦٨- وقال رضي الله عنه ص١٣٠: انقبض عن أهل النقائص وأهل الفضول، وكل من ترى الزيادة بفضله فاصحبه ومن ترى النقيصة بصحبته فلا تصحبه إ.هـ

١٦٩- وقال رضي الله عنه ص١٣١:

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن
ما دون رائحة الرحى حصن لمن يتحصن

وكل يوم ينادي ملك الموت من بين أيدينا ومن خلفنا: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾، وظلمات أجداثنا تنتظر ولوج أجسادنا ونحن غرقى في غمرة غفلتنا وسكرة شهواتنا، فيا أيها العاقل إلى متى تصرف نفسك عن طريق النجاة إلى سبيل المعاطف والمهلكات وتصرفها عن فسحة الطاعات إلى مضايق المخالفات وتعرضها لما بين يديها وتسقيها من كؤس الخطيئات وأدناس السيئات وتوردها موارد الفتن والآفات إ.هـ.

١٧٠- وقال رضي الله عنه ص١٣٢: اعلموا وافهموا أن العاقل متيقظ محزون وأن الجاهل غافل مفتون، فتنبه أيها الغفول وتيقظ أيها الجهول، وانتبه من سنّة الغفلة الغائلة والمصيبة الهائلة ولا يغرنك سلامتك القصيرة بإتلاف نفسك ومهجتك الحقيرة وقم في ظلام الليل مبتهلا إلى مولاك وابسط أناملك بصدق عملك ودعائك، واسأل الملك الجبار ليغفر لك الذنوب والأوزار، وامسح من جفونك

مدامع الندم، وتضرّع تضرّع الخدم فعسى أنك من سكرك تفيق وترجع بعد حجرك إلى الطريق، وانظر بعين اليقظة وتأمل شأنك في كل لحظة وأبصر بعين قلبك يا مسكين وأصلح رشدك بصحة اليقين هل كان لهذه الدنيا الغدارة صديق إلَّا صرعته أو صاحب إلَّا فجعته أو أعطت أحدًا إلّا أخذت منه أضعاف ما أعطته، أو أفرحت أحدًا بفرحة إلاَّ أعقبته نوحة، فهذه طريق الجنة لائحة لطالبها ومحجة الحق واضحة لراكبها، ولكنها عن أعين هذا الخلق محجوبة مستورة، فإذا ماتوا كشف لهم الحجاب وشاهدوا ما قدموا مسطورًا في كتاب إ.هـ

١٧١- وقال رضي الله عنه ص١٣٢: إن العاقل يتفكر في فناء العمر ووقوع الأجل وما بين يديه من الأموال ويتحفظ من الزلل ويبادر لتجويد العمل، أجل، وينبغي له التأهب إلى الموت واللقاء وإن الواجب عليه الإستعداد لهذا الأمر المهم والخطب الملم، فيا لها من صرعةٍ ما أعظمها وفجعة ما أصعبها تتجدد عندها الحسرات على التفريط في أيام الغفلات والبطالات يستنبط فيها من الإعمال وتقع فيها الرجال وتصير السنين شهور والشهور أيام والأيام ساعات والساعات أنفاسٌ والأنفاس معدودة كل نفس ما عمل فيه، إن كان خيرًا فخير وإن كان شرًا فشر إ.هـ

١٧٢- وقال رضي الله عنه ص١٣٦: يكون الفقير جوّال الفكر جوهري الذكر كثير حلمه عظيم حكمه جميل المنازع قريب المراجع أوسع الناس صدرًا وأذلهم نفسا، كثير العطاء قليل الأذى، ضحكه تبسمًا واستفهامه تعليمًا، مذكرًا للغافل معلمًا للجاهل، لا يؤذي من يؤذيه ولا يخوض فيما لا يعنينه، لا يشمت بمصيبة ولا يذكر أحد بغيبة، نازحًا عن المحرمات واقفًا على الشبهات، عونًا للغريب أبًا لليتيم، بشره في وجهه وذكر الله تعالى في قلبه مسرورًا بفقره مشغولًا بنفسه أحلى من الشهد وألين من الزبد، وأصلب من الحديد لا يكشف سرًا ولا يهتك سترًا لطيف الحركات حلو المشاهدات حسن المذاق لين الجانب، طويل الصمت حليمًا إذا جُهل عليه صبورًا على من أساء إليه، مبجل الكبير ويوقره ويرحم الصغير ويؤدبه، أمينًا على الأمانات، بعيدًا عن الخيانات، ألفه التقي وخلقه الحياء

كثير الحذر قليل الزلل حركاته أدب وكلامه عجب، راضيًا وقورا شكورًا لا نماما ولا مغتابًا، ولا حلافًا ولا خباثًا ولا كذابًا ولا عجولًا، ولا طياشًا ولا فحاشًا، ولا حقودًا ولا خؤونًا، الفقير كلامه موزون ولسانه مخزون وقلبه محزون وفكره يجول فيما هو كائن ويكون، والله الموفق لمن يشاء من عباده إ.هـ

١٧٣- وقال رضي الله عنه ص١٣٧: علامة الفقير الصادق إظهار الشبع وهو جائع، والفرح عند الحزن والنشاط عند الكسل، والذل بعد العز، والفقر بعد الغنى، وأن يصير مردودًا بعد أن يكون مقبولًا إ.هـ

١٧٤- كان (الغوث الرفاعي) يسر بأربعة أشياء وإذا نزلت بأصحابه يفرح لهم بها ويسأل الله تعالى لهم الصبر عليها ويقول رضي الله عنه ص ١٣٧: هي شعار الصالحين، الجوع والعُري والفقر والذل إ.هـ

١٧٥- وقال رضي الله عنه ص١٣٧: لما كنت على جبل عرفات بايعت الله تعالى على ترك النفس والعرض والمال إ.هـ.

١٧٦- وقال رضي الله عنه ص١٣٨: النفس ثلاثة أضرب، أمارة وهي نفس الجاهلين والعصاة ولوّامة وهي نفس المؤمن تسره حسنته وتسوؤه سيئته، ومطمئنة وهي نفس المؤمن الموفق العارف إ.هـ

١٧٧- وقال رضي الله عنه ص١٣٨: مجالسنا هذه مجالس المتأسف لأن الفقير لا يزال متأسفا على ما فاته متحسر على إدراك الفضائل، يرجوا الحق سبحانه ويخافه، وإن سمع شيئًا من المواصلة رجى ومن المفاصلة خاف وإن دعى أجيب إ.هـ

١٧٨- وقال رضي الله عنه للفقراء ص١٣٨: لا تضيعوا أوقاتكم بما ليس لكم فيه راحة فما يمضي منكم نفَس الا وهو معدود عليكم، وإياكم وما تعتذرون منه واحفظوا وقتكم وقلوبكم من أعز الاشياء الوقت والقلب فإذا أهملتم الوقت وضيعتم القلب فقد ذهبت منكم الفوائد، واعلموا أن الذنوب تعمي القلوب وتسودها وتمرضها إ.هـ

١٧٩- وقال رضي الله عنه للفقراء ص١٣٨: استعينوا بالله عما في أيدي الناس فما استغنى أحد بالله إلا افتقر الناس عليه واجتنبوا المزاح والممارات وإخلاف الوعد إ.هـ

١٨٠- وقال رضي الله عنه للسيد إبراهيم الأعزب قدس سره ص ١٣٩ من علم ما يحصل له هان عليه ما يبذل إ.هـ

١٨١- وقال رضي الله عنه ص١٣٩: لما انداست الطرق بالأقدام صلحت للسلامة والنجاة وصارت مقصدًا لكل أحد وكذلك الفقير إذا كسر نفسه وذل وانداس واحترق بين يدي الله تعالى كان معدن الخيرات ومقصد الراحات وصار كالغيث أين وقع نفع وانتفع به فيكون رحمة وسكينة على خلق الله تعالى إ.هـ

١٨٢- وقال رضي الله عنه للسيد عبد الرحيم قدس الله سره ص١٣٩: من لم يكسر نفسه لم يبلغ مراده ولم يبلغ مبالغ الرجال ولم تشد نحوه الرحال إ.هـ

١٨٣- وقال رضي الله عنه ص١٤٣: من علامة الفقير أنه إذا تكلم تكلم بالحكمة وإذا تحرك تحرك للخدمة إ.هـ

١٨٤- وقال رضي الله عنه في سورة النبأ والطارق ص١٤٥: من قرأهما أمِن من عذاب يوم القيامة وظفر لمراده ونصر على أعدائه وحاز أجرا جزيلًا وثوابًا عظيمًا، وسورة التكاثر من قرأها في همٍ فرج الله عنه همه وكفاه شره وأمن من مصائب الدنيا وعصم من الشيطان. إ.هـ[1]

١٨٥- وقال رضي الله عنه ص١٤٦: أي فقراء عليكم بقراءة القرءان ومن لم يعرف القرءان فعليه بقراءة قل هو الله أحد فإن قرائتها ثلاث مرات ختمة[2] إ.هـ

١٨٦- وقال رضي الله عنه ص١٤٦: أي أولادي عظموا شأن أهل البيت وأكرموهم

---

(١) هذا من أقوال بعض العلماء.

(٢) أي له ثواب يشبه ثواب من ختم القرءان. قاله المناوي في فيض القدير.

وبجلوهم وإذا سمعتم أحدا يقول في شأنهم أشياء قبيحة فانكروها إن استطعتم وإلا فاجعلوا أصابعكم في آذنكم، قال الله في حقهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ سورة الأحزاب آية ٣٣»، وقال الله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الشورى آية ٢٣» إ.هـ

١٨٧- وقال رضي الله عنه في شأن المشايخ والأولياء العارفين الواصلين رضي الله عنهم أجمعين ص١٤٩: إن هؤلاء القوم هم الذين سبقت لهم من ربهم الحسنى أعطاهم ابتداء من غير سؤال وتوجهم بتاج الكرامة والإجلال هؤلاء ورثة الأنبياء وصفوة إلٰه السم انتهى ما نقلناه من كتاب الفجر المنير لأبي الهدى الصيادي إ.هـ

١٨٨- وقال رضي الله عنه في ما يرويه عنه الإمام السيد محمد سراج الدين المخزومي في كتابه رحيق الكوثر من كلام الغوث الرفاعي الأكبر[1] أقرب الطرق إلى الله الانكسار والذل لله والشفقة على خلق الله والتمسك بسنة سيدنا محمد رسول الله ﷺ» إ.هـ

١٨٩- وقال رضي الله عنه ص٦: « الدنيا والآخرة بين كلمتين عقل ودين» إ.هـ

١٩٠- وقال رضي الله عنه ص٦: «العاقل لا يطلب المعدوم حتى يبذل الموجود» إ.هـ

١٩١- وقال رضي الله عنه ص٦: «العقل ما عقل النفس وأوقفها عند حدها في أخذها وردها» إ.هـ

١٩٢- وقال رضي الله عنه ص٦: «كل العقل التخلص من الحجب المستعارة» إ.هـ.

١٩٣- وقال رضي الله عنه ص٦: «لا تعتبروا المسلم إلا بالإنصاف فمتى أنصف فهو مسلم (يعني كاملًا)» إ.هـ

١٩٤- وقال رضي الله عنه ص٦: «لا يُنصح من يُتوسم فيه مخايل القبول» إ.هـ

---

(١) رحيق الكوثر من كلام الغوث الرفاعي الأكبر للسيد محمد سراج الدين الرفاعي المخزومي (المطبعة الأدبية - بيروت ١٨٨٧م ص٦).

١٩٥- وقال رضي الله عنه ص٦: «حاسدك لا يرضى عنك أبدا» إ.هـ

١٩٦- وقال رضي الله عنه ص٦: «طريقي جمع الهمة وحضور القلب، والأدب مع الخالق والخلق» إ.هـ

١٩٧- وقال رضي الله عنه ص٦: « دفتر حال الرجال أصحابه» إ.هـ

١٩٨- وقال رضي الله عنه ص٦: «أفضل العمل ما قارنه العلم» إ.هـ

١٩٩- ووقال رضي الله عنه ص٧: «الدعوة رعونه لا يحتملها القلب فيلقيها إلى اللسان فينطق بها لسان الأحمق» إ.هـ

٢٠٠- وقال رضي الله عنه ص٧: «استحسان الكون على العموم نور واستحسانه على الخصوص ظلمة» إ.هـ

٢٠١- وقال رضي الله عنه ص٧: «كن ذنبًا ولا تكن رأسًا فإن الضربة أول ما تقع في الرأس» إ.هـ

٢٠٢- وقال رضي الله عنه ص٧: « لا يكون أحقر وأرذل من عبدٍ ليس بينه وبين عباد الله ألفةً ومحبةً بل مثل هذا لا يكون به نفعٌ أبدًا» إ.هـ

٢٠٣- وقال رضي الله عنه ص٧: «من رأى أعرف منه فلم يستفد منه ترفعًا فهو جاهل مبعود» إ.هـ

٢٠٤- وقال رضي الله عنه ص٧: « العز بالذل والشرف بالقناعة والعلم بالتواضع» إ.هـ

٢٠٥- وقال رضي الله عنه ص٧: « العجب داء وضيع تترفع عنه العقول العالية» إ.هـ

٢٠٦- وقال رضي الله عنه ص٧: « تجارة العارفين في الدنيا والآخرة حسن الخلق» إ.هـ

٢٠٧- وقال رضي الله عنه ص٧: « الزم القرءان بالموافقة والخلق بالمناصحة والنفس بالمحاربة» إ.هـ

٢٠٨- وقال رضي الله عنه ص٨: «الخلق كلهم لا يضرون ولا ينفعون حجب نصبها لعباده فمن رفع تلك الحجب وصل الى محبته وإكرامه» إ.هـ

٢٠٩- وقال رضي الله عنه ص٨: « لن يصل العبد إلى مرتبة الكمال وفيه بقية من حروف من أنا» إ.هـ

٢١٠- وقال رضي الله عنه ص٨: « رُبَّ عثرة[١] أوصلت الحفرة» إ.هـ

٢١١- وقال رضي الله عنه ص٨: «رح وتعال» إ.هـ

٢١٢- وقال رضي الله عنه ص٨: «الرجل المتمكن فعال غير قوال» إ.هـ

٢١٣- وقال رضي الله عنه ص٨: «الولي إذا تجاوز حده مع إخوانه يعد في الحضرة ناقصًا» إ.هـ

٢١٤- وقال رضي الله عنه ص٨: «أدب صحبة من فوقك الخدمة ومن هو مثلك الإيثار والفتوى ومن دونك الشفقة والتربية والمناصحة» إ.هـ

٢١٥- وقال رضي الله عنه ص٨: «الزهد قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء من زهد في الدنيا وكل الله به ملكًا يغرس الحكمة في قلبه» إ.هـ

٢١٦- وقال رضي الله عنه ص٩: «علامة العاقل الصبر عند المحنة والتواضع عند السعة والأخذ بالأحوط وطلب الباقي سبحانه[٢]» إ.هـ

٢١٧- وقال رضي الله عنه ص٩: «من أخذ الناس بقوته القاهرة ترك في قلوبهم الضغائن عليه كيف كان ومن أخذ الناس بانكساره ترك في قلوبهم الاعتراف له عَزَّ أو هان» إ.هـ

٢١٨- وقال رضي الله عنه ص٩: «الرجل من يفتخر به شيخه لا من يفتخر بشيخه».

---

(١) - أي الزلّة.

(٢) أي طلب رضى الله.

٢١٩- وقال رضي الله عنه ص٩: «هذه الطريقة لا تورث عن الأب والجد إنما هي طريقة العمل والجد والوقوف عند الحد وذرف الدموع على الخد والأدب مع الله تعالى» إ.هـ

٢٢٠- وقال رضي الله عنه ص٩: «كل لسان يتكلم مترجمًا عن حضرة القلب يظهر بضاعتها ويفتح خزانتها فمن طهرت حضرة قلبه طاب لسانه وعذب بيانه» إ.هـ

٢٢١- وقال رضي الله عنه ص٩: «لا دواء للحمقى ولا دافع للحق ولا صحبة للمغرور ولا عهد للغادر ولا نور للغافل ولا إيمان[١] لمن لا عهد له» إ.هـ

٢٢٢- وقال رضي الله عنه ص٩: «أساس طريقي دين بلا بدعة[٢] وهمة بلا كسل وعمل بلا رياء وثقة بالله بلا انحراف إلى غيره» إ.هـ

٢٢٣- وقال رضي الله عنه ص٩: «من ادرع بدرع الصبر سلم من سهم العجلة» إ.هـ

٢٢٤- وقال رضي الله عنه ص٩: «كل حال تحوله فيه وكل ظاهر به ما يخفيه» إ.هـ

٢٢٥- وقال رضي الله عنه ص٩: «لا تظن أن صبغك يستر شيبك غيَّره وما ستره» إ.هـ

٢٢٦- وقال رضي الله عنه ص١٠: «مشكك لا يفلح ودساس لا يصل وكلب الدنيا لا يستولي على لحم جيفتها والله محول الأحوال» إ.هـ

٢٢٧- وقال رضي الله عنه ص١٠: «من الحكمة أن تودع المعروف أهله ومن الصدق أن لا تمنعه غير أهله وثمرة الصنيعين من الله تعالى» إ.هـ

---

(١) أي لا إيمان كامل.

(٢) البدعة هنا هي البدعة الاعتقادية وهي كل ما خالف عقيدة أهل السنة والجماعة. البدعة المذمومة القبيحة هي ما خالف الكتاب أو السنة أو الإجماع أو الأثر أما البدعة الحسنة وهي ما لا يخالف شيئًا مما ذكر فهي بدعة مقبولة بدعة هدى وخير هي التي ورد في صحيح مسلم أنه ﷺ قال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده لا ينقص من أجورهم يشيء**».

٢٢٨- وقال رضي الله عنه ص١٠: «أبى العقل إلا إعقال ما بلغه بواسطة الفهم وأبى القلب إلا الترقي إلى ما فوق الفهم» إ.هـ

٢٢٩- وقال رضي الله عنه ص١٠: «المشاهدة حضور قلب بمعنى قرب مقرون بعلم اليقين» إ.هـ

٢٣٠- وقال رضي الله عنه ص١٠: «لو عرف أهل الحجاب قصر الإقامة وطول الغيبة لما خاصموا على هذه الجيفة أحدًا» إ.هـ

٢٣١- وقال رضي الله عنه ص١٠: «رقيب الشبهات عشير الفسق ورقيب العثرات عشير الغدر ورقيب فرصة الخير عشير الإحسان والله يحب المحسنين» إ.هـ

٢٣٢- وقال رضي الله عنه ص١٠: «خير الآثار ما استحسن عقلًا وصح نقلًا ونفع الناس في دينهم ودنياهم» إ.هـ

٢٣٣- وقال رضي الله عنه ص١٠: «أهل الدعوى يتبعهم أهل النفوس المغشوشة بطلب هذه الدنيا الجائفة وأهل الذل والانكسار لله تعالى يتبعهم أهل القلوب الطائرة إلى الله وحده وقليل ما هم» إ.هـ

٢٣٤- وقال رضي الله عنه ١٠: «الكريم حي واللئيم فاجر والحسيب يقبل العذر ويقيل العثرة ويصبر إذا ابتلي والداعي مترفع إذا أمن متواضع إذا خاف مداح إذا أُرضي ذمام إذا غضب لا ميزان له في الحالين» إ.هـ.

٢٣٥- وقال رضي الله عنه ص١١: «من لم يحاسب نفسه على كل نفس ويتهمها لم يُكتب عندنا في ديوان الرجال» إ.هـ

٢٣٦- وقال رضي الله عنه ص١١: « الفتوة أن لا يفاخر الفتى من ءامن بالرحمن وهُدي بالإيمان» إ.هـ

٢٣٧- وقال رضي الله عنه ص١١: «الصديق الذي تسكن النفس إليه ويستريح القلب به» إ.هـ

٢٣٨- وقال رضي الله عنه ص١١: «صديقك من حذرك الذنوب وبصّرك بعيوبك وأخوك من أرشدك إلى الله تعالى» إ.هـ

٢٣٩- وقال رضي الله عنه ص١١: «ظلك ما أظلك ورداؤك ما سترك وطعامك ما أشبعك ومالك ما لك منه شيء وليس لك من الأمر شيء إن ربي على ما يشاء قدير» إ.هـ

٢٤٠- وقال رضي الله عنه ص١١: «سارت ركبان الناس بما ناسب أهواءهم ووقفت عقائدهم مع كل ما جانس طباعهم» إ.هـ

٢٤١- وقال رضي الله عنه ص١١: «من لم يجعل الهوى عبدًا ذليلًا مسخرًا لدى سلطان الشريعة الذي شرّعه نبيه ورسوله فأين هو من الإيمان» إ.هـ

٢٤٢- وقال رضي الله عنه ص١١: «من أراد ذوق الحكم المحمدية فليلازم هذا الباب وإن رأى موردًا أعذب من موردنا فليذهب إليه فإن أصحاب مائدة الكرم يغارون غيرة الغبطة ولا ينصرون حسدًا عن الحق فيبخسون الناس أشياءهم» إ.هـ

٢٤٣- وقال رضي الله عنه ص١٢: «من أحسن سياسة نفسه ومعاشرة إخوانه فهو عاقل حكيم ومن جهل نفسه وبخس الناس أشياءهم فهو أحمق لئيم» إ.هـ

٢٤٤- وقال رضي الله عنه ص١٢: «على قدر العقل تزكو الأعمال» إ.هـ

٢٤٥- وقال رضي الله عنه ص١٢: «لو كان أكثر الناس العقلاء لانبلجت الحجة ولو كثر الاختلاف تفخمًا لظهر السر ولو كتمته النفوس خدعةً» إ.هـ

٢٤٦- وقال رضي الله عنه ص١٢: «العجز والقوة ينعكسان بقوة الزمان وفي الحالين الحكم لله وحده» إ.هـ

٢٤٧- وقال رضي الله عنه ص١٢: «سر مع أدب دينك إلى غاية علمك ويقينك» إ.هـ.

٢٤٨- وقال رضي الله عنه ص١٢: «الولاية أدب ديني وخلق محمدي فمن تجاوزهما فقد سقط والله الهادي إلى سواء السبيل» إ.هـ

٢٤٩- وقال رضي الله عنه ص١٢: «كلمة الحق دائمًا قائمة ولو انحجب نورها بأبخرة الأيام لأن الحق مستتر في حقائق الأمور» إ.هـ

٢٥٠- وقال رضي الله عنه ص١٢: «أتم الفناء عقل واسع ووجه بشوش ولسان عذب وجوهر الكل تقوى الله» إ.هـ

٢٥١- وقال رضي الله عنه ص١٢: «القلب كالسيف لا يقطع إلا إذا جرد وانتدب» إ.هـ

٢٥٢- وقال رضي الله عنه ص١٣: «المروءة أن تحمل نفسك فوق طاقتها وكمال المروءة أن تجعل الحمل[١] لله» إ.هـ

٢٥٣- وقال رضي الله عنه ص١٣: «قل لمدعي الوحدة المطلقة أنت محوز عن غيرك بجهتك ومكانك وهو منزه عن الجهة والمكان وأنت محاط بثوبك وهو بكل شيء محيط[٢] وأنت مسور بالعجز في كل شيء وهو على كل شيء قدير، فكذّب وهمك كما كذّبك وجودك لتدخل في أعداد المؤمنين الصادقين» إ.هـ

٢٥٤- وقال رضي الله عنه ص١٣: « كل ما يطرأ عليه الحدث من جانب فهو حادث فاتق الله ونزه ربك فإن التوحيد إفراد القديم عن الحدث» إ.هـ

٢٥٥- وقال رضي الله عنه ص١٣: «الخلق الحسن تجارة رابحة والقناعة كنز والزهد عز والعلم شرفٌ والتوكل حرزٌ والعقل سفينة النجاة» إ.هـ

٢٥٦- وقال رضي الله عنه ص١٣: «مرارة العقوبة تنسي حلاوة الذنب» إ.هـ

٢٥٧- وقال رضي الله عنه ص١٣: «ما حلّ العلم فجًّا إلا ورحل عنه الجهل ولا يكون

---

(١) أي أن يفوض أمره كله لله.

(٢) إحاطته لكل شيء بالعلم فهو بكل شيء عليم وليس معناه أن يكون ظرفًا وكل شيء مظروف فيه فهذا مستحيل على الله عز وجل لأنه ليس جسمًا ولا يشبه الأجسام فهو ليس كقشرة البرتقالة التي تحيط بما في داخلها بل من قال ذلك فهو مشبه والمشبه كافر بالإجماع.

ذلك إلا إذا عَظُمَ العلم» إ.هـ

٢٥٨- وقال رضي الله عنه ص١٣: «صولة الباطل تختم بالوهن ووهن الحق يُختم بالصولة» إ.هـ

٢٥٩- وقال رضي الله عنه ص١٣: «أهل الدعوى فعلهم دون قولهم وأهل الكمال قولهم دون فعلهم» إ.هـ

٢٦٠- وقال رضي الله عنه ص١٣: «أهل الصفا من العارفين لا يرون لأنفسهم على غيرهم مزية» إ.هـ

٢٦١- وقال رضي الله عنه ص١٣: « غرور الرجل بوقته طيش وغروره بعلمه جهل» إ.هـ

٢٦٢- وقال رضي الله عنه ص١٣: «العالم العاقل يزيد علمه بكل شيء يأخذ من أجهل الناس أشرف ما عنده مما يدخل في ميزان العلم ولا يشين علمه بشيء من جهله ولا يترفع عليه بعلمه إلا إذا أهين علمه فيقوم لإعزاز العلم ولكن بسلاح العقل» إ.هـ

٢٦٣- وقال رضي الله عنه ص١٤: «أشرف البدايات الإيمان وأشرف الأواسط الترقي في مراتب الإيمان وأشرف الخواتيم الحصول على الإيمان الكامل والأمور بخواتيمها والله ولي المتقين» إ.هـ

ما نقلناه من كتاب رحيق الكوثر من كلام الغوث الرفاعي الأكبرللإمام السيد محمد سراج الدين الرفاعي المخزومي.

٢٦٤- قال رضي الله عنه في كتابه البرهان المؤيد[1] ما نصه: «أيها السالك» إياك ورؤية النفس، إياك والغرور، إياك والكِبْر، فإن كل ذلك مهلك، ما دخل ساحة القرب من استصغر الناس واستعظم نفسه، من أنا ومن أنت؟» إ.هـ

(١) - البرهان المؤيد (طبعة دار المشاريع- الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤ر ص٢٣).

٢٦٥- ثم قال رضي الله عنه ص١٩: «الوليّ الجامع لا يرى بعد تمكنه في مقام النهاية فرقا لنفسه على غيره[١] مع شهوده نعمة الله فيه ءاخذا بسبيل نبيه ﷺ الذي سلكه بأمر ربه لما قال له تعالى في القرء ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[٢]، فسقطت الفوقية النوعية بالمثلية الآدمية وشوهدت النعمة القدوسية بذكرها المجمل؛ والذي أراه أن الولي الجامع الكامل مع انحجابه عن رؤية الفوقية وتحققه بشهوده النعمة يتأدب أن يذكرها بل يعترف بها ويقوم بشكرها للمنعم تعالى إلا إذا جهل أهل مصره أو أهل عصره قدر نعمة الله عليه فخاف عليهم الوقوع في ورطة من «**ءاذى لي وليا فقد حاربني**» فهنالك يتحدث بالنعمة مراعيا هذه الحكمة صارفا وجهة القلب عن الزهو والعجب والعلو على الأمثال مقتبسا من أشعة نور الهدي المحمدي منطمسا في نفسه لا تحركه زعازع النخوة ولا تهشه عواصف الأكوان ويتساوى عنده مع ثباته على الحق المدح والذم والذل والعز والفقر والغنى علما بأن القدرة الأزلية النافذة لله تعالى وحده والعبد عجز وضعف ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[٣] وتسليما للحاكم الآمر الفاعل المطلق الذي لا قيد يمنع نوافذ أحكامه وأوامره[٤] وأفعاله[٥] إن ربك على كل شيء قدير» إ.هـ

٢٦٦- وقال رضي الله عنه في ص ٢٤: (أي أي) إن أنا غلبت نفسي المسكينة وقلت لها علّمك الله وأوجب عليك تعليم الإخوان، وكاتم العلم يُلجم بلجام من نار يوم القيامة فتعبك لك، قفي عند حدك، ربما كان فيهم من هو عند الله أجلُّ منك، أخفاه عنك ليختبرك، وبعد ذلك سكنت ثائرتها الكاذبة، وعرفت قدرها، ووقفت عند طورها، فلها الحظ الأوفر، وكذلك أن[illegible] إ.هـ

---

(١) أي يعلم أنه بشر محتاج إلى الله كما أن غيره بشر محتاج إلى الله فلا يرى النعمة صادرة منه غائبا عن المنة.

(٢) الكهف: ١١٠.

(٣) النساء: ٤.

(٤) أي لا شيء يمنع نفاذ ما شاء نفاذه من الأوامر والأحكام.

(٥) أي لا شيء يمنع الله تعالى من فعل ما يشاء.

٢٦٧- وقال رضي الله عنه في ص ٢٥: «أي سادة» أنا لست بشيخ، لست بمقدَّم على هذا الجمع، لست بواعظٍ لست بمعلم، مُت مسلمًا ولا تبال، الإسلام حبلُ الوصلة إلى الله، لو عبدَ اللَّهَ غيرُ المسلم بعبادة الثقلين بعيد عن الله مغضوب عليه، ولو أتى العبد المسلم بذنوب الثقلين له من الله حظ العبودية ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [سورة الزمر]. أحكموا رابطة الوصلة مع الله بشرائط الإسلام «**المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه**» أين أهل الصدق الذين يأمرون الناس بالبر ويأتمرون به؟ أين أهلُ الإيمان الكامل الذين يطلبون الحكمة ولا يقف نظرهم عند موضعها؟ من كمال الإيمان والصدق وعظُك نفسَك، ونفعك غيرَك، وأخذك الحكمة أنَّى وجدتها، كل الفقراء ورجال هذه الطائفة خير مني، أنا حميد اللاش أنا لاش اللاش، لكنَّ الحق يقال الصوفي من صفي سرُّه من كُدرات الأكوان وما رأى لنفسه على غيره مزية» إ.هـ

٢٦٨- وقال رضي الله عنه في ص ٢٥: «أي أخي» أنت غير، ونفسك غير، وغيرك غير، كل ما أدركه بصرك، واختلج بشكله وكيفيته سرك فهو غير، ربنا سبحانه وتعالى لا تكيفه الأَفكار، ولا تدركه الأَبصار إ.هـ

٢٦٩- وقال رضي الله عنه في ص ٣٠: «أي سادة» أحذّركم الدنيا، وأُحذركم رؤية الأَغيار، الأمر صعب، والناقد بصير، إياكم وهذه البَطالات، إياكم وهذه الغفلات، إياكم والعوالم، إياكم والمحدَثات، اطلبوا الكلّ بترك الكل، من ترك الكل نال الكل، ومن أراد الكل فاته الكل، كل ما أنتم عليه من الطلب لا يصلحه إلا تركه والوقوف وراءه، وحّدوا المطلوب تندرج تحت توحيدكم كل المطالب، من حصل له طاعة الله حصل له كل شيء، ومن فاته طاعة الله فاته كل شيء إ.هـ.

٢٧٠- وقال رضي الله عنه: لكل شيءٍ إذا فارقته عِوضٌ وليس لله إن فارقتَ من عِوض

وقد عرفتم العارف لا يخلو ظاهره من بوارق الشريعة، وباطنه من نيران المحبة، يقف مع الأمر، ولا ينحرف عن الطريق، وقلبه يتقلب على جمر الوجد، وجده إيمان، ووقوفه إذعان «**الإحسان أن تَعبُدَ اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» رواه مسلم. هكذا أخبر الصادق المصدوق ﷺ، ألزمنا الإحسان أن نقف أمامه وقوف من يراه، وهو لا تخفى عليه خافية، علمٌ وأمرٌ وإرادةٌ، أقامنا الله أئمة الدعوة إليه بالنيابة عن نبيه ﷺ، من اقتدى بنا سَلِمْ، ومن أناب إلى الله بنا غَنِمْ.

الحق يقال نحن أهل بيتٍ ما أراد سلبنا سالب إلا وسلب، ولا نبح علينا كلب إلا وجَرب، ولا همَّ على ضربنا ضارب إلا وضُرب، ولا تعالى على حائطنا حائط إلا وخَرب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الحج] ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴿٦﴾﴾[سورة الأحزاب]. إنكارُ بوارق الأرواح جهل بمدد الفتّاح، لا تعطيل لكلمة الله ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [سورة الأعراف] يتولّى أمورهم وأمور مناديهم ومن ينزل بناديهم حال حياتهم وبعد مماتهم، العبد إذا كان راحمًا يستر النائم ولا يذكر له ذلك، يوصل الخير إلى الفقير ولا يُعرفه الخبر، الله الرحمن الرحيم العظيم الكريم، ينتصر لعبده الولي من حيث لا يدري، يرزقه من حيث لا يحتسب، تعصمه جبال عنايته من ماء غرق الأكدار والاقتدار، من اعتصم بالله عُصم، ومن وقف مع الأغيار نَدم، قال سيدي الشيخ منصور الرباني رضي الله عنه: «الاعتصام بالله ثقتك به، وتنزيه خواطرك عن غيره» إ.هـ

٢٧١- وقال رضي الله عنه في ص ٣٢: «أي سادة» القوم بايعوا الله بصدق النيات وخالص الطويات على كثرة المجاهدات، وملازمة المراقبات والطاعات، والصبر على جميع المكروهات، وقال سبحانه وتعالى فيهم: ﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأحزاب]. بادَروا ركوب العزائم بالعزم وقوة الحزم، فهجروا المنام، وتركوا الشراب والطعام، وقاموا لله بالخدمة في حنادس الليل والظلام، وخدموا بالخشوع والسهر والقيام، والركوع والسجود والصيام، لنيل مطلوبهم حتى وصلوا إلى مقام القُربِ ومحل الأنس، وظهر لهم سرُّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ

أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ [سورة الكهف] فأعطاهم الدرجة العليا، والمحل الأدنى ولا ريب فالقريب من القريب قريب، والمُحب عند أحباب الحبيب حبيب، حبيب لهم، حبيب لمحبيهم، محبوب عند الله، ترفعه بركة محبته إلى درجة المحبوبية، ما شاء الله كان» إ.هـ

٢٧٢- وقال رضي الله عنه وأرضاه في ص ٣٢: «أي سادة» عليكم بالتقرب من أولياء الله، من والى وليَّ الله والى الله، ومن عادى وليَّ الله عادى الله، من أحب عدوك هل تحبه يا أخي لا والله، ومن أحب محبك هل تبغضه لا، الله أكرمُ من الخَلْق، يُحسن ويُجمِل ويُنعِم ويُكرِم، وهو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، نِعَمُ الله تعالى تُذكر، من قرَّبتْه من العزيز فهو قريب، ومن أبعدته عنه فهو بعيد، أيها البعيد عنا الممقوت منا، ما كان هذا منك يا مسكين، لو كان لنا فيك مَقْصِدٌ يَشهد بحسن استعدادك وخالص حبك إلى الله وأهله اجتذبناك إلينا وحسبناك علينا شئت وإلا، لكنَّ الحق يقال حظك منعك، وعدم استعدادك قطعك، لو حسبناك منا ما تباعدت عنا، خذ مني يا أخي علم القلب، خذ مني علم الذوق، خذ مني علم الشوق، أين أنت مني يا أخا الحجاب، كَشّفْ لي قلبك» إ.هـ

٢٧٣- وقال السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه وأرضاه في ٣٣: «أي أخي» لو سمعت نصحي لتبعتني، لا تقل لو أخذتني تبعتك، أنا على النصيحة، وأنت على كل حال عليك أن تسمع وتَتَّبع، اعمل بطاعة الله، وارضَ بقضاء الله، واستأنس بذكر الله تكن من أصفياء الله، من عرف الله زال همه، العارف من هاجر وتجرّد من الخَلْق» إ.هـ

٢٧٤- وقال رضي الله عنه وأرضاه في ٣٣: «أي سادة» من يتق الله بحفظ السرّ عن ءافات الالتفات إلى السوي يجعل له مخرجًا من حجب الإبعاد، ويرزقه المشاهدة والوصلة من حيث لا يحتسب، سببُ معرفة العبد ربَّه معرفة العبد نفسَه، من عرف نفسه فقد عرف ربه، من عرف نفسه لربه أفنى كليته بطاعة ربه، أوحى

اللَّه إلى داود عليه السلام: «ألا من عرفني أرادني وطلبني، ومن طلبني وجدني، ومن وجدني لم يختر علي حبيبًا سواي».

عجبتُ لمن يقول ذكرتُ ربي ... وهل أنسى فأذكرُ من نسيتُ
أموتُ إذا ذكرتُكَ ثم أحيا ... ولولا ماءُ وصلِكَ ما حييتُ
فأحيا بالمُنى وأموتُ شوقًا ... فكم أحيا عليكَ وكم أموتُ
شربتُ الحبَّ كأسًا بعد كأسٍ ... فما نفِدَ الشرابُ وما رُويتُ» إ.هـ

٢٧٥- وقال الإمام رضي اللَّه عنه في ص ٣٤: «عليكم أي سادة» بذكر اللَّه تعالى فإن الذكر مغناطيس الوصل وحَبْل القرب، من ذكر اللَّه طاب باللَّه، ومن طاب باللَّه وصل إلى اللَّه، ذِكر اللَّه يَثبت في القلب ببركة الصُّحبة، «المرء على دين خليله»، عليكم بنا، صحبتنا ترياق مجرب، والبعد عنا سُم قاتل» إ.هـ

٢٧٦- وقال رضي اللَّه عنه في ص ٣٤: « أي محجوب: تزعُم أنك اكتفيت عنا بعلمك، كم تكون الفائدة من علمٍ بلا عمل؟ ما الفائدةُ من عملٍ بلا إخلاص؟ الإخلاص على حافة طريق الخطر، من يَنهض بك إلى العمل؟ من يداويك من سُم الرياء؟ من يدلّك على الطريق القويم بعد الإخلاص؟ ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النحل]. هكذا أنبأنا العليم الخبير، تظن أنك من أهل الذِّكر، لو كنت منهم ما كنت محجوبًا عنهم، لو كنت من أهل الذكر ما حرمت ثمرة الفكر، صدَّك حجابك، قطعك عملك، قال عليه الصلاة والسلام: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع**» رواه ابن حبان. لازم أبوابنا» إ.هـ

٢٧٧- وقال رضي اللَّه عنه في ص ٣٥: «أي مسكين» تمشي مع وهمك، مع خيالك، مع كذبك، مع عُجبك وغرورك، وتحمل أنانيتك، وتظن أنك على شيء!.. وكيف يكون ذلك؟ تعلَّم علم التواضع، تعلم علم الحَيرة، تعلم علم المسكنة والانكسار» إ.هـ

٢٧٨- وقال رضي اللَّه عنه في ٣٥: «أي بطّال» تعلمت علم الكِبْر، تعلمت علم الدعوى، تعلمت علم التعالي، أيشٍ حصل لك من كل ذلك؟ تطلب هذه الدنيا الجايفة بظاهر حال الآخرة! لَبئس ما صنعت، ما أنت إلا كمشتري النجاسة

بالنجاسة، كيف تُغفل نفسك بنفسك، وتكذب على نفسك وأبناء جنسك؟ لا يَقرُب المحب من محبوبه حتى يَبْعُدَ من عدوه، رمى بعض المريدين ركوته في بعض الآبار ليستقيَ الماء فخرجت مملوءة بالذهب، فرمى بها في البئر وقال: «وحقك لا أريد غيرك». من أثبت نفسه مريدًا صار مرادًا، من أثبت نفسه طالبًا صار مطلوبا، من عكف على الباب دخل الرِّحاب، ومن أحسن القصد بعد الدخول تصدَّر في غرفة الوصلة» إ.هـ

٢٧٩- وقال رضي الله عنه في ص ٣٦: «أَي أخي» لا تجعل غاية همتك ومنتهى قصدك أن تَمُرَّ على الماء، أَو تطير في الهواء، يصنع الطير والحوت ما أردت، طِر بجناح همتك إِلى ما لا غاية دنيّة له، العارف المتمكن لا شيء عنده من العرش إِلى الثرى، أعظمُ من سروره بربه، العارفون تجردوا عن الدنيا، وطلبوا رب العالمين تجردوا عن النفس والولد إ.هـ.

٢٨٠- «أي سادة» قال أهل الله رضي الله عنهم: «من ذكر الله فهو على نور من ربه، وعلى طُمأنينة من قلبه، وعلى سلامة من عدوه». وقالوا: «ذِكْرُ الله طعامُ الروح، والثناءُ عليه تعالى شرابُها، والحياء منه لباسُها». وقالوا: «ما تنَعم المتنعمون بمثل أُنسه، ولا تلذذ المتلذذون بمثل ذكره». وقال ابن عباس رضي الله عنه: «ما من مؤمن إِلا وعلى قلبه شيطان، إِذا ذَكَر الله خَنَس، وإِذا نسي الله وسوس» إ.هـ

٢٨١- وقال رضي الله عنه وأرضاه في ص٣٨: «أي أخي» العمر قصير، والناقد بصير، وإِلى الله المصير. (السريع)

يـا أيهـا الـمـعـدود أنـفـاسـه ... لا بـدَّ يـومًـا أن يَـتـم الـعـددْ

لا بـد مـن يـومٍ بـلا لـيـلـةٍ ... ولـيـلـةٍ تـأتي بـلا يـوم غـدْ» إ.هـ

٢٨٢- وقال رضوان الله عليه في ص ٤٣: «أي سادة» إياكم والدجَّاليَّة، إياكم والشيطانية، إياكم والطرق التي تقود إلى كلا الوصفين، أخجلوا الشيطان بخالص الإيمان، خربوا بِيَعَ الدَّجل بيد الصدق» إ.هـ

٢٨٣- وقال سيدنا السيد أحمد الرفاعي المتواضع الكبير في ص ٤٤: «يا فقير» اقتد بالقرءان المجيد، اتَّبع ءاثار السلف، أَيشٍ أنا حتى أَدعو لك، ما مثلي إلا كمثل ناموسة على الحائط لا قدر إ.هـ

٢٨٤- وقال رضوان الله عليه في ص ٤٦: «أي سادة» كونوا مع الشرع في ءادابكم كلها ظاهرًا وباطنًا، فإن من كان مع الشرع ظاهرًا وباطنًا كان الله تبارك وتعالى حافظًا له، ومن كان الله حافظًا له كان من أهل ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ [سورة القمر]» إ.هـ

٢٨٥- وقال رضي الله عنه وأرضاه في ص ٤٦: «أي سادة» منكم الفقهاء والعلماء أيضًا، ولكم مجالس وعظ ودروس تقرؤونها، وأحكام شرعية تذكرونها وتعلمونها الناس، إياكم أن تكونوا كالمُنخُل يخرج الدقيق الطيب، ويمسك لنفسه النُّخالة، وأنتم كذلك تُخرجون الحكمة من أفواهكم، ويبقى الغِلُّ في قلوبكم، تُطالَبون حينئذ بقوله تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴿٤٤﴾ [سورة البقرة] إذا أحبَّ الله عبدًا جعل في قلبه الرأفة والشفقة لسائر المخلوقات، وعوَّد كفه السخاء، وقلبه الرأفة، ونفسه السماحة، وبصَّره بعيوب نفسه حتى يستصغرها ولا يراها شيئًا إ.هـ.

٢٨٦- وقال رضي الله عنه العارف حزين إذا فرِح الناس، كئيب من غير يأس، فرحه قليل، وبكاؤه طويل، همه عيوبه وذنوبه، بذلت نفسي ولم أترك طريقًا إلا سلكته، وعرفت صحته بصدق النية والمجاهدة، فلم أجد أقرب وأوضح وأحب من العمل بالسنة المحمدية، والتخلق بخُلُق أهل الذل والانكسار، والحَيرة والافتقار، كان الصدِّيق الأكبر السيد أبو بكر رضي الله عنه يقول: الحمد لله الذي لم يجعل الوصول إليه إلا بالعجز، والعجز عن درك الإدراك إدراك» إ.هـ

٢٨٧- وقال رضي الله عنه وأرضاه في ص ٤٧: «أي سادة» من الخشية تكون المحاسبة، ومن المحاسبة تكون المراقبة، ومن المراقبة يكون دوام الشغل بالله، فإن أغبط

الناس في زماننا مؤمن عرف زمانه، وحفظ لسانه، ولزم شأنه كان من الصالحين، قلت لسيدي عبد الملك الخرنوتي قدَّس الله سره: أوصني، قال لي: «يا أحمد، ملتفت لا يصل، ومشككٌ لا يُفلح، ومن لم يعرف من نفسه النقصان فكل أوقاته نقصان»، فبقيت سنة أردد وصية الشيخ، وما يخطر لي خاطر إلا أذكرها فيزول عني، ثم إني زرته في السنة الأخرى، ولما أردت الخروج من عنده قلت له: أي سيدي أوصني، فقال لي: «يا أحمد، ما أقبح العلة بالأطباء، والجهل بالألباء، والجفاء بالأحباء»، فخرجت من عنده وصرت أرددها سنة على نفسي، وانتفعت به وبوصيته إ.هـ

٢٨٨- وقال رضي الله عنه: العالم العارف عظيم السياسة لنفسه بالمخافة من الله والمراقبة له، وإذا أراد أن يتكلم بكلام اعتبره قبل أن يُخرجه من فيه، فإن رأى فيه صلاحًا أخرجه، وإلا ضمَّ فمه عليه لِما جاء في الحكمة: «لسانك أسدُك إن حرسته حرسك، وإن أطلقته رفسك». العارف كلامه يُنقي الصدا، وصمته يَصرف الردى، يأمر بالمعروف لأهله، وينهى عن المنكر وفعله. قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة النساء]. من عرف الله زاد أدبه معه، من تقرب إلى الله عَظُم خوفه من الله إ.هـ

٢٨٩- وقال رضي الله عنه: أخبرني القاضي المقري الإمام الصالح سيدي علي أبو الفضل الواسطي بسنده إلى الخطيب البغدادي يسلسله إلى أبي الجارود العبسي أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وعنهم أجمعين قال: بلغني حديث في القِصاص، وكان صاحب الحديث بمصر، فاشتريت بعيرًا وشددت عليه رحلًا، ثم سرت شهرًا حتى وردت مصر، فسألت عن صاحب الحديث، فدللت عليه فإذا هو باب لاط، فقرعت الباب، فخرج إلي مملوك أسود، فقلت: ها هنا أبو فلان؟ فسكت عني، فدخل فقال لمولاه: بالباب أعرابي يطلبك، فقال: اذهب إليه فقل له: من أنت؟ فقلت: أنا جابر بن عبد الله صاحب رسول الله ﷺ. قال: فخرج إلي فرحب بي، وأخذ بيدي ثم قال لي: من أين؟ أمن أهل العراق؟ قلت: نعم،

بلغني حديث في القِصاص ولا أعلم أحدًا ممن بقي أحفظ له منك. فقال: أجل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يبعثكم يوم القيامة حفاة عراة غرلا**» رواه الإمام أحمد الحديث إ.هـ. (وهذا ليس معناه أن كل الناس يبعثون على هذه الهيئة فالأتقياء يبعثون طاعمين راكبين كاسين).

٢٩٠- وقال رضي الله عنه: العلم لا يكتم، والحق يقال والشارع ـ روحي الفداء لقبره المبارك ـ أوضح لنا، ما لنا وما علينا تمامًا، فالناجي من ءامن به واتبع أمره، والحذرُ والهلاك لمن خالفه، بلَّغ كما أُمِر، وما بقي لنا عليه حجة، وهو ﷺ صاحب الحُجة القائمة على كل مكلف، وبه قامت حُجة الله على خلقه، هكذا قضى سبحانه وتعالى. وقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الإسراء] وقال ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [سورة النساء]» إ.هـ

٢٩١- وقال رضي الله عنه وأرضاه في ص ٥٦: «أَي أخي» أين أنت؟ في أي واد تَهيم، تهيم في وادي وَهمِك، تسرح في ميادين قطيعتك، الله الله بك، والله إن تنقطع أخاف عليك أن تُخذل، اللهم إني أعوذ بك من القطع بعد الوصل» إ.هـ

٢٩٢- وقال رضي الله عنه في ص ٦٠ ما نصه: « وأقول لكم: مفتاح السعادة الأَبدية الاقتداء برسول الله ﷺ في جميع مصادره وموارده، وهيئته وأكله وشربه وقعوده، وقيامه ونومه وكلامه، حتى يصح لكم الاتباعُ المطلق، بلغنا عن بعض الأئمة أنه ما أكل البِطيخ لأنه لم ينقل له كيف أكله رسول الله ﷺ، وسها بعضهم فابتدأ في لبس الخف باليسرى فلأجل ذلك دفع شيئًا من الحنصة، وإياكم أن تقولوا هذه الخصال من الأمور التي تتعلق بالعادات فتهملوها، فإن إهمالها يغلق لكم بابًا عظيمًا من أَبواب السعادة، وأما العبادات فلا أعرف لعدم اتباعه عليه الصلاة والسلام فيها من عذر إلا أن يحصل ذلك من حمق جلي، حمانا الله وإياكم» إ.هـ

٢٩٣- وقال رضي الله عنه في ص ٦١: « إياكم ونسيان الموت فإنه ينتج من الغفلة وهي من قلة ذكر الله، وذلك من ضعف الإيمان، وأمُّ ذلك الجهل، وهو من الضلال اهـ

٢٩٤- وقال رضي الله عنه وأرضاه في ص ٦١: « يا ابن ءادم الموت يكشف أسرارك، والقيامة تتلو أخبارك، والعذاب يهتك أستارك، فإذا أذنبت ذنبًا صغيرًا فلا تنظر إلى صغره ولكن انظر إلى من عصيت، وإذا رُزقت رزقًا قليلًا فلا تنظر إلى قلّته ولكن انظر إلى من رزقك، ولا تحقر الذنب الصغير، يا ابن ءادم هل عصيتني فذكرت غضبي فانتهيت؟ وهل أديت فريضتي كما أمرتك؟ وهل واسيت المساكين من مالك؟ وهل أَحسنت إلى من أَساء إليك؟ وهل غفرت[1] لمن ظلمك؟ وهل وصلت من قطعك؟ وهل أنصفت من خانك؟ وهل كلمت من هجرك؟ وهل أدبت ولدك؟ وهل أرضيت جيرانك؟ وهل سألت العلماء عن أمر دينك ودنياك؟ فإني لا أَنظر معاشر الآدميين إلى صوركم ولا إلى أحسابكم وأنسابكم، ولكن أنظر إلى قلوبكم، وأرضى بهذه الخصال عنكم» إ.هـ

٢٩٥- وقال ر ضي الله عنه وأرضاه في ص٦٢: «أي سادة» هذه أمور تنكشف يوم القيامة، يوم التغابن، يوم الحاقَّة، يوم لا ينطقون، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، يوم الطامة، يوم الصيحة، يوم تشيب الولدان، يوم الزلزلة، يوم القارعة، يوم يُنسف الجبال، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الانفطار]» إ.هـ

٢٩٦- وقال رضي الله عنه وأرضاه ص ٦٦: « وعدني رسول الله ﷺ أن يأخذ بيد مريديَ ومحبيَ ومن تمسك بي وبذريتي وخلفائي في مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة عند انقطاع الحِبَل، وبهذا جرت بيعة الروح، لا يُخلف الله وعده، لا تصح المكالمة لمخلوق مع الخالق بعد النبيين والمرسلين الذين كلمهم سبحانه وحيًا أَو من وراء حجاب، وإنما وَعْدُ إحسانه ينجلي إلى قلوب أوليائه وأحبابه بالرؤيا المنامية، والواسطة المحمدية، والإلهام الصحيح الذي لا يخالف ظاهر الشريعة الأحمدية بحال من الأَحوال وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء إ.هـ

---

(١) أي سامحت.

(السريع)

مـــواهـــب الـرحمـــن لا تـنـقـضي وأمـــة الـمـخـتـار مـثـل الـمـطـر

خـــزائـــن الـــســر لأحـــبـابـــه والأَهـــل لـلـحـكـمـة نـــوع الـبـشر

اللهم زدني حكمة وفهمًا ومعرفة وعلمًا، واجعلني والمسلمين من المحبوبين المقربين عندك، المقتدين بنبيك، إنك تفعل ما تشاء، وتحكم ما تريد، وأنت أرحم الراحمين» إ.هـ

٢٩٧- وقال رضي الله عنه في ص ٦٧: «أي سادة» عظموا نعمة الطعام والشراب، والثياب والعافية، والأمان والدين تدوم عليكم النعم، صححوا اليقين بإشارات الصالحين، فإن نِعَمَ الله عليهم هاطلة، وسُحب المدد إليهم متواصلة، دَلَّهم به عليه، وقرَّبهم به إليه، وشرح صدورهم للإيمان، وجعلهم أَعيان نوع الإنسان، وأحبهم وأحبوه. ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة المائدة] إجعلوا دعائم توكلكم على الله رصينة المباني، وأساليب أدعيتكم لله خالصة المعاني، وكونوا من النفس والشيطان على حذر، وخذوا بالحزم في كل أمر، فما خاب من شد مئزر الحزم بالله، وركب مطايا العزم إلى الله إ.هـ

ماذا يقول الواعظ بعد قول الله ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [سورة طه] ماذا يُترجم المُوجِزُ بعد قوله تعالى ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة الإسراء] ماذا يُعِدُّ المنبهُ بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الكهف] ماذا يُدقق المُحَذرُ بعد قوله تقدّس شأنه ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [سورة طه] ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [سورة غافر] ماذا يوضح الآمر بعد قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحشر] ماذا يصدع الناهي بعد قوله سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النور] ماذا يزن اللبيب بعد قوله جل وعلا ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [سورة الزلزلة]. ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [سورة البقرة] إ.هـ

هذا كتاب الله حجة قائمة، ومعجزة دائمة، أنبأنا عما كان وما يكون، وكشف لنا كل سر مكنون، من عمل به نجا وغنم، ومن انحرف عنه قُطع وندم إ.هـ

هذه سنة نبيه سيد الناجين، ووسيلة المناجين، محجة بيضاء، لا ضلال بعدها أبدًا، وهذا طريق القـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة النحل] تشهد لهم بالمعية الإلهية، معية الاختصاص، معية المعونة، معية المدد، فمن ءامن بالله وكتابه، واقتدى بسنة نبيه ﷺ، ونهج منهج القوم، وكان معهم، ودخل حزبهم فاز ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة المجادلة]» إ.هـ

٢٩٨- وقال رضي الله عنه في ص ٦٨: «يا أخي» دع عنك طرق الوسواس، واطرح الاستئناس بالناس، وكن مع الله[1]، وخذ الحُكْم والحكمة عن الـ ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴿٢٦٩﴾﴾ [سورة البقرة] لا يكن حظك لسانك، لا يكن منتهاك أن تكذب على نفسك بحالك.

(الكامل)

بـدلـتَ بـالحِـنَّـا بـيـاضـكَ أحمـرا وخُـدعـتَ فيه وقلـتَ شعري أَحمـرا

تعس عبد الزوجة، تعس عبد الدنيا، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد الكرامة، تعس عبد الخَلق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة فصلت]» إ.هـ

٢٩٩- وقال رضي الله عنه في ص ٦٩: «خذ الموعظة من جوعك، من عطشك،

---

(١) أي الزم طاعة الله.

من تحول أحوالك، كذلك حال المخلوقين، لا تفرح بلقلقة نحو لسانك وأنت منصرف نحو الأَغيار، لا تطمئن لغائلة فقهك وانكبابك عليه لصيد الدينار، لا تنقطع بفلسفتك وأنت مفلس عن محبته، لا تقف عند تصوفك وأنت موصوف بالبعد عنه.

(الكامل)

كـل الـعـلـوم إذا تخـلـلـهـا الـسِـوى صارت لداعي الانفصال معالمًا» إ.هـ

٣٠٠- وقال رضي الله عنه في ص ٧١: « أي سادة، من طرق الباب بالخضوع فتح له بالقبول ومن دخل الرحاب بالانكسار جلس في بيت العز» إ.هـ

وقال الإمام رضي الله عنه وأرضاه في ص ٨٢ ما نصه: «يا خاصة يا عامة يا رجال الطائفتين، أنتم طائفة واحدة ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾﴾ [سورة آل عمران] لا تدخلوا تحت قوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة التوبة] عليكم أن ينصح فقيهكم جاهلكم، وأن يقود كاملكم ناقصكم عملًا بقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [سورة المائدة] لا بقهرٍ، ولا بغدرٍ، ولا بظلمٍ، ولا بكبرٍ، ولا بعلوٍ، لا بأس إن صدعت بما أمرت به على لسان نبيك ﷺ، ولكن قبل الصدع اعرف، المعروف مغناطيس جذاب إ.هـ

أيشٍ تريد يا صوفي، يا فقيه، يا من جمع بين الشأنين، تريد أن تَسب العباد وتبغي عليهم، وأن تعلو وتغلو، ما هذه والله طريقة نبيك، ولا سنة وليك ﷺ، كان إذا نهى عن خُلُق لم يسم فاعله، ويقول: «ما **بال أقوام يفعلون كذا؟**» رواه ابو داود أو «ما بال الرجل يقول كذا؟» أَو كما قال، كيف إذا قلت لكم يا أهل أم عبيدة، أنتم كذا وكذا، وشتمتكم وأغلظت عليكم، ونسبت إليكم القبائح، ثم طرت في مجلسي هذا إلى الجو ورجعت، ألا تبقى في قلوبكم مرارة الشتم والسب ولو غلبكم سلطان طيراني، وهيبة حالي، بلى والله، وهذا الذي انطوت عليه الطباع كلها.

ولعل الفقيه أبا شجاع يقول في نفسه ما أغلظ رسول الله ﷺ في مواعظه بشتم

وسب، ولا صرّح باسم أحد، ولا طار ولا تسلط بقوة المعجزة على الطباع، ولعل الشيخ الفقيه عمر الفاروثي رضي الله عنه يقول قال الله ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران] وكيف لو قال لكم واعظ في مسجد الشط على حصيرة مقطوعة بثياب رثة أي أَحبابي، أَي إخواني، شارب الخمر ملعون، الظالم ملعون، وكان في مجلسه من ابتلاه الله بهذه الأوصاف، هل تنفر نفسه من الرجل نفرة استعظام، أَو تأخذه حالة فقره وانكساره إِلى التوبة وإِن لعبت نفسه عليه؟ وأي حال أقرب بلى والله، حال الاتعاظ بتجرد الرجل عن نفسه وحوله، وطَوْله أقرب وأشد وقعًا في النفوس من الغلبة القاهرة، فإِن الغلبة القاهرة تبقي بقية مضمرة في النفس كيف كانت، وحالة الانكسار لا تبقي ولا تذر، تدخل إِلى دائرة النفس فتطهرها، وإِلى دائرة القلب فَتَقِرُّ فيه، ولا يبقى معها ضدها أبدًا، فإِذا وعظتم الناس فاتركوا التصريح، وخذوا بالتلويح، فإِن هناك رائحة السنة، وشمة النفحة النبوية، وبها والله يصلح الله القلوب، فلا حاجة معها لأَحوالكم أَبدًا.

أيشٍ نقول للذي يعجبه علوه على الناس، ويحب انقياد الرقاب إِليه، خل عنك يا مسكين، انقادت لك الرقاب وما انقادت لك القلوب، متى سقطت من حالك ووارد تقلبت عنك القلوب، وداستك الأَقدام، وبقيت أسود الوجه» إ.هـ

انتهى ما نقلناه من كتاب الإمام القطب السيد أحمد الرفاعي الكبير «البرهان المؤيد».

٣٠١- وفي كتاب قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر للشيخ السيد محمد أبي الهدى أفندي الرفاعي الخالدي الصيادي ص ١٤٣ ما نصه: «ينبغي للمريد أن يعرف لشيخه الحق بعد وفاته كما كان يعرف له الحق بحال حياته ويعلم أن السماع له باطن غير ظاهر» إ.هـ

٣٠٢- وقال رضي الله عنه في ص ١٤٥: «للشيخ شمس الدين محمد قدّس الله سره: أي محمد لا يصل المريد إلى مراده حتى يخرج عن نفسه ومألوفات حسه وبترك جميع الشهوات المباحات وغيرها» إ.هـ

٣٠٣- وقال رضي الله عنه وأرضاه كما في ص ١٤٧: «من علامات المريد أن لا يتعب شيخه في تربيته بل يكون سميعا مطيعا للإشارة» إ.هـ

٣٠٤- وقال رضي الله عنه: «لسان الورع يدعو إلى ترك الآفات، ولسان التعبد يدعو إلى دوام الاجتهاد، ولسان المحبة يدعو إلى الذوبان والهيمان، ولسان المعرفة يدعو إلى الفناء والمحو، ولسان التوحيد يدعو إلى الإثبات والحضور، ومن أعرض عن الأعراض أدبًا فهو الحكيم المتأدب[١]» إ.هـ

٣٠٥- وقال رضي الله عنه: «أخوك الذي يحل لك أكل ماله بغير إذنه[٢] هو الذي تسكن نفسك إليه ويستريح قلبك به»[٣] إ.هـ

٣٠٦- وقال رضي الله عنه: «كل الأغيار حجب قاطعة، فمن تخلص منها وصل» إ.هـ

٣٠٧- وقال رضي الله عنه: علامات العارف كتمان الحال، وصحة المقال والتخلص من الآمال إ.هـ

٣٠٨- وقال رضي الله عنه: الطريقة الشريعة، لوث هذه الخرقة كذاب، قال الباطن غير الظاهر، العارف يقول: باطن الظاهر وجوهره الخالص إ.هـ

٣٠٩- وقال رضي الله عنه: ما شم رائحة المعرفة من افتخر بأبيه وأمه وخاله وعمه وماله ورجاله، ليس عند الله شيء من رأى نفسه إ.هـ

٣١٠- وقال رضي الله عنه: القرءان بحر الحكم كلها، ولكن أين الأذن الواعية؟! إ.هـ

٣١١- وقال رضي الله عنه: لو عبد الله العابد بعبادة الثقلين، وفيه ذرة من الكبر، فهو من أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ (أي فاسق لتكبره على عباد الله) إ.هـ

---

(١) أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى المسماة لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، بيروت: دار الفكر، ج١، ص١٤١.

(٢) - لأنك عرفت رضاه يقينًا بل هو يفرح بذلك.

(٣) - الطبقات الكبرى- لواقح الأنوار في طبقات الأخيار لعبد الوهاب الشعراني (طبعة الشرقية ج١/ ص١٢٠).

٣١٢- أنكر أناس من المخذولين القدر فقالوا: صادفت الأسباب، فظهرت الحوادث، فقال رضي الله عنه: قل لهم هذا هو القدر لو كنتم تعلمون، وقد دل حبيبنا محمد ﷺ على اتخاذ الأسباب مع التوكل على الله، وهو التسليم له والإيمان بقدره سبحانه، وقال للرجل الذي جاء بناقته وقال: أدعها وأتوكل يا رسول الله، قال: «**اعقلها وتوكل**»[1][2] إ.هـ

٣١٣- وقال رضي لله عنه: الأدب سنة الفقراء وزين الأغنياء إ.هـ

٣١٤- وقال رضي الله عنه: الأنس بالخلق انقطاع عن الحق إ.هـ

٣١٥- وقال رضي الله عنه: كلوا الحلال كلوا متحزنين وابكوا إ.هـ

٣١٦- وقال رضي الله عنه: من لح وجد، ومن لج وجد إ.هـ

٣١٧- وقال رضي الله عنه: قدرة البارئ تتجاوز مفهوم العقول إ.هـ

٣١٨- وقال رضي الله عنه: الجار إلى أربعين بيت من كل جانب إ.هـ

٣١٩- وقال رضي الله عنه: سموا أولادكم بأحمد ومحمد وعبد الله وعبد الرحمن إ.هـ

٣٢٠- وقال رضي الله عنه: من عرف الله حق معرفته[3] قطعه إليه بكليته إ.هـ

٣٢١- وقال رضي الله عنه: إذا رأيت يتيمًا يبكي تقلقل كل عضو مني إ.هـ

٣٢٢- وقال رضي الله عنه: ما وقف على باب أحد من أهل الدنيا كامل المعرفة[4] إ.هـ

٣٢٣- وقال رضي الله عنه: «أكره دخول الحمام، وأحب لجميع أصحابي الجوع والفقر

---

(١) - أخرجه الترمذي (٢٥٥١٧) وقال: غريب، وأبو نعيم في الحلية (٨٣٩٠) والبيهقي في الشعب (١٢١٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) - أبو الهدى الصيادي أشرف الوسائل في تحقيق أدق المسائل.

(٣) أي عرف ما أوجب الله عليه وما حرم وخافه وخشيه على الوجه الأتم الأكمل.

(٤) أي على وجه إذلال نفسه من غير ضرورة لأجل الدنيا.

والذل والسكينة، وأفرح لهم إذا نزل بهم ذلك» إ.هـ

٣٢٤- وقال رضي الله عنه: من عصى الله اطلع الله ع[illegible] إ.هـ

٣٢٥- وقال رضي الله عنه: ما أمرت بأمر دون ما فعلته فلا حجة لكم علي إ.هـ

٣٢٦- وقال رضي الله عنه: من أذى فقيرا أو مسكينا لفقره أو مسكنته فقد حارب الله تعالى إ.هـ

٣٢٧- وقال رضي الله عنه: وددت أن يكون في أم عبيدة حلقة للقرءان وحلقة للفقه إ.هـ

٣٢٨- وقال رضي الله عنه: لا يجوز على الصراط من لم يكن في ذمته من الصدق قيراط

٣٢٩- وقال رضي الله عنه: وقال سماع عبادة عن قلب للرب (لله تعالى أي بنية حسنة) فمن وجد ذلك وجد السماع إ.هـ

٣٣٠- وقال رضي الله عنه: الصوم صوم الجوارح وصوم القلب عن كل مناف للحق إ.هـ

٣٣١- وقال رضي الله عنه:طريقتنا هذه مبنية على ثلاث لا نسأل ولا ندخر ولا نرد إ.هـ

٣٣٢- وقال رضي الله عنه: المقبل من لا يتعب شيخه فيه ولا يكون شيخه يفتخر به بين القوم[1] إ.هـ

٣٣٣- وقال رضي الله عنه: من أتم الرجال قبولا وحالا من إذا رفع القصة جاء الجواب

٣٣٤- وقال رضي الله عنه: إذا أراد الله بعبده خيرا بغض عليه الدنيا وأهلها وحبب إليه الآخرة وأهلها إ.هـ

٣٣٥- وقال رضي الله عنه: التوبة أن لا يرجع إلى الذنب كما لا يرجع اللبن إلى الضرع إ.هـ

---

(١) أي لا تكون نيته ذلك.

٣٣٦- وقال رضي الله عنه: الشيخ في قومه كالنبي في أمته والشيخ سلم الفقير يصل به إلى معالي الأمور إ.هـ

٣٣٧- وقال رضي الله عنه: الفقراء[١] في حفظ الله، من تمسك بهم نجا وسلم وفاز وغنم، ومن تركهم هلك وندم إ.هـ

٣٣٨- وقال رضي الله عنه: القرءان مأدبة الله فمن لم يتأدب به فليس له أدب ولا لمرض قلبه دواء إ.هـ

٣٣٩- وقال رضي الله عنه: إن الحق سبحانه وتعالى يغار[٢] للولي فيقبل عليه[٣]، وينظر إليه[٤] فيرحمه، وينظر إلى المسيء إليه فيعقابه إ.هـ

٣٤٠- وقال رضي الله عنه: إن السماع عبارة عن وجدان القلب مع الله تعالى، وذلك بغية الأنبياء ومنية الأولياء إ.هـ

٣٤١- وقال رضي الله عنه: غالب ما سلط الله به على العراق الأذى منع الزكاة وتظاهر بعضهم بالإحسان إلى بعض إ.هـ

٣٤٢- وقال رضي الله عنه: لا ينصح إلا من يتوسم فيه مخايل القبول، فالنصيحة إذا لم تقبل صارت فضيحة إ.هـ

٣٤٣- وقال رضي الله عنه: من حصل له ذرة من الولاية فهو من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون إ.هـ

٣٤٤- وقال رضي الله عنه: الناس بخير ما حجوا البيت، وما شدت الرحال إلى

---

(١) يريد الصوفية.

(٢) أي يكره له المعاصي وأما حقيقة الغيرة فمحال على الله تعالى لأنه تأثر وتغير والله منزه عن ذلك لأنه ليس كمثله شيء.

(٣) أي يوفقه ليكون من أهل العناية.

(٤) أي يكرمه.

النبي ﷺ إ.هـ

٣٤٥- وقال رضي الله عنه: من نظر إلى امرأة أجنبية ليست له محرمًا، ليس له عند الله عذر وقد تجرأ على الله تعالى إ.هـ

٣٤٦- وقال رضي الله عنه: إن ذرية الأولياء منظور إليها بعين الرحمة في الغالب، وذرية الظالم منظور إليها بعين السخط في الغالب إ.هـ

٣٤٧- وقال رضي الله عنه: الخوف سوط الله[1] يقوم به نفسًا تعودت سوء الأدب إ.هـ

٣٤٨- وقال رضي الله عنه: العاقل يقدم بين يدي كل عمل يعمله فإن كان لله أمضاه، وإن كان لغيره تركه وأبقاه إ.هـ

٣٤٩- وقال رضي الله عنه: من زار مكة والمدينة والصالحين ولم يكن عليه ءاثار الزيادة في دينه دل على عدم استفادته وعلو همته كما ينبغي إ.هـ

٣٥٠- وقال رضي الله عنه: لا تصحب مع الخلق إلا بالمناصحة ولا مع النفس إلا بالمحاربة إ.هـ

٣٥١- وقال رضي الله عنه: إذا قرأ القارئ ءاية التحذير من الغيبة و ءاية التحذير من الزو وشهد بالزور وكذب وقد عرف التهديد والأمر والنهي، لعنته الآيات وجميع الملائكة المقربين إ.هـ

٣٥٢- وقال رضي الله عنه: ما لي مسرة إلا الخلوة والوحدة فيا ليتني لم أعرف أحدًا ولم يعرفني أحد حتى كنت يشد في عنقي حبلًا وأختنق لعلي أسلم إ.هـ

٣٥٣- وقال رضي الله عنه ما نظر إلى الخلق ووقف معهم في العادات إلا من سقط من

---

(١) السوط وهو ما يضرب به من يعاقب الآخر بالجلد ونحوه، وليس معناه أن الله يمسك سوطًا للجلد، بل هو تخويف بعقوبة وانتقام الله لبعض عباده والله منزه عن الجوارح والآلات والمس واللمس والجس لأنه ليس كمثله شيء.

مرتبته[١] ومن خرج عنهم متوجهًا إلى الله[٢] يلقاه[٣] الله بعفوه وغفرانه وإحسانه إ.هـ.

٣٥٤- وقال رضي الله عنه: إذا أراد الله أن يتخذ وليًا أنعم الله عليه بأربعة بالكفاية والحماية والرعاية والهداية فإذا تحققت له هذا الأربعة أكرم بأربعة يقرأ ما على الجباه ويصافح الملائكة ويصافحونه ويكلم الموتى ويكلمونه ويدخل القبور فيعرف المنعم من المعذب[٤] إ.هـ

انتهى ما نقلناه من كتاب قلادة الجواهر لأبي الهدى الصيادي

٣٥٥- قال الشيخ أحمد بن جلال اللاري الحنفي رضي الله عنه في كتابه جلاء الصدا ص ٢١٦: أي إبراهيم، ما أخذ جدك طريقًا للقوم ما سلكه إلا ما شاء الله، أي إبراهيم، دار هذا اللاش جدك جميع الطرق فلم ير أقرب وأوضح وأيسر وأصلح وأصح وأرعى وأحب من طريق الذل والانكسار والحيرة والافتقار، ثم قال: أي إبراهيم إذا أرادك الله لأمر، هيأك له، وهيأه لك. اتفقوا على ذلك إ.هـ

وقال رضي الله عنه يومًا للفقراء[٥]: أي سادة أعينوني على أنفسكم بخمس خصال أولها سنة رسول الله ﷺ، الثانية موافقة السلف على حالهم، الثالثة التعرية من الدنيا والنفس، الرابعة تحمل البلاء والاستدعاد له، الخامسة لباس الوفى واجتناب الجفى كما قال بعض الحكماء (انزع لباس الجفى والبس لباس الوفى)

---

(١) أي تتبع عادات الناس الغير الموافقة للأداب النبوية وغرق في شهوات نفسه وملذاتها وتبع الناس في عاداتهم القبيحة.

(٢) أي إلى طاعاته مخلصًا عاملًا بكليته بما يرفعه وينفعه في الآخرة.

(٣) أي يكرمه.

(٤) أي أن هذه الكرامات تحصل للولي في بعض أحواله وليس دائمًا في كل لحظة، ومعنى يدخل القبور أي المقابر للزيارة وليس إلى داخل كل قبر فيكشف له عن بعض المنعمين ويكشف له عن بعض المنعمين وبعض المعذبين.

(٥) جلاء الصدا (ص٢٣٣).

وعليكم بلبس المرقعة فإنها لباس الذل والانكسار والتواضع وقهر النفس والهوى وترك الدنيا وبلغ الرياسة إ.هـ

٣٥٦- وقال رضي الله عنه ص٢٣٣ لزوجته رابعة: أي بنت الشيخ، إن سرك اللحوق بالقوم فأقلي الطعام واهجري المنام وصلي بالليل والناس نيام إ.هـ

٣٥٧- وكان رضي الله عنه يقول لها: أي بنت الشيخ، قومي إلى وردك فإن العبد إذا سلك طريق القوم، كان قريبًا منهم. اتفقوا على ذلك إ.هـ

٣٥٨- وكان رضي الله تعالى عنه يقول ص٢٣٣-٢٣٤: يحتاج الفقير منكم إن كان قويًا في طريقه مقتدرًا على نفسه أن يكون فيه ستة خصال، أولها فقد المعلوم، الثانية الصبر والإياس من جميع الأشياء إلا من الله تعالى، الثالثة كتمان السرائر حتى لا يشكو إلى مخلوق مثله، الرابعة ترك المسألة لكي لا يهرب الخلق من باب الله تعالى، الخامسة أن يظهر الغنى في الفقر، السادسة أن يعمل لله تعالى، ولا يرى أنه يعمل شيئًا. اتفقوا على ذلك إ.هـ

٣٥٩- وقال رضي الله تعالى عنه ص٢٣٥: علامة الفقير الصادق إظهار الشبع وهو جائع والفرح عند الحزن والنشاط عند الكسل والذل بعد العز والفقر بعد الغنى وأن يصير مردودًا بعد أن يكون مقبولًا إ.هـ

٣٦٠- وقال رضي الله عنه ص٢٣٦: أول ما ينبغي للإنسان أن يأمر نفسه بالمعروف، فإن ائتمرت يأمر الناس وينهى نفسه عن المنكر، فإن انتهت فينهى الناس، وإلا فقد قال الله تعالى ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾ [سورة الصف] أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقع اتفاقهم على ذلك إ.هـ

٣٦١- وقال رضي الله عنه ص٢٣٦: للفقر والتصوف خصال معدودة محمولة، أولها تجريد التوحيد، ثم الإيثار وإيثار الإيثار ثم حسن العشرة، ثم فهم السماع، ثم ترك الاختيار ثم سرعة الوجد ثم الكشف عن الخواطر ثم كثرة الصمت، ثم ترك

الاكتساب ثم تحريم[1] الادخار، اتفقوا على ذلك إ.هـ

٣٦٢- وقال رضي الله عنه ص٢٣٧: علامة الفقير الصادق في جميع الحركات التقليل من المباحات والصمم عن كثير من المسموعات، وأن لا يطلب المعدوم حتى يبذل الموجود، وانقطاع الحيلة حتى لا يرى في كل أحواله وشدائده ورخائه وتقلبه غير خالقه وموكونه[2]. اتفقوا على ذلك إ.هـ

٣٦٣- وقال أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه ص٢٣٧: متى نظر إلى ما يلبس التبس عليه أمره ومتى رأى الخلق دونه ظهرت عيوبه، الفقير ابن ساعته لا يومه، الفقير يرى كل نفس من أنفاسه أعز من الكبريت الأحمر، يودع كل ساعة ما يصله لها ولا يضيع من وقته لحظة، الفقير مثله مثل المرءاة ينظر فيها كل شيء إ.هـ

٣٦٤- وقال رضي الله عنه ص٢٣٧: إن القلب إذا صلح صار مهبط الأسرار والأنوار، وإذا فسد صار مهبط الظل والشياطين، وإذا صلح أخبرك عما وراءك وأمامك وينهك عن أمور لم تكن تعلمها بشيء من دونه، وإذا فسد حدثك ببطلان يغيب عنه الرشد ويبقى معه السعد، فيا طوبى لمن أصلح الله قلبه إ.هـ

٣٦٥- وقال رضي الله تعالى عنه ص٢٣٨: من لم تكن له داعية من نفسه لم تنفعه داعية غيره. إ.هـ

٣٦٦- وقال رضي الله عنه ص٢٣٩: إذا حصل لكم الله حصل لكم كل شيء[3]. إ.هـ

٣٦٧- وقال رضي الله عنه ص٢٣٩-٢٤٠: من اشتد خوفه من الله تعالى اليوم كثيرًا آمنه غدًا، ومن عرف عبد الله تبارك وتعالى، خاف عذابه، ومن عرف كفالة الله تعالى توكل عليه، ومن تحقق بالحب لله تعالى لم يختر غيره، ومن عرف لطف الله تعالى قطع رجاءه

---

(١) أي منع.

(٢) لا يرى غير الوصول إلا إلى مرضاة خالقه عز وجل.

(٣) إن حصل لكم خير فهو من فضله سبحانه.

من غيره تعالى، ثم تلى قوله تعالى ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾[1] إ.هـ.

٣٦٨- وقال رضي الله عنه ص٢٤٠ للشيخ يعقوب بن كراز: أي يعقوب، لا تعب الناس بعيوبهم فيظهر الله لك عيوبًا وإن لم يكن لك عيوب، وعليك بتقوى الله تعالى وطاعته ولزوم السنة والجماعة ورعاية النفوس وتصفية الخلوة والتجاوز عن هفوات الإخوان وستر عيوبهم وإظهار محاسنهم واجعل أصحابك الصالحين والورعين وأهل الخشية والمراقبة وعليك بالمداراة لهم والموافقة وءاداء حقوقهم منك واترك حقك عليهم، وعليك بالأدب، وعليك بترك الدنيا ومخالفة النفس ومعاداة الهوى، فهذه بها الوصول إلى الله[2] تعالى. إ.هـ

٣٦٩- وقال رضي الله تعالى عنه ص٢٤١: إذا نشأ الرجل في غير الطريق فكيف يكون حاله. فقيل له: أي سيدي، يتمزق ويتعب، ولا يصل إلى مراده سريعًا وربما رجع من بعض الطرق، فقال رضي الله تعالى عنه: وكذلك الفقير إذا لم يستقم حاله ظاهرًا وباطنًا فيتمزق ولا ينفعه شيخه وتدخل عليه الدواخل من كل مكان، ويبقى لا يصلح لشيخه ولا لربه[3] ويهلك مع الهالكين. اتفقوا على ذلك. إ.هـ

٣٧٠- وقال رضي الله عنه ص٢٤٢-٢٤٣: إذا أراد الفقير العز وطلب الشرف فالكل فيه، إذا عرف العز بالذل والقناعة والشرف والتواضع والعلم، فإذا كان الفقير متمسكًا بهذه الأشياء وكان هينًا لينًا صح فقره وحصل له مراده إ.هـ

٣٧١- وقال رضي الله عنه ص٢٤٣: أي سادة، الفقير لا يكون له قولان إ.هـ

٣٧٢- وقال رضي الله عنه ص٢٤٣: عليكم بإكرام الفقراء تنالوا بهم الشرف، وتحصل لكم شفاعتهم يوم القيامة إ.هـ

٣٧٣- وقال رضي الله عنه ص ٢٤٤-٢٤٥-٢٤٦: مثل الفقير في أول دخوله هذا

---

(١) سورة الكهف الاية ٣٠.

(٢) أي إلى مرضاة الله.

(٣) لا يعني أن الله ينتفع منه حاشا.

الطريق مثل الكتان أراد الأكار أن يزرعه ينكش أولًا أرضًا جيدة ويدقها ويقسمها أقسامًا ثم يرميه فيه ويشتغل لسقيه ومحافظته ومراعاته حتى ينبت، فإذا استوى على سوقه نشأت تلك الشفقة، وشد عليها وقلعها ويبسها وحواه باقات ودقه وأخذ رأسه ثم أجلسه تحت الماء والطين أيامًا ثم أخرجه ونشره ويبسه ودقه ثانيةً، ويكون بعدما جاء منه شيء، ثم يقطعه قطعًا ويسلمه إلى النفاط فلا يزال يضربه حتى يخرج جوهره ولا يبقى إلا لبه، فإذا هو صبر على الضرب خرج منه شيء جيد، وإن هو لم يصبر هلك، ولم يصلح إلا للنار، فإذا صبر وخرج منه شيء، سلموه إلى النساء، فينزهنه ويضربن عليه بالأيدي، ويفرقنه طاقة ويجرنه بين أسنانهن، ويبللنه بريقهن، ثم يغزلنه ويفتلنه ثم يقولون ما يجي منه شيء إلا بالصبر فيسلمونه إلى القصار فيغسله بالماء المالح، ويقول لا بد له من دخول النار، فإذا هو صبر أخرجه وغسله مرة أخرى ودقه بالحجر طاقة، وأدخله أضيق مكان ودق من فوقه وتحته ويمينه وشماله، فإذا صبر تحت هذه الأحوال، واحتمل هذه الأثقال، طواه ودقه، ثم بعد ذلك غلى ثمنه وصلح لملامسة أعضاء السلاطين إلى هذا. اتفقا عليه واتفقا فيما بعده، ففي كتاب البراهين وكذلك الفقير إن هو صبر على ما يلقى من الشدائد قيل في طاعة جميل الفوائد كانت منزلته عند الله تعالى أعظم من منزلة تلك الثياب الجميلة عند السلطان. وفي الشفا: وكذلك الفقير إن صبر وتحمل وخدم من دونه وبذل مجهوده وسمع قوله وتجاوز عن هفوات الإخوان وتذلل وجعل أوقاته مغنمة وتأثر بمن هو دونه وأخلص في عمله وهجر إخوان الغفلة وفارق مواطن الهفوات والندم على ما فرط، وشد مئزر الكد وأخذ في إدراك ما فات، وتذكر ما مضى من زلله وتحسر عليه وحزن لما بين يديه، فإذا وفقه الله تعالى لهذه السعادات صار وقته كله يقظة ونفع عنه الغفلة، وأثمر له الذل والندم والخوف والكرم وتواترت عليه من الله تعالى النعم حيث أيقظه الله تعالى وسبقت له العناية وبانت له ءاثار الولاية وعزة نفسه عن ملاذ الدنيا وجيفتها وحطامها، وقانع منها للقليل، وكان قوته ما وجد ولباسه ما ستر العورة، ولا يضيع أوقاته

الشريفة في طلب القوت واللباس بل تقوم رغبته في ما عند الله تعالى، وتصير الدنيا سجنه ويكثر في طلب نجاة الآخرة همه ويكون قد أسبل دمعه وزاد شوقه ويكون دائمًا في خوف الفوت وتوقع الموت ولم يفرح بشيء من الدنيا وزينتها ويكون فرحه يوم إقباله على مولاه، فحصل له عند ذلك رضاه، وهذه الفائدة في الدنيا والآخرة. إ.هـ

٣٧٤- وقال رضي الله عنه: الصدق له حال ومقام فحاله التلوين ومقامه التمكين وكلاهما زين إلا أن المقام المرتبة الثابتة فافهم» [١] إ.هـ

٣٧٥- وقال رضي الله عنه: كل من ادعى ولم يقم الفقير غنيًا من عنده، والغني فقيرًا فليس على شيء [٢] إ.هـ

٣٧٦- انتهى ما نقلناه من كتاب جلاء الصدا للشيخ أحمد بن جلال اللاري الحنفي إ.هـ

في ذكر بعض أقواله وأجوبته رضي الله عنه على بعض الأسئلة

• سأله الشيخ يعقوب بن كراز يومًا وقال: أي سيدي، بأي طريق وصل المقربون إلى مقام الكشف والمجاهدة، فقال: بترك الاختيار وطاعة الملك الجبار وكثرة التواضع والانكسار. إ.هـ اتفقوا على ذلك.

• وسأله يومًا الشيخ ابن التركي عن التصوف فقال السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه: عن تصوفنا أو تصوفكم؟ فقال ابن التركي: كانت مسألة واحدة، صارت اثنتين، اشرح الحالين، فقال السيد الرفاعي رضي الله عنه: أما تصوفكم، فهو أن تصفى أسرارك وتنقى أكدارك، وتطيب أخبارك، وتطيع جبارك، وتقوم ليلك وتصوم نهارك، وأما تصوف القوم شعرًا:

ليس التصوف بالخِرق ... من قال هذا قد مرق

---

(١) - مجمع العيلمين في مناقب أبي العلمين (ص٥٥).

(٢) - المصدر السابق (ص٥٥).

إن التصوف يا فتى حرق يمازجه القلق

فزعق ابن التركي وخر مغشيًا عليه، فلما أفاق، قال: أي سيدي، خذ علي العهد، ففعل، ثم سأله أن يدعو له بالتوفيق، فقال سهل الله عليك الطريق. اتفقوا على ذلك[1]. وفي كتاب البراهين: وأما تصوف القوم فترك الكل للكل، والتمسك بالكل وألا يقنع بغير الكل، ثم ليس التصوف إلى ءاخره. فقال السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه لابن التركي حينما سأله الدعاء: سهل الله عليك العلوم، وكفاك شر الهموم وأغناك في الدنيا والآخرة إ.هـ.

• وسئل عن الفتوة فقال رضي الله تعالى عنه: هو الصفح عن عثرات الإخوان، وأن لا ترى لنفسك فضلًا على غيرك. اتفقوا على ذلك. وزاد في البراهين: الفتى من لا خصم له[2]، (خصم لنفسه على هواه وشهوته). الفتوة أن لا يفاخر الفتى من ءامن بالله وهدي بالإيمان وتوكل على الرحمن إ.هـ

• وسئل عن سهم الفقير من الله تعالى، فقال رضي الله عنه: سهم العبد من ربنا على قدر رغبته، والرغبة على قدر المعرفة، والمعرفة على قدر حسن اليقين، وحسن اليقين على قدر العناية من الله تعالى إ.هـ (أي أن العبد المخلص الصادق في طاعة ربه الوقاف عند حدود الشرع باطنًا وظاهرًا المخالف لحظ نفسه والمعرض عن الدنيا والمقبل على طاعة ربه تكون استفادته وانتفاعه وترقيه أكثر من المقصر المتكاسل المتخاذل).

• وسئل عن الذين يموتون في طريق الحج كيف حالهم، فقال رضي الله تعالى عنه: يحضرون الحساب على سبيل النظارة، ولا يفزعون ولا يعطشون ولا يجوعون بل ينظرونهم مسرورين بقبول الحق لهم وهم ءامنون. واتفقوا على ذلك إ.هـ

وسئل عن الولي فقال رضي الله عنه: الولي مؤيد من قبل الله بإقامة الفرائض وأداء

---

(١) ذكره في المجالس الرفاعية.

(٢) – أي لا يخاصم الناس من أجل حظوظ نفسه الدنيوية ولكنه خصم لمن خالف الحق.

الحقوق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإكثار من السنن ورد الشارد واتباع الشريعة المحمدية والحق سبحانه وتعالى يجيب دعوة الولي وينصره فيأخذ حقه ممن يتعدى عليه وينتقم له ممن يظلمه من حيث لا يعلم ويجيب دعاءه ويقضي له الحوائج إ.هـ

وقال السيد إبراهيم الأعزب قدس الله تعالى أسراره: سألني بعض الفقراء عن حال القطبية، فسألت السيد أحمد الرفاعي فقال: إذا أراد الله تعالى لعبد منزلة أو حالًا يؤهله لهذه المنزلة ولهذه الأحوال، وأول ما يكلفه به نفسه فإذا داراها وأدبها وساسها واستقامت معه كلفه أهله، فإذا داراهم وأحسن عشرتهم كلفه جيرانه ومحلته، فإذا داراهم وقام بحقوقهم كلفه أمر بلده فإذا أحسن إليهم ودارهم كلفه جهة من الأرض، فإذا قام بحقوقهم وأحسن إليهم كلفه جميع الأرض، وإن سبقت له العناية وأحسن إليهم وداراهم وأحسن سيرته مع الله تعالى فيهم كلفه أمور الدنيا[1] إ.هـ

شهادة الأكابر له رضي الله عنه وثناؤهم عليه

١- قال الشيخ أحمد بن أبي الحسن الرفاعي رضي الله عنه، في شأن القطب الكبير: «سيدنا الرفاعي هذا من أجلاء مشايخ العراق، وأجلاء العارفين، وعظماء المحققين، وصدور العارفين، صاحب المقامات العالية، والحالات العظيمة الوافية، صاحب الكرامات الظاهرة، والحقائق الزاهرة، وهو أحد من يذكر عنه القطبية، صاحب الكرامات الظاهرة من خرق الله له العادة، وأظهر على يديه العجائب، وأقامه حجة على المسلمين، ونصبه قدوة للسالكين، وأوقع له القبول عند الخاص والعام، وهو أحد أركان هذه الطريقة علما وعملا وحالة وتحقيقا،

(١) أي على حسب استطاعته ومقدرته من القيام بحقوق الله وحقوق العباد والقيام بالأحكام الشرعية بحسب الوسع

أحد أفراد هذا الشأن، وأئمة ساداته، وسادات الدعاة إليه»[1] إ.هـ

٢- وقال السيد إبراهيم الأعزب رحمه الله: «كان سيدي أحمد رضي الله عنه، يحفظ القرءان ويشرحه، وكان يكتب خطه على الفتوى، وكان نحويا لغويا عالما عارفا بارعا، يتكلم شريعة وحقيقة، وكان قدس الله تعالى روحه إذا أشكل على الفقهاء أمر رجعوا إليه فيفصحه لهم، وكان يقرأ القرءان بواسط، ويحضر مع الفقهاء الدرس، فيسكت وينصت، فإذا فرغوا مما يتكلمون به، حفظ كل ما قالوه وتكلموا به، وكلما شرحه لهم الشيخ فيقرأ على كل واحد منهم ما درسه، وشرحه، فيتعجبون من ذلك، ويقولون للمدرس، فيتعجب ويقول: هذا رجل سعيد قد أعطاه الله تعالى عطاء بغير حساب ولا تعب». وقال أيضًا: «وكان إذا سمع الحديث حين يحضر الحديث، فكأنما يضعه على قلبه فلا ينسى منه حرفا واحدا. وكان قدس الله تعالى روحه إذا صعد الكرسي ليحدث، يجري العلم على قلبه ولسانه كالبحر المتدفق، تقشعر له الجلود، وتخشع له القلوب، وتصدع له الصدور، وتذرف منه العيون، لم يسمع من غيره، ولا نقل في كتاب، ما هو إلا فتوح يفتح الله به عليه، وحكمة بالغة ألقاها الله تعالى عليه. وكانت تقف أهل العلوم عن يمينه، وعن شماله، ومن بين يديه كالجبال، قذف الله في قلبه ينابيع الحكم والعلوم، منحة منحه الله بها كالبحار، وفضلا لقوله تعالى ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[2][3] إ.هـ

٣- قال الإمام عزّ الدّين أحمد الصيّاد: «سيد الرجال، وتاج أهل الكمال، غوث الزمان، مجدد شريعة رسول الرحمن، شيخ الأمة، ثالث عشر الأئمة، الوارث الأكمل، محيي الملة والشريعة، والحق والحقيقة، والسلوك والطريقة والدين، أبو

---

(١) عبد الحي البطحاوي، الدرر المرضية، ص١٠.

(٢) البقرة: ٢٦٩.

(٣) الإمام علي الواسطي، خلاصة الإكسير، ص٦٠.

العباس السيد أحمد الكبير الرفاعيّ رضي الله عنه[1] إ.هـ

٤- قال الشيخ العارف بالله أبو البركات عقيل المنبجي قدس الله روحه: «السيد أحمد الرفاعي حجة الله على الأولياء، وكأني وخطاب الحق، يصدر في المحشر لهم، يا معشر الأولياء، أجاء كل واحد منكم بما جاء به أحمد، هجر الدعوى، ولزم التقوى، وطرح الشطح والافتخار، وادرع بالذل والانكسار، وحاد عن التعالي والادلال، وأثبت لنفسه المسكنة والإذلال، ألا وهو العبد، كل العبد من عرف حد البشرية، فما تعداه، وعلم عظمة الربوبية فتململ بالخضوع بين يدي مولاه. ويليق والله لمثل هذا الخطاب، فإنه بلغ اعلى الرتب، وما انفك عن مقام الأدب، وسبق القوافل، ووصل المنازل، والركبان من الإشراف على المراتب، والوقوف مع الدعاوى بمشاغل. لله أبوه من سابق لاحق، ومن لاحق سابق، وأنه لآية من ءايات الله، أبرزه الله للخلق، ليعرف به سلطان الحق، ولمثل هذا فليعمل العاملون»[2] إ.هـ

٥- وقال الإمام جمال الدين الخطيب الحدادي: «انتهت نوبة الفضائل للسيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه في عصره، وكان إذا جلس للدرس على كرسيه، تحيط به أئمة العلماء، وفحول الفضلاء، وصنوف أهل المعارف والعلوم، فإذا ابتدر الكلام أخرس المتكلمين، وأبهت الجاحدين، وحير العارفين، وأرقص السالكين، وأبكى الخاشعين، وأذهل المتمكنين، وأتى بجوامع الكلم وراثة من جده ﷺ، وبرز لجلاسه بكل فن، فالأدباء تأخذ نصيبها من فصاحته، والعلماء من معارفه، والفلاسفة من تحقيقه، والمتكلمون من تبيانه، والبلغاء من رقائقه، والأولياء من حقائقه، والعقلاء من حكمه، والفقراء من أدبه، والصلحاء من مواعظه، وكلهم من حيرة لما منّ الله عليه به من عظيم مواهبه، ليس على وجه الأرض في هذا العصر من

---

(١) عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، (ص٢).

(٢) عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، (ص٧٢-٧٣).

مجلس في علم الحقيقة معمور الأطراف بلباب الشريعة، يرد به الشارد، وتحصل به الفوائد، لا علو فيه ولا غلو، ولا تشم منه رائحة الدعوى إلا مجلس السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه، فإنه مدرسة للعلماء، ورباط للفقراء، ورياضة للسالكين، ومحجة للعارفين، والله يختص برحمته من يشاء. وكان ينشد عند ذكره وذكر غيره من الأولياء، رضي الله عنه وعنهم هذين البيتين:

لا تقس بارق النجوم بشمس ... بينها والنجوم فرق عظيم
فاحذرنّ أن يقال عينك عميا ... وإلا مكابر أو لئيم»[1] إ.هـ

٦- وكان يقول: «الحق الحق، والأدب مع الله قول الحق، والذي أموت عليه أن الله وحده لا شريك له، وسيد الكتب السماوية القرءان، وسيد المرسلين محمد ﷺ، وسيد الأولياء والمشايخ الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه». إ.هـ

٧- وكان رجال العصر يسمون السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه قبلة القلوب، لشدة ارتباط قلوب الناس به، ومحبتهم له، وإجماعهم عليه، وهو الحقيق بذلك، فإنه بركة العصر، وإمامه ومرشده إلى الله، وهاديه إلى طريقة الله وشريعة جده رسول الله ﷺ[2]. إ.هـ

٨- وروى الشيخ عمر الفاروثي أنّ السيد أحمد دخل الحدادية، فاستقبله فقهاؤها وعلماؤها، ومشايخها؛ فانعطف على رواق خالهم الشيخ أبي محمد الشنبكي الأنصاري الحسيني، فواصله بالزيارة، وركع في الجامع المبارك ركعتي التحية، فقام الناس بين يديه رضي الله عنه وسألوه مجلسًا، فوافق القوم، ووضعت له الكرسي فصعدها، فشممنا من حاله حين صعوده الكرسي رائحة واردات الكرم، فأخذ أهل الذوق المحابر والورق لكتابة ما يقوله، فلما استقر على الكرسي تاوه، وأنّ، وأرعد، واصفر لونه». وقال رضي الله عنه: «دخلت رواق السيد أحمد الرفاعيّ وقد

---

(١) الإمام علي الواسطي، خلاصة الإكسير، ص٦١.

(٢) المصدر السابق، ص٤٧.

مر عليّ ثمانون يومًا لم أطعم طعامًا، فرأيته مدّ للفقراء طعامًا لا يناسبني، فقلت في نفسي: ما الذي أصنع إذا قال لي الشيخ كل من هذا. فما تم خاطري، حتى دعا خادمه وقال له: خذ هذا إلى الغرفة، وأطعمه العصيدة التي هناك. وهي والله التي كانت خطرت لي واشتهتها نفسي[1]. إ.هـ

٩- وقال لي: مكثت سنين أجاهد النفس في طريق الفقراء، وأطلب الشيوخ، وأطوف البلاد، في طلب المرشد، فذكر لي الشيخ محمد بن عبدٍ البصري رضي الله عنه، فذهبت إليه، ودخلت عليه، وكلمته في أمري، فقال لي: يا عمر، الدين النصيحة، عليك بالسيد أحمد الكبير الرفاعيّ، فإنه شيخ الوقت، وقطب الدوائر، ورئيس الحضرات، والعصر الذي يكون فيه السيد أحمد بن الرفاعي، لا يلتجأ فيه إلى غيره، وهو وجه لا يخزيه الله في أتباعه أبدا، فإنه إمام هذا القرن، وسلطان الجماعة، وله بيعة المشيخة على كل صاحب سجادة على وجه الأرض. إ.هـ

١٠- وقال الشيخ عبد القادر الجيلانيّ، والشيخ اليعقوبيّ وغيرهما من رجال وقته في شأنه: «إنه رجل لا يعرف ولا يحدّ ولا يصل إلى مرتبته أحد». إ.هـ

١١- وقال الشيخ الورع أبو محمد القوصي: «مرّ السيد أحمد الرفاعيّ رضي الله عنه بموكب من فقرائه في أرض البطائح، فأنكرت حاله في سري، فنمت ليلتي وإذا بالنّبي ﷺ وهو يثني على السيد أحمد الرفاعيّ «علم الحقيقة يربي بحاله أكثر مما يربي بمقاله من أحبه فقد أحبني ومن ءاذاه فقد ءاذاني». فقمت مرعوبًا وأتيته، فلما رءاني تبسم وقال: «الرجل الكامل يربي بحاله أكثر مما يربي بمقاله»[2]. إ.هـ

١٢- قال الشيخ العارف بالله عبد الملك بن حماد الموصلي قدس سره العزيز: «كان السيد أحمد على جانب عظيم من الحلم والرفق والتواضع، وما خاطب صغيرا ولا كبيرا إلا بـ«أي سيدي»، وما رأى نفسه شيئا قط، ولا شهد له مزية على أحد من

---

(١) عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، (ص٤٤).

(٢) المصدر السابق.

الخلق، وكان يبذل بذل الملوك، وعيشته في أهله وعياله عيشة الفقراء، ويقول: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»[1]. إ.هـ

١٣- وقال الإمام الجليل شافعي عصره عبد الكريم الرافعي: «أخبرني شيخنا الإمام الحجة القدوة، عمر أبو حفص شهاب الدين السهروردي عن عمه الولي العارف شيخ الشيوخ أبو النجيب، عن شيخه الإمام الهمام البحر الطام محمد بن عبد الله البصري رضي الله عنهم، قال: كل الأولياء أدركنا مقاماتهم وما وصلوا إليه، وعرفنا منتهاهم في السير، إلا السيد أحمد الرفاعي، فإنه لا يعرف منتهاه في السير، وإنما رجال عصرنا على الإطلاق يعرفون الوجهة التي اتجه إليها، ومن ادعى الوصول إلى مرتبته أو الاطلاع على رتبته فكذبوه»[2]. ووصفه: بالشيخ الأكمل، والغوث المبجل، وقال فيه العلامة الفقيه اللغوي صاحب القاموس المحيط، الفيروزابادي:

أبا العلمين أنت الفرد لكن إذا حسب الرجال فأنت حزب إ.هـ

١٤- الإمام أحمد بن جلال اللاري المصري في كتابه «جلاء الصدا» [3]: قال الإمام أبو الهدى الصيادي رضي الله عنه: «كان السيد أحمد الرفاعي فقيهًا، عالمًا، مقرئًا، محدثًا، مجودًا، مفسرًا، وله إجازات وروايات عاليات، إذا تكلم أجاد، وإذا سكت أفاد» إ.هـ.

١٥- الإمام تاج الدين السبكي: قال رضي الله عنه في كتابه «طبقات الشافعية الكبرى»: «الشيخ الزاهد، الكبير، أحد الأولياء العارفين، والسادات المشمرين، أهل الكرامات الباهرات»، ثم قال: «وتفقه على المذهب الشافعي، وكان كتابه التنبيه» إ.هـ

---

(١) الإمام علي الواسطي، خلاصة الإكسير، (ص٧٣).

(٢) المرجع السابق، (ص٧٣).

(٣) هو الإمام أحمد بن جلال اللاري الحنفي الرفاعي توفي سنة ٩٠٠هـ.

١٦- قال تلميذه الإمام القاضي الفقيه المحدث الواعظ الصوفي الجليل أبو شجاع ابن منجح بن عبد الله الشافعي الواسطي: رضي الله عنه: «كان السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه عَلَمًا شامخًا، وجبلًا راسخًا، وعالمًا جليلًا، ومحدثًا فقيهًا، ومفسرًا، ذا روايات عالية، وإجازات رفيعات، قارئًا مجودًا، مجيدًا، حُجةً، رحلةً، متمكنًا في الدين». وقال: «أعلم أهل عصره بكتاب الله وسنته، واعملهم بها، بحرا من بحار الشرع، سيفا من سيوف الله، وارثا أخلاق جده رسول الله ﷺ[١] إ.هـ

١٧- وقال الشيخ الإمام الهمام، البحر الطام، محمد البصري: «كل الأولياء أدركنا مقاماتهم وما وصلوا إليه، وعرفنا منتهاهم في السير، إلا السيد أحمد الرفاعي، فإنه لا يعرف منتهاه في السير، وإنما رجال عصرنا على الإطلاق، يعرفون الوجهة التي اتجه إليها، ومن ادعى الوصول إلى مرتبته، أو الاطلاع على رتبته فكذبوه؛ أي إخواني، هذا رجل لا يعرف، هذا رجل انسلخ من عوائق نفسه، كانسلاخ الثوب عن البدن، والأولياء في عصرنا هذا، كبارهم وصغارهم، المشارقة والمغاربة، الأعارب والأعاجم، عيال عليه، يستمدون منه، ويأخذون عنه، وهو شيخ الكل في الكل، يسح[٢] النوال[٣] من حجرة جده عليه الصلاة والسلام على قلبه، وهو يقسمه على الرجال في الأرضين، ولا ينقطع مدده بإذن الله، والدولة له، ولذريته إلى يوم القيامة، مع طيب نفس المحب، ورغم أنف الحاسد، يفعل الله ما يشاء، لا راد لأمره، ولا منازع لحكمه»[٤] إ.هـ

١٨- قال الشيخ سند المحدثين عبد السميع الهاشمي الواسطي ببغداد وقد جرى ذكر السيد أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه: «كان السيد أحمد ءاية من ءايات الله يمشي على وجه الأرض، ما وقعت الأبصار على نظيره في عصره، قل في السلف مثيله،

---

(١) عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، (ص٤٤).

(٢) السح: الصب والسيلان.

(٣) النوال: العطاء.

(٤) محمد أبو الهدى الصيادي، تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار، (ص٤٦).

ولا يوجد في الخلف عديله، كان طريقه الكتاب والسنة، كان فعالا لا قوالا، شربها وحكم عليها، قهر حاله، وغلب طوره، كان إماما عالما عدلا، لو رأيت كل السلف، رأيته يوما وقد امتلأت أطراف أم عبيدة من زائريه وهو يبكي ويقول:

حـــــيرت فـــيـــك الـعـقـلا ... يـــا مـــن لـعـقـلي عـقـلا
كـــنـــت فـــيـــك حـــالـــتي ... فـضـحـتـني بـــين الـمـلا إ.هـ

١٩- يسأل مرة فقير الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه عن السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه، فقال له: «أي فقير، هذا رجل لا يعرف، ولا يصل إلى معرفة مقامه غير ربه أحد، هذا رجل خُلُقه الشرع والكتاب، وقلبه مشغول بحب الله، ترك الكل فنال الكل». وقال أيضا رضي الله عنه: «خُلُقه حسرة الرجال، وحاله منتهى الرجال، ومقامه غاية الآمال، وبابه محط الرحال». وقال فيه أيضا رضي الله عنهما: «من أراد أن يرى الرجل المتمكن الذي لا تحركه الزعازع، فليذهب إلى أم عَبيدة، فإن صاحبها الرجل المتمكن في كل مقام وطور، ودونه الرجال، وإن الله يرحم الوقت الذي يكون فيه مثل هذا الجهبذ» إ.هـ

٢٠- وقال الشيخ الكبير إبراهيم الهوازني: «ما أقدر أن أصف رجلًا أقل ما فيه أن صار شعر بدنه أعينًا ينظر بها شرقًا وغربًا، ويمنةً ويسرةً، السيد أحمد جعل كل أوقاته ءادابًا، وجعل لكل عضو من أعضائه أدبًا، يعرف شامخ رتبته الصادقون والكاذبون، والمدعون والمحققون، كل حركاته وسكناته، وأطواره وأحواله، دلائل واضحة، وأمارات لائحة، تدل على طهارة قلبه، ومرقاة سره، ووفاء عهده، وحفظ وقته، وقلة التفاته إلى العوارض، وإعراضه عن الأغيار، وإقباله بكليته على الملك الجبار، والحق أقول، كل الأولياء عليه عيال، وعلى وليمته يحطون الرحال، وينزلون برحابه الأثقال، وهو شيخهم في كل مقام وحال، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[1] إ.هـ

(١) عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الحمدية، ص٤٧.

٢١- قال الإمام المؤرخ ابن العماد الحنبلي، رضي الله عنه عند ذكر وفاته: «الشيخ الزاهد القدوة» إ.هـ

٢٢- قال الإمام ابن خلكان، رضي الله عنه: «كان رجلًا صالحًا، شافعيًا، فقيهًا، انضم إليه خلق من الفقراء، وأحسنوا الاعتقاد فيه، وهم الطائفة الرفاعية، ويقال لهم الأحمدية»[١] إ.هـ

٢٣- قال شيخه الشيخ منصور رضي الله عنه: «وَزَنْتُه بجميع أصحابي وبي فرجَحَنا جميعًا» إ.هـ

٢٤- قال شيخه الشيخ عليّ القاري الواسطيّ، رضي الله عنه: أرواح الأولياء تطير إلى حضرات القدس بأجنحة مختلفة، أطولها ريشًا، وأنهضها عزمًا، وأقربها مرمًى من سدرة الوصل، روح السيد أحمد بن السيد أبي الحسن علي الرفاعي، في هذا العصر؛ ولولا سر الامتثال لأخذت عنه ولا ريب، فأنا شيخه في الصورة، وهو شيخي في المعنى». وقال فيه أيضًا: «السيد أحمد سلك إلى الله طريقًا أتعب به السالكين، وأقصر ألسن المتكلمين، وأخرس في ديوان التفتيش المحمدي أهل الدعوى، أذل نفسه فعز، وأخرها فتقدم، وطمس أنانية استراق النفس السمع، فصار نورًا يستضاء به، وجبلًا أبلق يلتجأ إليه، وإنه لوجيه الوجه عند الله ورسوله ﷺ، نحن أشياخه بالاسم، وهو شيخنا وشيخ الوقت بالحكم» إ.هـ

٢٥- قال سبط ابن الجوزي: «حضرت عنده ليلة نصف شعبان، وعنده نحو مائة ألف إنسان، فقلت له: هذا الجمع عظيم. فقال: حشرت مع هامان إن خطر ببالي أني مقدم هذا الجمع»[٢]. وقال: «كان متواضعا سليما، مجردا من الدنيا، ما ادخر شيئا قط»، وقال: «رءاه بعض أصحابه في المنام مرارا في مقعد صدق عند مليك

---

(١) محمد أبو الهدى الصيادي، تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار، ص٨.

(٢) أراد المبالغة في التبري من الكبر والرياء والعجب وأنه بعيد من هذه النية كل البعد وليس معناها انه كافر كهامان.

مقتدر، وكان لا يقوم لأحد من أبناء الدنيا، ويقول:

إن كـان لي عـنـد سـلـمـى قـبـول فمأأبالي مايقول العذول[1] إ.هـ

٢٦- قال الشيخ أرسلان الدمشقي[2] على كرسيه في جماعة من أصحابه بداره في دمشق: «خدمت سيدنا إمام القوم السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه ثلاث عشرة سنة، وكنت في خدمته سنة خمس وخمسين وخمسمائة، عام مدت له يد النبي ﷺ، وكنت قريبا منه وقد وقف تجاه حجرة جده المصطفى عليه الصلاة والسلام، فمدت له يد جده عليه الصلاة والسلام بيضاء طويلة الأصابع، كأنها الصيقل اليماني، ورأيتها بعيني رأسي ومثلي رءاها الحاضرون، وهذه الرؤيا عندي من أعظم زاد القدوم على الله تعالى، ثم بكى وذكر حال السيد أحمد الرفاعي وأخلاقه وأطواره ومقاماته العجائب، وأنشد بشأنه:

أيـامَ كـان فتى البطحاء قائدَنـا كنا نـدوسُ قبـابَ الأفْقِ بالقدَم
أحـيـا الـشريـعـةَ أعـلا وهـو منكسرٌ ركنَ الطريـقة بالعِرفـان والهِمم
كانت مواسمُنا بيضـا بطلعتِه يا نِعم سلطانُ فضلٍ ذلَّ كالخدمِ

وقال الشيخ تاج العارفين أبو الوفا: «يظهر بعد وفاتي في أم عبيدة رجل تشد إليه الرحال، وتذل له رقاب الرجال، يتعجب الخلق من طريقته، متى ظهر تغلق أبواب الصالحين، ويتواضع له كل صاحب سجادة على وجه الأرض، يصل تحكمه وتصرفه إلى مرتبة عظيمة، يسلك طريقا لم يسلكه أحد من أهل الخرقة قبله، ولا بعده، وهي طريقة الذل والانكسار، والمسكنة والافتقار، والخضوع والحيرة، ولم يكن في الطرق إلى الله أعظم وأصعب منها». فقيل له: «ومن هذا الرجل؟». فقال للسائل: «اسمه أحمد الرفاعي، سيظهر وتصير في وقته فاغنم بركته، وبلغه سلامي» إ.هـ فعاش الرجل إلى أن ولد السيد أحمد الرفاعيّ، وظهر أمره، ووصل إليه، وأوصله سلام الشيخ

(١) محمد أبو الهدى أفندي الصيادي، تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار، ص٨.

(٢) من أكابر مشايخ الشام، المجمع على جلالتهم، ومن جلة أهل التصريف، وله أحوال معروفة، مات بدمشق ودفن بها قبل السبعمائة. الكواكب الدرية، ج٢، ص٤١٤-٤١٥.

تاج العارفين، وتاب على يديه، وصار من أصحابه، رضي الله عنهم أجمعين إ.هـ

٢٧- وقال الشيخ أحمد بن محمد الوتري قدس الله روحه: «سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا، وشيخنا ومولانا السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه، فهو المشهور المذكور، المعروف الموصوف، الذي شاعت مآثره الأقطار، وطار صيته العالي في الأنجاد والأغوار، وعلت سيرته علو الشمس رابعة النهار»[١] إ.هـ

٢٨- وقال الشيخ الهمام عليّ بن الطري خادم الحضرة الرفاعية: «كان شيخنا السيد أحمد الرفاعيّ رضي الله عنه، أبا الأيتام، وربيع المساكين، للأرامل كالولي العزيز، وللضوائع كالكهف الحريز، ملجأ المحتاجين، وكعبة القاصدين، ومنهلا عذبا للواردين، يجبر اليتيم ويربيه، ويقرب المسكين ويحويه، يعطي الأرامل من غير سؤال، ويمنح الضرائع من غير إمهال، ويسعف المحتاج من غير إهمال، ويتحنن على القاصد بشفقته، ويتلذذ على العاذر بعذوبته، ويتقرب للخلق بقضاء حوائجهم، وإيصال الراحة إلى قلوبهم، ولم يزل إذا قال قولا اتبعه بصحة الفعل، وصدق القول، ولم يخالف قوله فعله»[٢] إ.هـ

٢٩- وقال ابن شهبة: «هو مغربي الأصل، تخرج بخاله الشيخ الزاهد منصور، وكان صالحا، فقيها، انضم إليه خلق من الفقراء كثير، وأحسنوا فيه الاعتقاد، وقد صنف الناس في مناقبه، وأخرجوا ترجمته، وذكروا من كراماته ومقاماته، أشياء حسنة، كان فقيها شافعيا، وله شعر حسن، والمشيخة في أبناء أخيه»[٣] إ.هـ.

٣٠- سأل رجل الشيخ الإمام الفقيه الحجة جمال الدين الحدادي رحمه الله عن سيرة سيدنا ومولانا ومفزعنا السيد أحمد رضي الله عنه، فقال له: «أي ولدي، شيخنا السيد أحمد رضي الله عنه، دأبه محاسبة نفسه على كل نفس، لم يغفل عن ذكر الله

---

(١) الإمام الوتري، روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين، ص٥٥.

(٢) السيد عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، ص٧٣-٧٤.

(٣) محمد أبو الهدى أفندي الصيادي، تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار، ص٨.

تعالى، وما رأيناه والله فارغا من عمل يعود إلى الله تعالى، ولم يلتفت إلى ترهات المتصوفة، وشطحاتهم، وهفواتهم، وقولهم بالوحدة المطلقة، ويرى كل ذلك من القواطع عن الله تعالى، ويأمر بالتوحيد، وإفراد القدم عن الحدث، ويقول هذا مذهب الجنيد رحمه الله ورضي الله عنه، وهو شيخ مذهب الصوفية، وهذا هو الذي شرعه سيد المخلوقين محمد ﷺ، وكان يعظم قدر النبي ﷺ، ويبالغ بالوصية على متابعته، عليه الصلاة والسلام، ويحث على التمسك بسنته، ويعظم مقادير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويقول: النبي شجرة، والولي بقلة، وكم تحت الشجرة من بقلة. ويقول: لا يصل الأولياء إلى مراتب الصحابة الكرام، لأنهم أئمة الأولياء، وساداتهم، وقد شرفتهم صحبة النبي ﷺ، شرفا لا يقابل بعمل ءاخر، ويحث على إعظام شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم بعده عمر الفاروق رضي الله عنه، ثم بعده عثمان رضي الله عنه، ثم بعده عليّ رضي الله عنه، ويقول: هؤلاء أئمة المسلمين، وأعيان الدين»[1] إ.هـ

٣١- وقال العلامة ابن الأثير: «كان صالحا، ذا قبول عظيم عند الناس، وله من التلامذة ما لا يحصى»[2] إ.هـ

٣٢- وقال الشريف الكبير حسن بن محمد الحسيني رحمه الله: «ظهر في أم عَبيدة بواسط العراق رجل من العرب يتحدث النّاس بكراماته، وأقواله في الشريعة والحقيقة، واشتهر بالكرامات والعنايات والبركات، وأقرت له بالولاية الجهابذة السادات، واتفق على تفرده في عصره أهل العلم والصلاح، فسألت عنه فقيل لي هو رجل من العرب من بطن بني رفاعة، اسمه أحمد بن أبي الحسن الرفاعي، فعظم ذلك عليّ، وقلت في خاطري هذا أمر عجيب، فإن الفتح الذي يبلغنا عنه لا يكون إلا لأهل البيت، والذي بلغوا أدنى من هذا الفتح من الأولياء ما بلغوه إلا لواسطة أهل

(١) الإمام الوتري، روضة الناظرين، ص٥٦. عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية،

(٢) محمد أبو الهدى أفندي الصيادي، تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار، ص٧.

بيت النبوة، وبعد خدمتهم والانتساب إليهم، حصل لهم ما حصل من الفتح والبركة كإبراهيم بن الأدهم، وأبي يزيد البسطامي، وغيرهما من أولياء الكون، وهذا الرجل لا نعرفه ولا يعرفنا، ونرى أن أسراره تشابه أسرارنا، وإذا ذكر تحن إليه قلوبنا ويتحرك دمنا»[1] إ.هـ

٣٣- قال الذهبي المجسم إخبارًا عن السيد الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه: الإمام القدوة العابد الزاهد شيخ العارفين إ.هـ

٣٤- قال الإمام عبد القادر الجيلاني مخاطبا السيد الكبير رضي الله عنهما: أنت الرفاعي حقيقة، أنت ولد الرسول المعروف، وقد أعطيت من بين الأولياء هذه المراتب العلية المكرمة المشرفة لكونك من هذا النسب المطهر وبسبب سلوكك طريق الفقر والغنى وحاصله أنك صرت شيخ الشيوخ وصرت نورًا على نور، يا أبا الصفا قد أبقيت هذا الاسم من بعدك لأولادك وفقرائك، فإن كل من سلك طريق الفقر عنك يسمى بالرفاعي إلى انقراض الزمان[2] إ.هـ

٣٥- وقال[3]: إن جميع الأولياء تشهد أن السيد الكبير أحمد الرفاعي غالب أوقاته دائر في العالم العلوي (أي دائم الفكر والتدبر) وهو دائم السُكر من محبة الحق (أي كان دائما غارقًا في بحر المحبة) إ.هـ

٣٦- وقال[4]: أي فقير هذا رجل لا يعرفه أحد (أي على حقيقة علو مقاماته) ولا يصل إلى وصفه واصفا (أي تماما كما هو على كل صفاته وأخلاقه) لأن كل الرجال تعرف أحوالهم ومقاماتهم وهذا الرجل لا يعرف ولا يوصف (أي حق الوصف والمعرفة لأنه متمسك بأخلاق رسول الله ﷺ) وأقواله وأفعاله فلذلك

---

(١) عز الدين أحمد الصياد، المعارف المحمدية في الوظائف المحمدية، ص٣٣-٣٤.

(٢) قلادة الجواهر (ص ١٣).

(٣) السيرة المرضية (مطبعة نضر الطبعة الثانية ص٢٧).

(٤) المصدر السابق (ص٢٧).

كان الله مؤيد له باطنا وظاهرًا وهذا حظه ونصيبه إ.هـ

٣٧- وقال قال أبو عبد الله محمد بن الخضر الحسيني الموصلي رضي الله عنه: سمعت أبي يقول: سأل فقير الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه عن السيد أحمد الكبير الرفاعي رض الله عنه فقال له: أي فقير هذا رجل لا يعلم مقامه غير ربه أحد، هذا رجل خلقه الشرع والكتاب وقلبه مشغول برب الأرباب، ترك الكل (أي كل ما يشغل عن طاعة الله والترقي إلى المعالي) فنال الكل (أي كل ما أعطاه الله من المقامات والبركات والفتوحات) إ.هـ

٣٨- وقال: وجرى ذكر السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه في مجلس الشيخ عبد القادر الجيلي مرة فقال: السيد أحمد الرفاعي حجة الله على أوليائه اليوم إ.هـ

٣٩- وقال الشيخ أحمد الزاهد بن الشيخ منصور البطائحي: كان صاحب أسرار خارقة ومواجد وأحوال ملازما قراءة القرءان غلبت عليه محبة الله محبوه ومريدوه كلهم مرادون وإذا حضر واحد منهم مجلسًا سلب قلوبهم وجلب محبتهم إليه بإذن الله تعالى، وقد شرفه الله بأن أعطاه أسماء متعددة تدل على شرفه الزائد بين الأولياء منها: السيد أحمد الرفاعي، وسلطان العارفين وسيد المشايخ وصلاح الدين ومحيي الدين وأحمد الكبير وأبو صالح وأبو الصفا... ولا تنقطع فقرائه ولا مريدوه إلى يوم القيامة بإذن الله تعالى لأن عليه نظرا خاصا من جده سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام، وما وصل إلى هذه الرتبة إلا ببركته ﷺ فإنه فرع شجرته الزكية الطاهرة العلية رضي الله عنه وعن أولياء الله أجمعين[٣] إ.هـ

٤٠- وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في مننه ما نصه[٤]: سأل جماعة الشيخ أبا

---

(١) السيرة المرضية (مطبعة نضر الطبعة الثانية ص٢٧).

(٢) المصدر السابق (ص٢٨).

(٣) قلادة الجواهر (ص٣٨).

(٤) مراحل السالكين (ص١١١-١١٢).

المنذر المهتدراجي رضي الله عنه عن سيد أحمد الرفاعي فقال: لأ أقدر أن أشرح لكم حاله. فقالوا له: أن تخبرنا بشيء من أحواله. فقال: ما أقول في رجل ما اعترف قط لنفسه بمقام ولا قدر، ولا خطر الدعوى ولزم التقوى وطرح الشطح والافتخار، وادرع بالذل والانكسار، ومحى التعالي والإدلال، ألا هو العبد كل العبد، عرف حد البشرية فما تعداه، وعلم حق الله فتململ بالخضوع بين يدي الله(أي تذللًا وانكسارا وخشوعا لله المطلع عليه، وأما الله فموجود بلا مكان منزه عن الجوارح والآلات والأعضاء). ويليق والله لمثل هذا الخطاب فأنه بلغ أعلى الرتب وما انفك عن مقام الأدب وسبق القوافل ووصل المنازل والركبان من الأشراف على المراتب، والوقوف على الدعاوي بمشاغل، لله أبوه من سابق لاحق ولاحق سابق وإنه لآية من آيات الله أبرزه الله للخلق ليعرف سلطان الحق، ولمثل هذا فاليعمل العاملون إ.هـ

وقال الشيخ أبو الهدى الصيادي قدس الله سره[1]: والحق أقول، هذا الطراز من الأولياء رضي الله عنهم طراز الإمام سيدنا أحمد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه، وقد سبق به السابقين وأعجز به اللاحقين ولذلك أجمع القوم على تقديمه في مرتبة الغوثية الكبرى، وهو بلا ريب إمام الدوائر وسلطان الحظائر وشيخ البادي والحاضر وملحق عجزة الأصاغر بأقوياء الأكابر والواحد بين أولي المقامات في جميع الخصائص والذي قيل فيه: إنه متمم كلا نقص والجهبذ والضخم السلسة وصاحب اليد والعلم الرباني المطمطم، تجري عليه كثير من الأمور الغيبية والأسرار الربانية في كل ساعة ولحظة، فتراه تارة خائفًا، وتراه تارة تعرفه، وتارة تراه لا تعرفه، وكم مرة دخل علينا الرباط لا نعرفه، وتارة يدخل الرباط لا يسعنا معه المقام فلا نقابله إ.هـ

(١) لكليات الرفاعية (ص٨٢-٨٣).

٤١- وقال[١]: وسئل الشيخ شهاب الدين قدس سره: يا عمر! أي المشايخ من بعد الجنيد إلى الآن أكبر مقاما وأتم منزلة وأكمل تمكينا وأصح حالًا؟ فقال: الإنصاف يا شيخ أن يقال: السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه فدار السائل دورين أو ثلاثا فقال: إ.هـ

٤٢- وقال رضي الله عنه: لا ينقص البدر في برج الكمال إذا عدو البدور وما عدوه إجلالا[٢] إ.هـ

٤٣- وقال العارف الوتري في نفحات الإمداد على نونية الصياد[٣]: تدبر أيها المحب حال الإمام الرفاعي مع جلالة قدره وسمو منزلته وإجماع القلوب والعقول على علو مكانته ورفع مرتبته وما أعطاه الله إياه من العلم والحكمة والجاه العظيم، وكثرة الأتباع الذين لا يحصى عددهم ومع هذا كله كان يملأ القربة بذاته ماء ويذهب بها إلى بيوت الأرامل والمساكين الذين يمكنهم الخروج، فيفرغها لكم ويقضي حوائجهم وحوائج العجائز والمرضى والضعاف من النصارى وغيرهم حتى أسلم على يديه منهم خلق كثير وكانوا يسمونه في عصره أبا المساكين والأيتام ولم يقل لأحد صغيرا كان أو كبيرا إلا: أي سيدي إ.هـ

٤٤- ونقل يوسف خطار محمد في كتابه ما ذكره الإمام الشعراني في عهوده وابن الحاج في أم البراهين: أن قطب الأقطاب سيدي إبراهيم الأعزب قدس الله روحه، قال: حدثني رجل صادق صالح أثق بقوله وكان له من العمر مائة وثلاثون سنة وكان قد أدرك سيدي أبا الوفا قدس الله سره، سئل هذا الرجل عن الإمام الرفاعي فقال، هو رجل عظيم المنزلة عند الله، فإذا ظهر غلق أبواب جميع المشايخ والصالحين، يظهرعن قريب وله سر عجيب وسير غريب، ويصير الوقت له ولأهله وتحكمه

---

(١) السيرة المرضية (ص٣٢)

(٢) الإمام أبو الهدى الصيادي، مراحل السالكين (ص١١٣).

(٣) يوسف خطار محمد، نفحات الإمداد على نونية الصياد(ص٣٧-٣٨).

وتصرفه يصل إلى مرتبة عظيمة يسلك طريقا لم يسلكها أحد لا قبله ولا بعده، وهي طريق الذل والانكسار والمسكنة والافتقار والخضوع والاحتقار، لم يكن في الطرق إلى الله تعالى أعظم منها ولا أصعب، تتحير فيه الخلائق. فقال له أصحابه: فهل يعيش هذا الرجل حتى يظهر هذا الشيخ الذي ذكرته؟؟ فقال لهم: نعم، الله قادر على كل شيء، لا يسأل عما يفعل. قال: فعاش الرجل حتى جاء الشيخ الكبير السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه وتاب على يديه وسافر معه وتوفي بعد ذلك عن قريب رحمه الله إ.هـ

٤٥- وقال: وذكر سيدنا أحمد بن جلال في كتابه جلاء الصدا: أن بعضهم رأى النبي ﷺ في المنام مثنيا على السيد أحمد الكبير رضي الله عنهما قائلا في شأنه: كان أحمد بن الرفاعي عروس المملكة علما، به يقتدي الخلائق فيهتدون ويصلون إلى مرضاة الله، وكان يربي بحاله أكثر مما يربي بمقاله إ.هـ

٤٦- وذكر صاحب الجلاء أنه رأى النبي ﷺ وهو يثني على السيد أحمد الكبير ويقول: كان السيد أحمد الرفاعي بن أبي الحسن علم الحقيقة إ.هـ

٤٧- وقال الشيخ العلامة السيد محمد بهاء الدين الرواس في سيدنا الإمام الرفاعي رضي الله عنهما:

حسدتك[1] يابن رفاعة الأقوام ... لعلو قدر دونه الأوهام

أيعاب أصحاب بسرك أدركوا ... حال الخليل[2] وكلهم أعلام

قوم يلوذ السالكون ببابهم ... وتضيء منهم بالهدى الأفهام

وعليهم يلقي العواجز حملهم ... وبهم يعز وجدك الإسلام

---

(١) الحسد هنا بمعنى الغبطة (بمعنى تمنوا وليس الحسد المذموم المحرم).

(٢) أي بسرك وبعلومك عرفوا حال ومقام ورتبة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وليس المعنى أنهم وصلوا إلى مرتبته (قال الحافظ الطحاوي في عقيدته المشهورة:ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء). ومن ساوى بين نبي وولي كفر.

بسحاب سرك أخمدوا ضرم الغضا ... وهل السحاب يرى لديه ضرام
مولاي يا سلطان أصحاب الحمى ... وإمامهم ما كرت الأيام
لك بالحسين تسلسل خطت له ... في لوح واسطة العبا الأيام
وعليك دار رحا الرجال فقطبهم ... هو أنت إن قعدوا وإن قاموا
أعطاك ربك رفعة لاتنتهي ... وفتى يؤول لك ليس يضام
أبرزت من تحف العلوم حقائقاً ... تعلي الشريعة كلها إلهام[1]
وأئمة الأغواث أنت لركبهم ... في حضرة الجمع المنيع إمام
بركابك العالي مشت أفرادهم ... ولهم بسلكك في الطريق نظام
وجحاجح العلماء حولك حلقوا ... ولهم ببابك للعلوم قيام
ولأنت آية زهر آل محمد ... صلى عليه الخالق العلام إ.هـ

وقال صاحب البراهين في كتابه قلادة الجواهر[2]: كان السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه كاتما للسر بائحا للذكر صحيح العقد حافظا للعهد جليس الحسرات خاليا من الشهوات صبره بغير جزع وورعه بغير هلع عيشه قناعه وجوعه طاعة، إن منع صبر وإن فتح الله عليه بشيء آثر لا يعرف الراحة ولا يأمل الاستراحة، كثير الصيام والقيام قليل الكرى والمنام اشتغاله مطالبة النفس بالتصحيح وحرس اللسان وعن الكلام القبيح، قد تسربل بسربال الرضا، وصبر تحت مر القضا، أكله أكل المرضا، وشربه شرب الغرقى، دموعه غزيرة وأوجاعه كثيرة، فلما كانت هذه صفاته علت عند الله تعالى منزلته ودرجاته. وقال: كان السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه ينتفع به الآتي، ويصلح به العائد ويتقيد به الخاطر المتبدد ويتجدد بنظره عهد المتعهد، يحلم على العاتب ويستر على الغائب، كلامه حكمة، وسكوته فكر، وقال قدس سره: كان

---

(١) ليس معناه أن علوم الشريعة تأخذ بالكشف والإلهام، بل لا بد فيها من التلقي المعتبر، ولكن يوجد ما يسمى العلم اللدني وهو العلم الموهوب لا يدرس ولا يحصل في المدارس وعند المشايخ إنما هو فيض يفيض به الله على قلوب بعض أوليائه.

(٢) كتاب قلادة الجواهر (ص٥١)

السيد أحمد الرفاعي مقتفيًا ءاثار النبي ﷺ وءاثار أصحابه رضوان الله عليه أجمعين، لا يخرج عما كانوا عليه مما جاء به الكتاب والسنة، وكان قصده إحياء سنتهم وإقامة طرقهم وإيضاح منهجهم، ويقتدي بقول رسول الله ﷺ (رحم الله خلفائي) ثلاث مرات، قيل: من هم خلفاؤك؟ قال (الذين يحيون سنتي ويعلمونها عبد الله تعالى) إ.هـ. وقال قدس سره: كان السيد أحمد الرفاعي ينفع الناس بيده ولسانه وحاله ومقاله وأفعاله واحتماله وكرمه، شرب بكأس الصفا، فصفت أسراره عن الكدورات والجفا، وتقمص بقميص أهل التقى فاستوجب بذلك العلو والارتفاع كما قال الشاعر:

من عامل الله بتقواه ... وكان في الخلوة يخشاه
سقاه كأسًا من لذيذ الصف ... يغنيه عن لذة دنياه إ.هـ.

٤٨- قال عَلي محمد محمد الصَّلابي في كتابه «صلاح الدين الأيوبي» وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس ما نصه[١]: وفاة أحمد الرفاعي مؤسس الرفاعية: هو الإمام، القدوة العابد، الزاهد، شيخ العارفين، أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد الرفاعي المغربيُّ ثم البطائحي، قدم أبوه من المغرب، وسكن البطائح، بقرية أُمِّ عبيدة، وتزوج بأخت منصور الزاهد ورزق منها الشيخ أحمد وإخوته وكان أبو الحسن مقرنًا يؤمُّ بالشيخ منصور، فتوفي وابنه أحمد حمل فربّاه خاله، فقيل: كان مولده سنة خمس مائة واثني عشرة قيل: إنه أقسم على أصحابه إن كان فيه عيب يُنبّهونه عليه فقال الشيخ عمر الفاروثيُّ: يا سَّيدي أنا أعلُم فيك عيبا. قال: ما هو؟ قال: يا سيَّدي، عيبُك أننا من أصحابك، فبكى الشيخ والفقراء، وقال: أي عمر: إن سَلِم المركب حمل من فيه وقيل: إن هرة نامت على كم الشيخ أحمد، وأقيمت الصلاة فقص كُمَّهُ وما أزعجها، ثم قَعد، فوصله وقال: ما تغير شيء وقال: أقرب الطريق الانكسار والذُّلُّ والافتقار؛ تُعظَّم أمر الله وتشفق على خلق الله وتقتدى بسنة رسول الله ﷺ، وكان لا يقوم للرؤساء

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس (طبعة دار المعرفة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م الجزء الأول ص ٤٨٥).

ويقول: النَّظر إلى وجوههم يُقسِّي القلب وكان كثير الاستغفار، عالي المقدار، رقيق القلب، غزير الإخلاص، توفي سنة ثمان وسبعة وخمس مائة في جمادى الأولى ... إ.هـ

٤٩- وقال السيد إبراهيم بن السيد محمد بن السيد عبد الله ابن الولي الكبير السيد أحمد الراوي الرفاعي ما نصه: «قد ترجمه أحمد عزت باشا بن محمود أفندي بن سليمان أفندي الفاروقي رحمه الله فقال: هو الشاب التقي النقي اللوذعي، ولد براوه بعد السبعين ومائتين وألف، ونشأ في حجر أبيه وتلقى عنه العلوم وتفقه في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ورحل لطلب العلم إلى الموصل وإلى بغداد، وأحرز سهمًا من الكمال. إلى آخر ما ترجمه به وقد ذكر له قصيدة مدح بها الشهم الأوحد والقطب الغوث المفرد السيد أحمد الرفاعي قدس الله سره وأعلى قدره وجعل في الجنان مقره فقال:

يـا أخـا الـسير إن أردت وصـالا ... ووصـــولًا إلى الـعـلا واتـصـالا
بفسيح الـوادي الـمقدس فاترك ... زمـرة الحـائـريـن واخـلـع نـعـالا
وتـذلـل واسـلـك طـريـق الرفاعي ... مـن كـسـاه الـرسـول قـالًا وحـالا
ولـديـه الـوفـود كـم قـد أقـالـت ... عـشـرات وخـفـفـت أثـقـالا
وهـو مـأوى الـقـفـول في كـل عصر ... كـم جـلا عـن قـلـوبهـا أقـفـالا
وهـو لـيـث الـوغـى وغـيـث الـبرايـا ... منه تسقي قلوبها الآمـالا[1]...اهـ

٥٠- وورد في أم البراهين أن السيد أحمد رضي الله عنه كان يخفض ويغض صوته، ولا يتكلم إلا بآية من كتاب الله تعالى أو بخبر عن رسول الله ﷺ ويقول: وا خجلتاه، غدا بين يدي الله تعالى إذا جئت مقصرا وقد سبقني أصحاب الأعمال المرضية

(١) نقله المؤرخ عبد الرزاق البيطار في كتابه حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (الجزء الأول ص٣١).

وقربوا من إلٰه السموات (القرب المعنوي) فما يكون عذري عند من لا تخفى عليه خافية عالم السر والعلانية اهـ[1].

٥١- وقال السيد عبد السلام: كان السيد أحمد الرفاعي يتخذ الفقر غنًى والذل لله عزًّا، والصبر على المكاره راحة والدنيا سجنًا، قوته ما وجد ولباسه ما ستر العورة، والبلاء عند النعمة، يعتمد على الله في جميع الأمور، سرًا وعلانية، ويقول: من اعتصم بالمال قلّ، ومن اعتصم بالمخلوقين ذلّ، ومن اعتصم بالله تعالى عزّ جلّ إ.هـ

٥٢- وقال الشيخ يعقوب: كان السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه لا يعرفه أحد إلا بذل وانكسار وخضوع وخشوع وافتقار، ومسكنة وتواضع واحتقار (السيد أحمد من عظيم تواضعه كان يحتقر نفسه مع جلالة قدره فإنه كان أفضل الأولياء في عصره وزمانه) كانت فيه جميع ءاداب الفقراء والصالحين والأولياء متحليا بحلية الأنبياء والمرسلين، وكان السيد أحمد رضي الله عنه ملازمًا الحزن والاضطراب دائم الهلع والاكتئاب، كثير البكاء والانتحاب، يؤدب نفسه بالرياضات ويؤدب قلبه بالمعارف، كان بكاؤه بأدب وجلوسه بأدب وأكله بأدب ونومه بأدب، وقيامه بأدب، وكلامه يمنع الصدا وهمته لا تعرف الردي، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بفعله ويقتدي بقول الله تعالى ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ (سورة النساء ءاية ١١٤)[2] إ.هـ

٥٣- وقال: وكان السيد أحمد رضي الله عنه أبًا للأيتام ربيعا المساكين، للأرامل كالزوج العطوف ويلهف كما يلهف الحزين، ملقى المحتاجين، وكعبة القاصدين، ومنهل عذب الواردين، يجير اليتيم، ويربيه ويقرب المساكين، يعطي الأرامل من غير

---

(١) قلادة الجواهر (ص٨٣).

(٢) المصد السابق (ص٥٢-٥٣).

سؤال، ويمنح الضوائع من غير إمهال، ويسعف المحتاج من غير إهمال، ويتحنن على القاصد بشفقته، ويتلذذ الوارد بعذوبته، ويتقرب إلى الخالق بقضاء حوائجهم وإيصال الراحة إلى قلوبهم وإذا قال قولًا أتبعه بصحة الفعل ولم يخالف قوله فعله، وقال خادمه: ما هان رحمه الله تعالى، خدمت السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه عدة سنين، ما رأيته ترك أحدًا إلا ابتدأه بالسلام ولا رد أحدًا خاليًا ولا رأيته عاب شغلًا عملته ولا قال لي إذا لم أعمله، لم لم تعمله ولا جافي ولا رد علي يومًا قط، وكان يحمل الحطب على رأسه ويأتي باب الرواق ويفرقه على الفقراء. وكان من أخلاق سيدنا أحمد رضي الله عنه محاسبة نفسه في كل نفس، ومن أخلاقه أيضًا رضي الله عنه الفرح إذا أدبر عنه الناس ليخلو لعبادة ربه إ.هـ [1].

٥٤- وقال العدني في كتابه النجم الساعي: إن السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه كان يأكل ما يسقط من بقية طعام الفقراء إ.هـ

٥٥- وقال الشيخ يعقوب كراز: كان سيدي الشيخ أحمد الرفاعي في المجلس فقال لأصحابه: أي سادة، أقسمت عليكم بالعزيز سبحانه، من كان يعلم في عيبًا فليقله. فقام الشيخ عمر الفاروثي فقال: أنا أعلم عيبك، إذ مثلنا من أصحابك، فبكى الشيخ والفقراء، وقال: أي عمر إذا سلم المركب سلم من فيه. وكان لا يأكل إلا بعد يومين أو ثلاثة إلا أكلة واحدة ذكره صاحب كتاب البراهين إ.هـ

٥٦- وذكر الشعراني في مننه أن السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه كان يدور وراء الكلاب ليداويهم، فربما هرب منه الكلب، فيمشي وراءه ويتعطف بخاطره ويقول: إنما أريد مداواتك. وكان يمشي إلى المجذومين والزمنى في أماكنهم، فيغسل ثيابهم ويفلي رؤووسهم وثيابهم من القمل ويحمل إليهم الطعام ويأكل معهم ويجالسهم ويسأل الله تعالى لهم العافية، ويسأل لهم الدعاء ويقول: زيارة هؤلاء وخدمتهم من الواجبات. وكذلك كان يفعل مع العميان والمرضى والعرجان، وكان يقضي

---

(١) قلادة الجواهر.

حوائج العجائز والأرامل من النصارى، ويخدمهم ويحسن إليهم حتى أسلم على يديه خلق كثير منهم إ.هـ

٥٧- وكانوا يسمونه أبا الأيتام والمساكين، وربما يسمع بمرض أحد من الفقراء في غير بلده، فخرج إليه فيعوده ويخدمه، ثم يرجع بعد يومين أو ثلاثة إ.هـ

٥٨- وكان يقف في الشارع يقصد أن يقود العميان، فإذا قاد أحدهم قبل يده، وسأله الدعاء، وكان يتفقد الشيوخ الذين عجزوا الذهاب إلى بيت الخلاء وصاروا يتغوطون على ثيابهم، فيخلعها ويغسلها وينشفها ثم يلبسه إياها، ويوصي جيرانهم عليه ويقول: اشفق على خلق الله مما يقرب العبد إلى الله تعالى إ.هـ

فاعلم يا أخي ذلك وأشفق على خلق الله تعالى، والله تعالى يتولى هداك ويدبر أمورك ويساعدك إ.هـ

١- وذكر الشعراني في مننه أيضًا أنه كان سيدي علي الخواص يقول: قد سلك سيدي أحمد في الذل مسلكًا يقصر عنه فحول الرجال، وكان إذا صعد الكرسي لا يقوم قائمًا وإنما يتحدث قاعدًا وكان يسمع حديثه القريب مثل البعيد، حتى إن أهل القرى التي حوالي أم عبيدة كان يجلسون على أسطحتهم يسمعون صوته، ويعرفون جميع ما يقول حتى الأطرش والأصم! وكان إذا جلس على ثوبه جراد وهو مار في الشمس، يجلس على محل الظل ويمكث لها حتى تطير ويقول: إنه استظل به. وكان إذا رأى شيخًا كبيرًا يذهب إلى أهل حارته يوصيهم به. وكان لا يجازي بالسيئة بل يعفو ويصفح، وكان يقول: لا يحصل للعبد صفاء الصدر حتى لا يبقيه بشيء من الخبث لأحد من خلق الله تعالى. وكان رضي الله عنه يمرغ وجهه وشيبته على التراب ويقول: اعفر ويبكي ويقول: اللهم اجعلني سقف البلاء على هؤلاء الخلق. وكان رضي الله عنه لا يتكلم إلا يسيرًا ويقول: أمرت بالسكوت ولم يتصدر في مجلس قط، ولا جلس على سجادة ولا وسادة بل خالف مألوفه وخالف سهاده وتذكر عهد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [سورة الاعراف: ١٧٢]، فحن وتفكر في حاله

فأن ولسان حاله يقول:

سرى نسيم الصبى من حاجز فصبا ... وبات يشكوى إلى أنفاسه الوصبا
ذو صبوة لم يشم برق الشآم ولا ... دعا ابن ورقاء إلا صاح وأحربا
ما يبرح البارق النجدي يذكره ... نجدًا ويطربه ونجدًا إذا التهبا
بود لو أنام أيام الحمى رجعت ... وكيف يرجع عيش بعد ذهبا[1] إ.هـ

٦١. وذكر لي الشيخ أبو الفضل شرف الدين الهاشمي الواسطي أن ابن المحتشم شحنة واسط أنكر نسبة السيد أحمد فذُكر ذلك لسيدي أحمد فقال: وفقه الله والله إني من طينة رسول الله ﷺ ومن ولد بضعته الزكية فاطمة وهي تشهد لي بذلك وكفى بالله شهيدًا، فما جاء الصباح حتى جاء ابن المحتشم بخيله ورجاله ودخل رواق سيدنا السيد أحمد وكشف رأسه وقَبّل الأرض وبكى، فقام السيد أحمد ومسح دموعه وقال: أي أخي لا بأس عليك يغفر الله لك، فأقبل على الناس وقال: رأيت الليلة أن القيامة قامت واللواء على رأس محمد ﷺ وفاطمة بين يديه والسيد أحمد الرفاعي عن يمينها وأنا على خوف عظيم، فدنوت من السيدة فاطمة واستنجدتها فأعرضت عني وأقبلت بوجهها المبارك على السيد أحمد الرفاعي وقالت له: يا ولدي يا أحمد ما أعجب حال هذا الرجل ينكر نسبك إلي ويستنجد بي والله لا نجدة له عندي إلا بواسطتك، فالتفت إليّ السيد أحمد وقال: يا ابن المحتشم أمي هذه أدرى بأولادها منك وعلى ما أنت عليه أنا لك عندها، ثم أخذ بيدي وقال: يا أماه هذا مسكين، فرمقتني وقالت: الأدبَ الأدبَ مع السيد أحمد، السيد أحمد قطعة من كبدي، فقلت: ولذلك جئت أستغفر لذنبي فقال السيد أحمد: يغفر الله لنا ولك يا ابن المحتشم طب نفسا، الله يشهد أننا أخوة في الله لله[2] إ.هـ

---

(١) حكم السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه.

(٢) مجمع العيلمين في مناقب أبي العلمين (دار المشاريع الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ ص ٢٦-٢٧).

٦٢. وقال: حدثني ابن خطيب الحصن أن أباه مرض فحملوه إلى رواق السيد أحمد فبعد أن وصل الرواق استصغر الحال الذي عليه السيد أحمد ثم قال في سره: لو حملت إلى رواق البسطامي، قال: فما تم خاطري إلا والنوم أخذني من كل جانب وإذا أنا بعد النوم في مسجد وإذا برجل أمامه ووراءه أعيان القوم وغيرهم فسألت عنه فقيل لي هو البسطامي فتقدمت اليه وسلمت عليه فقال لي: ما وسعك رواق ابن رسول الله ﷺ وتودّ أن تكون في رواقي أنا وأنت في رواق السيد أحمد، فانتبهت وقد عافاني الله وقمت وكشفت رأسي أمام السيد أحمد رضي الله عنه فقال: هوّن عليك، الفتوّة الصفح عن عثرات الإخوان[1] إ.هـ

٦٣. قال المحدث عبد العزيز بن أحمد الديربي الشافعي الأحمدي في كتابه المراقب اليفاعية في المناقب الرفاعية[2] ما نصه: حدثنا شيخنا وسيدنا الشيخ الجليل أبو الفتح الواسطي شيخ مشايخ الإسلام بالديار المصرية قبل وفاته بأيام يسيرة بمسجد الثغر بالإسكندرية أن سيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه مكث أيامًا بعد وفاة خاله سيدي الباز الأشهب الشيخ السيد منصور البطائحي رضي الله عنه لا يصعد الكرسي قال: ففي يوم صبح خميس صعد المنبر ونحن حوله فقال: رأيت في عالم المثال جدي رسول الله ﷺ فقال لي: يا أحمد قم على منبر الطرفاء فأثن على من بعثني وعليّ. أخبرنا الشيخ الصالح العارف القدوة أبو سعد الدين مزيد ابن الشيخ يونس الشيباني القرشي الدمشقي بأشمون في جم غفير من المسلمين أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام يقول: السيد أحمد الرفاعي ولدي وسيد أولياء أمتي اليوم اقتدوا به تفلحوا إ.هـ

٦٤. وقال: حدثنا شيخنا أبو المعالي شيخ الإسلام العارف الكبير الشيخ عبد السلام القلبيي الشافعي قدس الله سره ونفعنا به قال: كان شيخنا إمام الأولياء سيد الوقت السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه نموذجًا عن جده رسول الله ﷺ، فإنه كان

---

(١) مجمع العيلمين في مناقب أبي العلمين دار المشاريع الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ (ص٢٧-٢٨).

(٢) المراقب اليفاعية في المناقب الرفاعية طبعة دار المشاريع (ص٥).

متمسكًا بسنته قائمًا بإحياء طريقته مؤيدًا لشريعته، طرح هوى نفسه تحت الأقدام وتمسك كل التمسك بكل ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام[1] إ.هـ

٦٥. وقال: حدثنا الشيخ الكبير الورع الزاهد الإمام العارف محمد المجاهد الأقطع أحد أصحاب سيدنا الشيخ أبي الفتح في الحرم المكي حرسه الله وزاده شرفًا وتعظيمًا، قال: خُلق شيخنا سلطان الأولياء والعارفين السيد أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه مشتق من خُلق جده سيد الوجود ﷺ وإلا فمن أين لبشر لم يمنح بنفحة محمدية قدرة وطاقة على مثل أخلاقه رضي الله عنه[2] إ.هـ

٦٦. و قال: حدثنا الشيخ الأجل سيدي تاج الدين ابن أخينا الشيخ العارف الجليل المربي المسلّك علي المليجي قدس الله سره أن أباه رأى النبي ﷺ مرة في منامه ومعه أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه، فسلم على رسول الله ﷺ وقبل قدميه وبكى فتبسم له عليه الصلاة والسلام وقال لسيدنا علي الكرار رضي الله عنه: هذا سميك ومن أصحاب أصحاب ولدك السيد أحمد الرفاعي يسكن في مليج بارك عليه، فدعا له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالبركة[3] إ.هـ

٦٤. وقال: وحدثنا أيضًا أنه سمع شيخه سيدي العارف بربه محمد ابن عبدٍ البصري رضي الله عنه يقول بشأن السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه: هذا محبوب جده المصطفى ﷺ ولاثِمُ يده جهارًا بين ألوف من الزائرين، وإن الله يرحم العصر الذي فيه مثل هذا الجهبذ، وقال لنا شهاب السهروردي رحمه الله ونفع به: زرت سيدي السند أحمد بأم عبيدة وقد كنت شابًّا يومئذ فبشرني بالفتح الناجح والعز ورفعة الجاه ودوام الصيت ودعا لي، فأدركتني ولله الحمد بركة دعوته قدس الله سره وروحه[4] إ.هـ

---

(١) المراقب اليفاعية في المناقب الرفاعية طبعة دار المشاريع (ص٦).

(٢) المصدر السابق (ص٦).

(٣) المصدر السابق (ص٦).

(٤) المصدر السابق (١٠).

٦٥. وقال: حدثنا الشريف الكبير عبد الحافظ بن سرور بن بدر الحسيني المقدسي ثم البطايحي ثم المصري قدس الله سره بعد أن أورد نسب سيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه على الوجه الذي ذكر أن جده السيد بدر الحسيني الوفائي صاحب وادي النور بديار المقدس أملاه هذا النسب الشريف على هذه الصورة وقال له: ثبت هذا النسب المبارك على هذا المنوال في المغرب ثم في الحجاز ثم في العراق وبلغت شهرته الآفاق، ولم يلك لسانه بالقدح في مسلم قط سوى الملاحدة والباطنية في العراق بغضًا للسيد يحيى المغربي قدس الله روحه وهو جد سيدنا السيد أحمد الرفاعي لأبيه، وذلك لأنه قدم على الخليفة القائم ببغداد سنة خمسين وأربعمائة وقد هدمت أركان دولته ببغي الملاحدة وأصحاب البدع فنصب السيد يحيى نقيبًا للبصرة وواسط والبطائح فأيد الله به شرف السنة وأعز به مجد خليفة الأمة فبغضه لذلك المبتدعة وقدحوا به، وما قولك بولي من أعيان ءال بيت النبي ﷺ غمزه ملحد مبتدع ملموز العقيدة وأنشد متمثلا:

إذا سبّ عرضي ناقص القدر جاهل ... فليس له إلا السكوت جواب
ألم تر أن الليث ليس يضره ... إذا نبحت يومًا عليه كلاب[1] إ.هـ

٦٦. وقال: حدثنا الشريف أحمد ابن الشريف الحسين السمرقندي الحسيني قدس الله سره في جامع ابن العاص أن والده طاب ثراه قال له وقد جرى ذكر السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه: خذ عني هذين البيتين واعمل بسرهما فأنا أبوك وخير الناصحين لك وأنشد وهما لنفسه المباركة:

تمسك بحب ابن الرفاعي خالصًا ... إذا رمت في الدارين نجح المصالح
تقول تناهت للحسين أصولنا ... أكل حسيني كشيخ البطائح[2] إ.هـ

٦٧. وقال: حدثنا بركة العصر الشيخ المعمر الشريف عبد الحافظ الحسيني قدس

(١) المراقب اليفاعية في المناقب الرفاعية طبعة دار المشاريع (ص١١-١٢).
(٢) المصدر السابق (ص٢١-٢٢).

الله سره أن الشيخ الإمام جمال الدين الخطيب الحدادي قدس الله روحه أنشده لنفسه في مدح الإمام الرفاعي رضي الله عنه قوله:

لنا بين هاتيك السواري مواقف ... إذا ما حججنا أرض أم عبيدة

فننشق من حال النبي غواليا ... طواها برب الخارقات الفريدة

إمام الهدى القطب الحسيني أحمد ... دليل كرام القافلات السعيدة[1] إ.هـ

٦٨. وقال: حدثنا الإمام الكبير الشيخ جامع الفضلين الدنوشري، أنه سمع الإمام الرحلة الحجة القدوة أبا الحسين أحمد بن أحمد بن عبد الله الأنصاري الإشبيلي المغربي عرف بابن السراج قدس الله روحه يقول: بنو رفاعة الحسن الأصغر المكي الحسيني الفاطمي نزيل إشبيلية قوم اشتهر شرفهم وثبت اتصالهم بجدهم رسول الله ﷺ في المغرب وفي المشرق، وعزوهم إلى بطن ءاخر خرق عظيم وما ذلك إلا من شوائب الإلحاد والزندقة فإنهم أهل بيت نصروا السنة وأهلها، وخدموا الشريعة والطريقة، وناهيك منهم بالسيد أحمد الرفاعي صاحب أم عبيدة بواسط العراق رضي الله عنه فإنه من أعيان المجددين لشريعة جده ﷺ، وأن هيبة حاله في مغرب بلادنا كهيبة مجلسه في حياته في داره بأم عبيدة في المشرق[2] إ.هـ

٦٩. وقال: حدثنا العالم الصالح الثبت الثقة الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي الأنصاري المالكي محدث الإسكندرية ونزيلها بارك الله به قال: سمعت سيدي عبد الرحمن القرشي يقول: سمعت القطب الغوث أبا مدين يقول: شيخنا السيد أحمد الرفاعي سيد الصديقين اليوم وصاحب منصة النيابة الجامعة عن جده رسول الله ﷺ، وإن ظل بركته على داري هذه كما أن ظل بركته على داره في أم عبيدة، وهو شيخ

(١) المراقب اليفاعية في المناقب الرفاعية طبعة دار المشاريع (ص٢٣).

(٢) المصدر السابق (ص٢٤).

كل مسلم على وجه الأرض اليوم وإمام طوائف العارفين بالله تعالى وقائد الموفقين[1] إ.هـ

٧٠. وقال: حدثنا شيخنا العارف الإمام المربي القدوة السيف الصمصام الشيخ أبو الفتح الواسطي رضي الله عنه، أن الشيخ الإمام محمد بن عبدٍ البصري شيخ العارف الشهاب السهروردي أنشد بشأن السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه في حلقته:

قد استوعب الدنيا ونور أرضها وأقطارها شمس النهار أحمد

لئن راح محسودًا فلا ضير أنه أبوه عظيم القريتين محسد إ.هـ [1]

القطب الرفاعي أجل الأولياء
وطريقته أفضل الطرق

ليعلم أن الطريقة الرفاعية هي أفضل الطرق، فهي كسائر الطرق الصحيحة تأمر بالتمسك بالشريعة الإسلامية وإصلاح الباطن ونبذ البدع السيئة، وللرفاعية مزية على البقية بمزيد تمسك بما ذكرنا، فقد كان شيخ هذه الطريقة الإمام أحمد الرفاعي فقيهًا محدثا شافعيّا مفسرًا أثنى عليه الإمام أبو القاسم عبد الكريم الرافعي إمام الشافعية المعروف بوفور العلم والزهد والكرامة، وغيره كالحافظ السيوطي والديربني وغيرهم خلق كثير. وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني أن المشايخ من أهل عصره ـ يعني الرفاعي ـ أجمعوا على أنه أجلّ المشايخ قدرًا، ويقول الإمام الرافعي: «وانتهت إليه الرياسة في علوم الشريعة وفنون القوم وخدمة الأئمة والفقهاء والملوك والخلفاء، وانعقد عليه إجماع الطوائف وقال بتقدمه على جميع رجال عصره الموافق والمخالف» إ.هـ

ومن طالع كتب الإمام الرفاعي رضي الله عنه وجدها مليئة بالحث على التمسك

---

(١) المراقب اليفاعية في المناقب الرفاعية طبعة دار المشاريع (ص٢٥).

(١) المصدر السابق (ص٢٥).

بالشريعة والحض على تعلم العلوم الشرعية، قال رضي الله عنه في كتابه البرهان المؤيد: «أي سادة عظموا شأن الفقهاء والعلماء كتعظيم شأن الأولياء والعرفاء فإن الطريق واحد، وهؤلاء وارثو ظاهر الشريعة وحملة أحكامها الذين يعلمونها للناس وبها يصل الواصلون إلى الله، إذ لا فائدة بالسعي والعمل على الطريق المغاير للشرع» إ.هـ وقال: «أي سادة تقولون قال الحارث، قال أبو يزيد، قال الحلاج، ما هذا الحال قبل هذه الكلمات؟ قولوا: قال الشافعي، قال مالك، قال أحمد، قال نعمان»، «شيدوا دعائم الشريعة بالعلم والعمل»، «أشياخ الطريقة وفرسان ميادين الحقيقة يقولون لكم: خذوا بأذيال العلماء»، «لا تقطعوا الوصلة مع العلماء جالسوهم، خذوا عنهم»، «اجعلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دينكم»، «أي سادة إن نهاية طريق الصوفية نهاية طريق الفقهاء، ونهاية طريق الفقهاء نهاية طريق الصوفية»، «والطريقة هي الشريعة والشريعة هي الطريقة والفرق بينهما لفظي»، «وما أرى الصوفي إذا أنكر حال الفقيه إلا ممكورًا، ولا الفقيه إذا أنكر حال الصوفي إلا مبعودًا» إ.هـ

ومن مزايا هذه الطريقة أيضًا مكافحة عقيدة الوحدة وعقيدة الحلول أكثر من غيرها من الطرق، وقد أخذ أهلها ذلك عن شيخ الطريقة الإمام الرفاعي ثم اتبعه كل خلفاء طريقته إلى هذا العصر فلهم بذلك فضل على غيرهم، روى الإمام الحافظ أبو القاسم الرافعي رحمه الله عن الإمام الرفاعي أنه قال: «لفظتان ثُلمتان بالدين، القول بالوحدة، والشطح المجاوز حد التحدث بالنعمة» إ.هـ

وقال أحد خلفائه ممن كان في القرن الثالث عشر للهجرة ما نصه: «وحيث إن القول بالوحدة المطلقة والحلول يؤدي إلى الكفر والعياذ بالله تعالى، والشطحات والدعاوى العريضة تؤدي إلى الفتنة وتُزلِقُ بقدم الرجل إلى النار فاجتنابها واجب وتركها ضربة لازب، وكل ذلك من طريق شيخنا الإمام السيد أحمد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه وعنا به، وبهذا أمر أتباعه وأشياعه، وحثّ على ذلك أصحابه وأحزابه» إ.هـ

ومن مزايا هذه الطريقة محاربة ومجانبة البدع والمحدثات المذمومة في الدين،

قال الإمام الرفاعي فيما نقله الإمام الرافعي عنه: «قد ءان أوان زوال هذه المجالس ألا فليخبر الحاضر الغائب: من ابتدع في الطريق وأحدث في الدين وقال بالوحدة، وكذَب متعاليًا على الخلق، وشطح متكلفًا، وتفكه بما نقل عن القوم من الكلمات المجهولة لدينا، وطاب كاذبًا، أو خلا بامرأة أجنبية بلا حجة شرعية، وطمح نظره لأعراض المسلمين وأموالهم، وفرّق بين الأولياء، وأبغض مسلمًا بلا وجه شرعي، وأعان ظالمًا، وخذل مظلومًا، وكذّب صادقًا، وصدّق كاذبًا، وعمل بأعمال السفهاء وقال بأقوالهم، فليس مني أنا برىء منه في الدنيا والآخرة» إ.هـ

وقد اشتهر أتباع الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه بدخول الأفران الحامية، ورقود بعضهم في بعض جوانب الفرن والخباز يخبز في الجانب الآخر، ودخولهم النار العظيمة ونحو ذلك وكل ذلك يدل على عظيم فضل الإمام السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه، قال الشيخ السيد أبو الهدى الصيادي رحمه الله في كتابه الطريقة الرفاعية ما نصه: «توفي رضي الله عنه في أم عبيدة بواسط العراق سنة ثمان وسبعين وخمسمائة راضيًا مرضيّا نائبًا نبويّا، وقد جدد الله به أمر الدين وأيد بمنهاجه مذهب أهل الشرع المبين، وصان ببركة عزمه وعزيمته في الله عقائد المسلمين، وأبرد لأتباعه النيران، وأزال لهم فاعلية السموم، وألان لهم الحديد، وأذلّ لهم السباع والحيّات والأفاعي، وأخضع لهم طغاة الجن» إ.هـ قال المؤرخ ابن خلكان: «ولأتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهي حية والنزول في التنانير وهي تتضرم بالنار فيطفئونها» إ.هـ ومن الشاهد على ذلك ما جرى بين الشيخ تاج الدين الرفاعي أحد المشايخ العارفين وبين هولاكو إذ دخل الشيخ المذكور النار العظيمة هو ومريدوه وما أصابهم أذى، وتكررت الحادثة مع ابن هولاكو الذي أسلم وهو السلطان أحمد، وهذه القصة مشهورة ذكرها بعض المؤرخين منهم الشيخ كمال الدين محمد بن علي السراج الرفاعي القرشي الشافعي في كتابه تفاح الأرواح إ.هـ

ومن مزايا هذه الطريقة الحث على التخلق بالأخلاق الكريمة والمزايا الحسنة، وقد اشتهر مشايخ هذه الطريقة بمزيد التواضع والانكسار عن غيرهم من أهل الطرق، وهذا شأن شيخ الطريقة الإمام الرفاعي حيث يذكر أنه طرق كل الأبواب فرأى على

الكل ازدحامًا عظيمًا فجاء من باب الذل والانكسار فرءاه خاليًا فعكَف عليه، وله كلمة مشهورة وهي: «رجال هذه الطائفة خير مني، أنا حميد اللاش، أنا اللاش اللاش» إ.هـ

وقد وصفه الإمام الرافعي بقوله: « كان رضي الله عنه متمكنًا في الدين سهلًا على المسلمين، صعبا على الضالين، هينًا لينًا هشًّا بشًّا، لين العريكة، حسن الخلق، كريم الخلق، حلو المكالمة، لطيف المعاشرة، لا يمله جليسه، ولا ينصرف عن مجالسه إلا لعبادة، حمولاً للأذى، وفيًّا إذا عاهد، صبورًا على المكاره، جوادًا من غير إسراف، متواضعًا» إ.هـ

هؤلاء هم الرفاعية فمن عرفهم عرفهم، ومن جهلهم فليراجع كتب الإمام الرفاعي ومناقب خلفائه وسيرتهم، فإنهم أهل علم ودين، نفعنا الله بهم.

وقد ذكر الحافظ ابن الملقن الشافعي[1] في أواخر كتابه طبقات الأولياء قصيدة في مدح الرفاعية فقال:

إن الرفاعيين أصحاب الوفا ... والجود للعافي الملم المزملي

كم فيهم من عارف ذي همة ... أو صادق عن عزمه لم يفشل[2] إ.هـ

(١) وهو مؤلف الكتاب المشهور «البدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير».

(٢) إجابة الداعي (ص ١٨-٢٤).

خاتمة شريفة[1]

في علو أمر هذه الطريقة الرفاعيّة الغراء، والمحجة الأحمديّة السمحاء، وفي ذكر جملة تنص على رفعة قدر صاحب الطريقة غوث أهل الحقيقة سيدنا السيد أحمد الرفاعيّ الحسينيّ رضي الله عنه وعنا به ءامين

هذه الطريقة السعيدة، أجلّ الطرق، وأعظمها، وأقربها، وأحبها إلى الله تعالى، وإلى رسوله ﷺ. كيف لا، وهي طريقة الذل والانكسار لله تعالى، وبهذه الطريقة، يتقرب المتقربون إلى الله تعالى.

وقد نصّ أئمة القوم، أنّ من انتسب لأيّ طريقة كانت ثم انتسب بعدها للطريقة العليّة الرفاعيّة، فلا بأس عليه، لأنها الطريقة الجامعة الشاملة لآداب العبودية الحافلة بالمعارف المحمدية. وقالوا: هذه الطريقة الشريفة، جامعة لخيرَي الدنيا والآخرة، لبروز صاحبها بالمظهر المحمديّ؛ فإنّ المظهر المحمديّ، جامع للأمرين، وقد ذهب جماعة من أهل التغفل في ديارنا، إلى أنّ الطريقة الرفاعيّة، طريقة الفقر والفقرا. وقد ألقى الشيطان هذه الكلمة في روعهم، ليقطعهم بحب الدنيا الجائفة الفانية، عن التمسك، كل التمسك، بهذه الطريقة السعيدة.

والحال أنّ هذه الطريقة الشريفة، جعلها الله، عين الطريقة المحمديّة، فالنبيّ ﷺ، أعرض عن الدنيا بالكليّة، وملكها الله لأصحابه، وأتباعه، وجعلها تحت أقدامهم. وعلى منواله الشريف، ولده صاحب هذه الطريقة، سيدنا السيد أحمد الرفاعيّ رضي الله عنه، أعرض عن الدنيا بالكليّة، وجعل الله الدنيا تحت أقدام أتباعه، الخالصين المتمسكين به، وبآثاره كل التمسك.

وليعلم أنّ الفقر وضده قائمان بالقسمة الأزلية، ونسبتهما للمذهب، أو الطريقة، أو

---

(١) الإمام أحمد بن محمد الوتري، روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين، ص٨١-٨٢.

الخرقة، أو الصناعة، إنما هو من نزغ الشيطان، ومع كل هذا، فهم المسلمون الموحدون ربهم، دون أغراض الكون، وأعراضه، ومن كان همه ربه، يختار ما يختاره الله تعالى له، فقرًا كان أو غنى، ومن نعم الله على الأحمديين، أنّ الله تعالى نسبهم لإمام محمديّ، رفع له علمَي الدنيا والآخرة، ونشر له لوائَي الباطن والظاهر، واختصّه بالحكمة، ومنح أصحابه التمكّن والصدق، وأيّدهم بروح من عنده. قال الشيخ أحمد الزاهد الأنصاريّ رضي الله عنه: «فنفحات الطريقة الرفاعية سارية جارية لا تنقطع أبدًا» إ.هـ

وقال الشيخ أبو بكر الهوازنيّ البطائحيّ رضي الله عنه: «الطريقة الرفاعيّة، طريقة العِبرة والعَبرة، والسكون والحيرة، طريقة الفتح والمدد، والفيض الدائم، طريقة العشق والذَّوق، والنّور المتواصل، والعون الهاطل، طريقة الذل والانكسار، وطرح الشطح والافتخار، طريقة الحكمة والمعرفة، طريقة النّجاح والفلاح، والعزّ والصّلاح، طريقة الخشوع والاضطراب، طريقة فتح الأبواب، طريقة يحبها الله ورسوله ﷺ» إ.هـ

وقال الشيخ الجليل أبو البدر العاقوليّ رضي الله عنه: «سلكنا كل الطرق وكشفنا عجائبها، وفهمنا مكنونها، وسبرنا مضمونها، فما رأينا أرفع منارًا، وأصحّ قرارًا، وأشمخ فخارًا، وأصلح منهاجًا، وأكرم معراجًا، من الطريقة الرفاعيّة؛ وأنها لطريقة الحكماء، والأولياء والعرفاء، والزهاد والأفراد، وباب القبول، وميزاب الفيوضات، وطريقة الأمن، ومحجة السعادة، وكلمة الشريعة المحمّدية، على مشرعها سيد العالمين محمد ﷺ، أفضل الصلاة وأكمل السلام» إ.هـ

إنّ الطريقة الرفاعيّة نور الأفئدة، وجلاء القلوب، وصيقل الأسرار، ولو لم يكن فيها إلا حفظ جانب التوحيد، ووقاية مقام النبوة، وحرمة الحقّ وأهله، وطرح الشطح، وهدم منار الوحدة، ووقع النفس بالذل والانكسار لله تعالى، وحسن الأدب مع الخلق لكفى، رضي الله عن مؤسس بنيانها، ورافع أركانها، شيخ أهل القبول، وطلسم الحقيقة، كنز براهين الطريقة، سيد الأولياء، شيخنا ومولانا، السيد أحمد الرفاعيّ، وعن وأنصاره وأحبابه، وعن إخوانه الأولياء الصالحين أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

- **إجابة الداعي في مناقب القطب الكامل العارف الشريف سيدنا السيد أحمد الرفاعي**. للسيد أبي القاسم بن إبراهيم البرنزنجي، تحقيق عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ.
- **إرشاد السلمين لطريقة شيخ المتقين**. للعلامة عز الدين أحمد بن إبراهيم بن عمر الفاروثي الشافعي، القاهرة: مطبعة محمد أفندي مصطفى، الطبعة الأولى، ١٣٠٧هـ.
- **بحر الدم في من تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم**. يوسف بن حسن بن عبد الهادي، الرياض، دار الراية.
- **البحوث السنية عن بعض رجال الطريقة الخلوتية**. الشيخ محمد زاهد الكوثري، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.
- **البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى عليّ**. الحافظ أحمد الغماريّ، القاهرة: مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.
- **البرهان المؤيد**. للسيد أحمد بن عليّ الرفاعيّ، بيروت، دار النفيس.
- **بوارق الحقائق**. للشيخ محمد مهدي الرواس، طرابلس الغرب: مكتبة النجاح.
- **تاج العروس**. للحافظ محمد مرتضى الزبيدي، بيروت: دار الجيل.
- **تاريخ الأمم والملوك**. الحافظ المجتهد محمد بن جرير الطبريّ، بيروت: دار الكتب العلمية.
- **تاريخ بغداد**. الحافظ الخطيب البغداديّ، بيروت: دار الكتب العلمية.
- **تاريخ الخلفاء العباسيين**. علي بن أنجب الشهير بابن الساعي، تقديم عبد الرحيم

يوسف الجمل، القاهرة: مكتبة الآداب.

- **التاريخ الكبير**. الإمام محمد بن إسماعيل البخاريّ، بيروت: دار الفكر.

- **تاريخ مدينة دمشق**. الحافظ أبو القاسم عليّ بن الحسن بن عساكر، تحقيق عمر العمرويّ، بيروت: دار الفكر.

- **تذكرة الحفاظ**. محمد بن أحمد الذهبي، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

- **ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ العارفين**. الشيخ المحدث عبد الرحمن بن عبد المحسن الأنصاريّ الواسطيّ، القاهرة: المطبعة البهية المصرية، ١٣٠٥.

- **التعرف بذكر اهل التصوف للكلاباذي**. مكتبة الخانجي القاهرة.

- **جلاء الصدا في سيرة إمام الهدى**. الشيخ أحمد بن جلال المصريّ، نسخة مصورة عن نسخة خطية كتبت عام ١١٠١هـ.

- **حالة أهل الحقيقة مع الله**. السيد أحمد الرفاعي، حلب: نشر عبد الغني تكه مي.

- **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**. الحافظ السيوطي عبد الرحمن بن محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

- **الحكم الرفاعية**. السيد أحمد الرفاعي، حلب: دار الكتاب النفيس، الطبعة الأولى.

- **حلية الأولياء**. الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة.

- **خلاصة الإكسير في نسب سيدنا الغوث الرفاعيّ الكبير**. الشيخ عليّ بن أبي الحسن الواسطيّ، تحقيق الشيخ عاصم إبراهيم الكيالي، لبنان: كتاب ناشرون، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

- دلائل النبوة للبيهقي دار الريا
- **سواد العينين في مناقب الغوث أبي العلمين**. عبد الكريم بن محمد الرافعيّ، تحقيق عبد الحكيم عبد الباسط، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ.
- **سير أعلام النبلاء**. الذهبيّ شمس الدين بن محمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. ابن العماد الحنبلي، بيروت: دار الفكر.
- **الشرف المحتم في ما منّ الله به على وليّه السيد أحمد الرفاعيّ من تقبيل يد النبيّ ﷺ**. جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الحكيم سليم عبد الباسط، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ.
- **صحاح الأخبار في نسب الفاطمية الأخيار**. محمد سراج الدين المخزوميّ، القاهرة: مطبعة محمد أفندي مصطفى، ١٣٠٦هـ.
- **طبقات الأولياء**. الحافظ ابن الملقن، بيروت: دار المعرفة، الطبعة الثانية.
- **طبقات الشافعية الكبرى**. تاج الدين السبكيّ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.
- **طبقات الشافعية**. ابن قاضي شهبة تقيّ الدين، تحقيق عبد العليم خان، بيروت: عالم الكتب.
- **طبقات الفقهاء الشافعية**. الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح، بيروت: دار البشائر الإسلامية.
- **طبقات الصوفية**. الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلميّ، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- **الطبقات الكبرى**. ابن سعد، بيروت: دار صادر.

- **الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار**. أبو المواهب عبد الوهاب بن علي الأنصاري، دار الفكر.
- **قاموس العاشقين في أخبار السيد حسين برهان الدين**. الشيخ عبد المنعم العانيّ، بيروت: المطبعة الأدبية، ١٣٠٢هـ.
- **قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعيّ وأتباعه الأكابر**. الشيخ أبو الهدى الصياديّ، بيروت: دار الكتب العلمية.
- **كشف النقاب عن أنساب الأربعة الأقطاب**. الشيخ عبد القادر بن محمد الطبريّ الحسينيّ، القاهرة: خان أبي طاقية، المطبعة الشرقية، ١٣٠٩هـ.
- **الكنز المطلسم في مد يد النبيّ لولده الغوث الرفاعي الأعظم**. محمد أبو الهدى الصياديّ الرفاعيّ، تحقيق حسن عبد الحكيم عبد الباسط، دمشق، دار البشائر.
- **اللباب في تهذيب الأنساب**. أبو الحسن بن الأثير الجزري، بيروت: دار الكتب العلمية.
- **لب اللباب في تحرير الأنساب**. جلال الدين السيوطي، بيروت: دار الفكر.
- **مرءاة الزمان في تاريخ الأعيان**. سبط ابن الجوزي، الهند: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥١ر.
- **المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية**. الشيخ عز الدين أحمد الصياد الرفاعيّ، طبعة منتدى الإمام الرواس.
- **المعجم**. ابن الأعرابي، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- **المعجم الأوسط**. الحافظ سليمان بن أحمد الطبرانيّ، القاهرة: دار الحرمين.
- **معجم البلدان**. ياقوت بن عبد الله الحموي، بيروت: دار الفكر.
- **المعجم الكبير**. الحافظ سليمان بن أحمد الطبرانيّ، الموصل: مكتبة العلوم والحكم.

- **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**. الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، الرياض: مكتبة الرشد.
- **مناقب الصالحين ومحجة أهل اليقين**. أحمد الوتري، القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٨٨٨ر.
- **شرف أصحاب الحديث**. للخطيب البغدادي عالم الكتب.
- **مسند القضاعي ابو عبد الله القضاعي**. تحقيق حمدي السلفي مؤسسة الرسالة.
- **النجم الساعي في مناقب القطب الكبير الرفاعيّ**. أبو بكر بن عبد الله العيدروس العدني، القاهرة: مكتبة القاهرة بالصنادقية، الطبعة الثانية، ١٩٦٧ر.
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى بن عبد الله الظاهريّ الحنفيّ، بيروت: دار الكتب العلمية.
- **النفحة المسكية في السلالة الرفاعية الزكية**. عز الدين أحمد الفاروثيّ الواسطيّ، الآستانة: مطبعة محمد أسعد نومرو، ١٣٠١هـ.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر.

فهرس المواضيع

- الأسرار الجلية في فضل ومناقب الإمام أحمد غوث الرفاعية ٣
- مقدّمة المؤلف ٣
- مقدمة المؤلف الثانية ٦
- المدخل ٧
- في تعريف التصوف والصوفية ٧
- من هو الصوفي ١٧
- بيان معنى البدعة والسنة لغة واصطلاحا ٢٠
- بيان فيما تنقسم إليه البدعة ٢١
- بيان أنَّ مجرد الترك لا يقتضي التحريم ٣١
- بيان أن ترك النبي لبعض الأشياء له وجوه ٣٣
- بيان أن ما تقدم من هدي النبي والاقتداء به ٣٤
- الطّرُق الصوفية ودورها في محاربة التطرّف ٣٦
- لم سميت الصوفية صوفية ٤١
- التصوف طريق الأئمة والأولياء والعلماء ٤٣
- السلف والخلف يمدحون التصوف ويعملون به ٤٤
- تمهيد في بيان معنى المعجزة والكرامة والفرق بينهما وبين السحر والاستدراج ٤٦
- ثبوت الكرامة للأولياء ٤٩
- الإمام أحمد بن علي الرفاعي رضي الله عنه نسبه الشريف الطاهر ٥١
- نسب قلادته الفخيمة كلها حتى الرسول فرائد وعصائم ٥٢
- ترجمة لطيفة لأجداد السيد أحمد الرفاعي ٥٧
- السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ٥٨
- الإمام علي رضي الله عنه ٦٠
- الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه ٦٢
- الإمام زين العابدين علي الأصغر رضي الله عنه ٦٤

- الإمام محمد الباقر رضي الله عنه ٦٤
- الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه ٦٦
- الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه ٦٧
- الإمام إبراهيم المرتضى رضي الله عنه ٦٨
- السيد موسى الثاني رضي الله عنه ٦٩
- السيد أحمد الصالح الأكبر رضي الله عنه ٦٩
- السيد أبو عبد الله الحسين رضي الله عنه ٧٠
- السيد حسن القاسم رضي الله عنه ٧٠
- السيد أبو القاسم محمد رضي الله عنه ٧١
- السيد مهدي المكي رضي الله عنه ٧٣
- السيد رفاعة الحسن المكي رضي الله عنه ٧٤
- السيد علي أبو الفضائل المغربي رضي الله عنه ٧٥
- السيد أحمد رضي الله عنه ٧٥
- السيد حازم رضي الله عنه ٧٥
-السيد يحيى رضي الله عنه ٧٦
- دفع فرية ٨٣
- مؤلفاته رضي الله عنه ٩١
- أخلاقه وبعض سيرته رضي الله عنه ٩٢
- أوصافه رضي الله عنه ١١٠
- تواضعه رضي الله عنه ١١٠
- خصائصه رضي الله عنه وشمائله ١١٢
-سنده رضي الله عنه في الخرقة ١١٧
- زهده وعبادته رضي الله عنه ١٢٠
- لقاؤه رضي الله عنه مع سيدنا الخضر عليه السلام ١٢٣
- لقاؤه مع القطب الجيلاني رضي الله عنهما ١٢٤
- معتقد الصوفية قولهم في التوحيد ١٢٥
- قولهم في المحكم والمتشابه من الكتاب والسنّة ١٢٨

- قولهم في الرّؤية ١٣٣
- قولهم في الأنبياء والرّسل ١٣٥
- قولهم في الملائكة ١٣٦
- قولهم في القَدَر ١٣٧
- قولهم في الوعد والوعيد ١٣٧
- عقيدة الإمام القطب الرفاعي هي عقيدة أهل السنة والجماعة ١٣٨
- الإمام الرفاعي والسادة الرفاعية حربٌ على عقيدة الحلول والإتحاد ١٦٠
- براءة الصوفية الصادقين من عقيدة أهل الوحدة والحلول المارقين ١٦١
- افتراؤهم على الشيخ عبد القادر الجيلاني ١٦٣
- افتراؤهم على الشيخ محيي الدين بن عربي ١٦٨
- كفرهم السفيه بعدم اكتراثهم بحقائق التنزيه ١٧٤
- في ذكر بعض حكمه رضي الله عنه ١٨١
- في ذكر بعض أقواله وأجوبته رضي الله عنه على بعض الأسئلة ٢٤٢
- شهادة الأكابر له رضي الله عنه وثناؤهم عليه ٢٤٤
- القطب الرفاعي أجل الأولياء وطريقته أفضل الطرق ٢٧٢
- خاتمة شريفة ٢٧٦
- فهرس المصادر والمراجع ٢٧٨
-فهرس المواضيع ٢٨٣